خلاصة
الذهب المسبوك
مختصر من سير الملوك

تأليف

عبد الرحمن سنبط قنيتو الاربلي

المتوفى سنة ٧١٧ هجرية

وقف على طبعه و تصحيحه

مكى السيد جاسم

يطلب من مكتبة المثنى ـ بغداد

مقدمة الطبعة الجديدة

ظهرت الطبعة الاولى لهذا الكتاب سنة ١٨٨٥م ، مطبوعة فى بيروت بمطبعة القديس جاورجيوس للروم الارثوذكس • ومما جاء فى مقدمة ناشرها :

« قد عثرنا على نسخة من هذا الكتاب ، أقتصر فيه مصنفه على تدوين تاريخ الخلفاء العباسيين من يوم ظهور دعوتهم فى خلافة الوليد بن عبدالملك الأموى حتى أنقراض دولتهم فى بغداد فى خلافة المستعصم بالله أبى أحمد عبدالله بن المستنصر بالله » •

« ولما كان هذا التاريخ وافيا فى بابه وحاويا من الروايات صحيحها ومن الاخبار أشتاتها وكان للخلافة العباسية شأن يذكر ، رغبنا فى نشره لتعم فائدته جمهور المطالعين ويحيى استقصاء سير الاولين » •

ثم ذكر ناشر هذا الكتاب فى مقدمته التى نقلنا بعضها آنفا ، انه لم يقف على ترجمة للمصنف ، بالرغم من بحثه المدقق وتحريه الكلى فى كثير من المصنفات العربية فى تراجم العلماء الاعلام • وهكذا خلت تلك الطبعة من معرفة شىء عن المؤلف •

وكان الاستاذ كوركيس عواد ، قد عثر على ترجمة هذا المؤلف فى الدرر الكامنة ، فأثبتها فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق (١٨ [١٩٤٣] ص ٥٥٠) ، وأعدنا نشرها بعد هذه الكلمة • وزاد الاستاذ عباس العزاوى ، ما وقف عليه فى غيره من المراجع (مجلة المجمع ١٩ [١٩٤٤] ص ٢٨٦-٢٨٧) •

ولما كانت طبعة بيروت قد نفدت نسخها منذ عهد بعيد ، وأصبح الحصول على واحدة منها من أصعب الامور ، رأينا أن نتدارك هذا الخلل ، فنقرب منال الكتاب من القراء • فتولينا نشره اليوم ، معتمدين فى ذلك على الطبعة البيروتية •

ولكن وقعت فى الطبعة البيروتية ، أوهام وتصحيفات شتى ، كان لابد من تلافيها فى هذه الطبعة التى نخرجها اليوم • فعهدنا بتحقيق الكتاب وتصحيحه الى الاستاذ البحاثة السيد مكى جاسم ، فأصلح كثيرا مما علق بهذا الكتاب من مآخذ ، ونقاه مما أعتوره من شوائب •

قاسم محمد الرجب

ترجمة المؤلف

منقولة من « الدرر الكامنة فى أعيان المئة الثامنة »

لابن حجر العسقلانى

عبدالرحمن بن ابراهيم بن قنيتو بدر الدين الاربلى الاديب أبو محمد . كان مشهورا بالبلاغة وحسن النظم . مدح الملوك ، وتعانى التجارة ، ومات سنة ٧١٧ وله سبع وسبعون سنة . وهو القائل :

وغريرة هيفـاء باهــرة السنا	طوع العناق سقيمة الاجفــان
غنت وماس قوامهــا فكأنهــا	الورقاء تسجع فى غصون البان

(الدرر الكامنة ٢ : ٣٢١)

ذكر خلافة

الوليد بن عبد الملك

ويكنى ابا العباس وامه ولادة بنت العباس وكان اسمر طويلا حسن الوجه وكان ذا سطوة شديدة لا يتوقف اذا غضب وكان معمارا وهو الذى بنى المسجد الجامع بدمشق وانفق عليه الاموال وبنى مسجد المدينة وبعد وفاة ابيه لما دفن عبد الملك دخل الوليد المسجد وصعد المنبر فخطب فقال انالله واناالیه راجعون الله المستعان على مصيبتنا بموت امير المؤمنين والحمدلله على ما انعم به علينا من الخلافة قوموا فبايعوا . وكان اول من قام فبايعه عبدالله بن همام السلولي وفيه يقول:

الله اعطاك التى لا فوقها وقد اراد المشركون عوقها
عنك ويأبى الله الا سوقها اليك حتى قلدوك طوقها

ثم تتابع الناس على البيعة وهو اول من اتخذ البيمارستان للمرضى ودار الضيافة وولى عمر بن عبد العزيز المدينة وشيد مسجد النبى صلعم وادخل فيه المنازل التى كانت حوله وحجرات ازواجه صلعم وبنى الاميال فى الطرقات وانفذ الى عامله على مكة شرفها الله وهو خالد بن عبد الله القسرى ثلاثين الف مثقال ذهبا احمر فصفح به باب الكعبة والميزاب والاساطين وفى ايامه فتح موسى بن نصير الاندلس وطليطلة وحملت منها مائدة سليمان بن داود عليه السلام وهى من ذهب وفضة وعليها اطواق ثلاثة من لؤلؤ وفتح عدة بلاد من السند وفى ايامه كان الطاعون الجارف بالبصرة وكانت فى ايامه زلازل كثيرة بقيت اربعين يوما وفى ايامه مات الحجاج بن يوسف الثقفى وله من العمر ثلاث وخمسون سنة وولى منها العراق عشرين سنة وعدة من قتل مائة الف وعشرون الفا وتوفى وفى

حبوسه خمسون الف رجل وثلاثون الف امراة وفيها غزا مسلمة اخوه بلاد الروم فسبى سبياً كثيراً حتى عرض عليه شيخ فامر بقتله فقال ما حاجتك الى قتلى وانا شيخ كبير وان تركتنى جئتك باسيرين من المسلمين شابين قال ومن لي بذلك • قال انى اذا وعدت وفيت قال لست اثق بك قال فدعنى اطوف فى عسكرك لعلى اعرف من يكفلنى الى ان امضي واجيء بالاسيرين • فوكل به من امره بالطواف معه فى عسكره والاحتفاظ به فما زال الشيخ يتصفح الوجوه حتى مر بفتى من بنى كلاب قائما يحس فرسا له فقال يا فتى اضمنى للامير وقص عليه قصته • قال فجاء الفتى معه الى مسلمة فضمنه فاطلقه مسلمة فلما مضى قال اتعرفه ؟ قال لا والله قال فلم ضمنته قال رأيته تصفح الوجوه فاختارنى من بينهم فكرهت ان اخلف ظنه • فلما كان من الغد عاد الشيخ ومعه اسيران من المسلمين شابان فدفعهما الى مسلمة وقال اسأل الامير ان يأذن لهذا الفتى ان يسير معى الى حصنى لاكافئه على فعله بى • قال مسلمة للفتى ان شئت فامض معه فمضى معه فلما صار الى حصنه قال له يا فتى اتعلم انك ابنى قال وكيف اكون ابنك وانا رجل من العرب وانت رجل من الروم نصرانى • قال الشيخ الرومى فأخبرنى عن امك ما هى قال الفتى رومية • قال الشيخ فانى اصفها لك • فبالله ان صدقت الا صدقتنى • فاقبل الشيخ الرومى يصف ام الفتى لايخرم منها شيئا • قال هى كذلك فكيف عرفت انى ابنها قال بالشبه تقارب الازواج وصدق الفراسة ووجود شبهى فيك • ثم اخرج اليه امرأة فلما رآها الفتى لم يشك انها امه لشدة شبهها بها وخرجت معها عجوز كانها هى فاقبلتا تقبلان راس الفتى • فقال الشيخ هذه جدتك لامك وهذه خالتك ثم طلع من حصنه فدعى بشباب فى الصحراء فاقبلوا فكلموه بالرومية فجعلوا يقبلون راس الفتى ويديه ورجليه فقال هؤلاء اخوالك وبنو خالاتك وبنو عم والدتك ثم اخرج اليه حليا كثيرا وثيابا فاخرة وقال هذا لوالدتك عندنا منذ سبيت

فخذه معك وادفعه اليها فانها ستعرفه ثم اعطاه لنفسه مالا كثيرا وثيابا جليلة وحمله على عدة دواب وبغال والحقه بعسكر مسلمة وانصرف واقبل الفتى قافلا حتى دخل منزله واقبل يخرج الشيء بعد الشيء مما عرفه الشيخ انه لامه فتراه وتبكى وتقول قد وهنته لك فلما كثر عليها قالت يا بني اسألك بالله العظيم اي بلد دخلت حتى صارت اليك هذه الثياب وهل قتلتم اهل هذا الحصن الذى كان فيه هذا فقال لها الفتى صفة الحصن كذا وصفة البلد كذا ورايت فيه قوما من حالهم كذا وكذا فوصف لها امها واختها وهى تبكى وتقلق فقال ما يبكيك فقالت الشيخ والله ابوك والعجوز امى وتلك اختى فقص عليها الخبر واخرج بقية ما كان انفذ معه ابوه فدفع ذلك اليها . وبقى الوليد فى الخلافة تسع سنين وثمانية اشهر ومات ودفن بدمشق فى منتصف جمادى الاخرة سنة ست وتسعين وعمره ثمان واربعون سنة وحج بالناس سنة ثمان وثمانين وسنة احدى وتسعين وسنة اربع وتسعين وكان نقش خاتمه « ياوليد انك ميت ومحاسب » عفى الله تعالى عنه.

ذكر اولاده وامرائه وكتابه وحجابه

كان له من الولد اربعة عشر ذكرا سوى البنات منهم يزيدوابراهيم وليا الخلافة ومنهم العباس فارس بنى مروان وفحلهم وكان يركب فى ستين رجلا من صلبه وعمر وعبد العزيز وبشر وكان اميــره على مصر قرة بن شريك وقضاته عبدالله بن عبد الرحمن وعياض بن عبدالله وعبد الملك بن رفاعة وكتابه[1] قبيصة بن ذويب والضحاك بن لمك ويزيد ابن ابى كبشة وحجابه خالد وسعيد مولياه .

ذكر الحوادث التى جرت فى ايام خلافته

وفى سنة سبع وثمانين ولى الوليد عمر بن عبد العزيز المدينة فقدم واليا

---

(١) فى كتاب الوزراء والكتاب للجهشيارى : « وكان يكتــب للوليد القعقاع بن خليد العبسى ... وكان يكتب له على ديوان الخراج سليمان ابن سعيد الخشنى وعلى ديوان الخاتم شعيب الصابى مولاه ويكتــب له على المستغلات بدمشق نفيع بن ذويب مولاه ... »

فى ربيع الاول من السنة وهو ابن خمس وعشرين سنة فنزل دار مروان (اى بالمدينة) فلما صلى الظهر دعا عشرة من فقهاء المدينة وهم عروة ابن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وابو بكر بن عبدالرحمن وابو بكر بن سليمان بن ابى خيثمة وسليمان بن يسار والقاسم بن محمد وسالم بن عبدالله وعبدالله بن عبدالله بن عمر وعبدالله بن عامر بن ربيعة وخارجة بن زيد فدخلوا عليه . فحمدالله واثنى عليه . ثم قال انى انما دعوتكم لامر تؤجرون عليه وتكونون فيه اعوانا على الحق. اريد ان لا يقطع امر الا برأيكم او برأى من حضر منكم . قال وان رايتم احدا تعدى او بلغكم عن عامل لي ظلم فأحرج على من بلغه ذلك الا بلغنى فجزوه خيرا وافترقوا . وفيها مات مطرف بن عبدالله بن الشخير ابو عبدالله ، روى الحديث عن عثمان وعلي وابى ذر وكان ثقة ذا فضل وورع وعقل وافر وكان اكبر من الحسن البصرى بعشرين سنة. عن ثابت قال مات عبد الله بن مطرف فخرج مطرف على قومه فى ثياب حسنة وقد ادهن فغضبوا وقالوا يموت عبدالله ثم تخرج فى ثياب مثل هذه مدهنا . قال افابكى لها وقد وعدنى ربى تبارك وتعالى فى ثلاث خصال كل خصلة منها احب الي من الدنيا كلها . قال الله عزوجل الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انالله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون افأبكى لها بعد هذا . قال فهون المصيبة بولده وفى سنة ثمان وثمانين امر الوليد بن عبدالملك بهدم مسجد رسول الله صلعم وهدم بيوت ازواجه وادخالها فى المسجد . فقدم رسوله الى عمر بن عبد العزيز فى ربيع الاول بكلمات الوليد يامره بادخال حجر ازواجه الى المسجد وان يشترى ما فى مؤخره ونواحيه حتى يكون مائتي ذراع فى مائتي ذراع ويقول له قدم القبلة ان قدرت وانت تقدر لمكان اخوالك فانهم لايخالفونك . فمن ابى منهم فأمر اهل التبصر فليقوموه قيمة عدل ثم اهدم عليهم وادفع اليهم الثمن فان لك فى ذلك سلف صدق عمر وعثمان . فاقرأهم الكتاب وهم عنده فاجاب القوم الى الثمن فاعطاهم اياه وامر بهدم بيوت ازواج

رسول الله صلعم فهدمها فلم يلبث الايسيرا حتى قدم الفعلة اقدمهم الوليد • وبعث الوليد الى صاحب الروم يخبره انه امر بهدم مسجد رسول الله وان يعينه فيه فبعث اليه بمائة الف مثقال من الذهب وبمائة عامل بأربعين حملا من الالات وبعث بها الى عمر وتجرد عمر بن عبد العزيز لذلك واستعمل صالح بن كيسان على ذلك ولما امر بهدم بيوت ازواج رسول الله قال ما رأيت يوما اكثر باكيا من ذلك اليوم •

قال عطاء سمعت سعيد بن المسيب يقول يومئذ والله لوددت انهم تركوها على حالها فينشأ الناشىء من اهل المدينة ويقدم القادم من كل فج فيرى ما اكتفى به رسول الله صلعم فى حياته فيكون ذلك مما يزهد الناس فى التكاثر والتفاخر فيها اعنى الدنيا • وفيه (اى فى عام ٨٨) بنى المسجد الجامع بدمشق واخرج عليه اموالا عظيمة • قيل انه انفق عليه خراج البلاد ثلاث مرات وانه بلغ ثمن البقل الذى اكله الصناع ستة آلاف دينار • وكان فيه سلاسل ستمائة من ذهب فلم يقدر احد ان يصلى فيه من عظم شعاعها فدخنت • قال وامر الوليد ان يسقف الجامع بالرصاص فطلب الرصاص من كل البلاد فاحضر وبقيت قطعة لم يوجد لها رصاص الا عند امرأة فأبت ان تبيعه الا بوزنه ذهبا فقال اشتروه منها ولو بوزنه مرتين ففعلوا ووزنوا بمثله فلما قبضته قالت انى ظننت فى صاحبكم انه يظلم الناس فى بنائه فلما رأيت انصافه رددت الثمن • فلما بلغ الوليد ذلك امر ان يكتب على صفائح تلك القطعة اسم المرأة ولم يدخلها فيما عمله وفيما كتب عليه اسمه •

ثم دخلت سنة تسع وثمانين • فيها ابتدىء بالدعاء لبنى العباس وكان الدعاء لمحمد بن على بن عبدالله بن عباس وسمى بالامام وكوتب واطيع ثم لم يزل الامر ينمى ويقوى ويتزايد الى ان توفى سنة اربع وعشرين ومائة • وفى سنة سبع وثمانين توفى الحسن بن الحسن بن على بن ابى طالب وفى سنة اثنتين وتسعين توفى انس بن مالك بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عيسى بن النجار امه ام سليم

بنت ملحان • لما قدم رسول الله صلعم المدينة ذهبت به امه اليه ليخدمه• عن سنان بن ربيعة قال سمعت انس بن مالك يقول ذهبت بى امي الى رسول الله صلعم فقالت يا رسول الله خويدمك انس ادع الله له قال اللهم اكثر ماله وولده واطل عمره واغفر ذنبه قال انس قد رأيت من صلبى مائة غير اثنين او قال مائة واثنين وان ثمرتى لتحمل فى السنة مرتين ولقد عشت حتى سئمت الحياة وانا ارجو الرابعة وتوفى انس بالبصرة وهو ابن تسع وتسعين سنة وقيل انه عاش مائة وسبع سنين وهو اخر من مات من اصحاب رسول الله صلعم ورزق مائة ولد ولايعرف فى الاسلام من ولد له مائة ولد من صلبه سوى اربعة نفر انس بن مالك وعبدالله بن عمر الليثى وحذيفة السعدى وجعفر بن سليمان الهاشمى •

وفيها توفى وضاح اليمن • عن ابن مشهر قال كان وضاح اليمن قد نشأ هو وام البنين صغيرين فاحبها واحبته وكان لايصبر عنها حتى اذا بلغت حجبت عنه وطال بهما البلاء فحج الوليدفبلغه جمال ام البنين وادبها فتزوجها ونقلها الى الشام قال فذهب عقل وضاح اليمن قد نشأ هو وام البنين صغيرين فاحبها واحبته وكان الشام يطيف بقصر الوليد فى كل يوم لايجد حيلة حتى راى يوما جارية صفراء فلم يزل حتى انس بها فقال لها هل تعرفين ام البنين قالت انك تسأل عن مولاتى فقال لها انها لابنة عمى وانها لتسر بمكانى وموضعى لو اخبرتها • قالت انى اخبرها فمضت الجارية واخبرت ام البنين فقالت ويلك احي هو قالت نعم • قالت قولي له كن مكانك حتى ياتيك رسولى فلن ادع الاحتيال واحتالت الى ان ادخلته فى صندوق فمكث عندها حينا فاذا امنت اخرجته معها واذا خافت عين رقيب ادخلته الصندوق • فاهدى يوما للوليد جوهر • فقال لبعض خدمه خذ هذا الجوهر وامض به الى ام البنين فقل لها اهدي الى امير المؤمنين هذا فوجه به اليك فدخل الخادم من غير استئذان ووضاح معها فلمحه ولم تشعر ام البنين فبادر الى الصندوق فدخله فأدى

الخادم الرسالة اليها وقال هبي لي من هذا الجوهر حجراً فقالت لا أم لك ما تصنع انت بهذا فخرج وهو عليها حنق فجاء الى الوليد فاخبره ووصف له الصندوق الذي رآه دخله فقال له كذبت لا أم لك • ثم نهض مسرعا فدخل عليها وهي في ذلك البيت وفيه عدة صناديق فجلس على ذلك الصندوق الذى وصف له الخادم فقال لها يا ام البنين هبي لي صندوقا من صناديقك هذه فقالت يا أمير المؤمنين هي لك وانا لك فقال لها ما اريد غير هذا الذى تحتى قالت يا امير المؤمنين ان فيه شيئا من احوال النساء قال لها ما اريد غيره قالت هو لك فأمر به فحمل ودعى بغلامين فأمرهما بحفر بئر فحفرا حتى بلغا الماء فوضع فمه على الصندوق وقال ايها الصندوق قد بلغنا عنك شيء فان كان حقا دفنا خبرك ودرسنا اثرك وان كان كذبا فما علينا فى دفن صندوق من خشب حرج ثم امر به فالقى فى الحفيرة وامر بذلك الغلام الذى أخبره فقذف في ذلك المكان فوقه فطم عليهما جميعا التراب ولم يذكر الوليد لام البنين حرفا واحدا الى ان فرق بينهما الموت فكانت ام البنين بعد ذلك توجد فى ذلك المكان لتبكي الى أن وجدت فيه يوما مكبوبة على وجهها ميتة عفا الله عنها •

ثم دخلت سنة أربع وتسعين فيها قتل الحجاج سعيد بن جبير وفيها مات سعيد بن المسيب بن حزن بن ابى وهب بن عمرو بن عايذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة وكان من كان منسوبا الى عايذ بن عمران فهو عايذى بالذال المعجمة ومن نسب الى عمر بن مخزوم فهو عايدى بالدال المهملة ويكنى سعيد أبا عبدالله ويقال له أبو عبدالملك قال عبد العزيز زيد بن اسلم لما مات العبادلة عبدالله بن عمر وعبدالله ابن عباس وعبدالله بن عمرو وعبدالله بن الزبير صار الفقه في جميع البلدان الى الموالي فكان فقيه أهل مكة عطاء بن أبي رباح وفقيه اهل اليمن طاووس بن كيسان وفقيه اهل اليمامة يحيى بن ابى كثير وفقيه اهل البصرة الحسن وفقيه اهل الشام مكحول وفقيه اهل

خراسان عطاء الخراساني الا المدينة فان الله خصها بقرشى فقد كان فقيه أهل المدينة سعيد بن المسيب غير مدافع • قال قدامة وموسى الجمحي كان سعيد بن المسيب يفتى وأصحاب رسول الله (صلعم) أحياء وقال سعيد بن المسيب ما بقى احد اعلم بكل قضاء قضاه رسول الله وابو بكر وعمر منى ولما نزل فى عين سعيد بن المسيب الماء قيل له اقدحها قال على من أفتحها • وفى هذه السنة مات علي بن الحسين المعروف بزين العابدين صلوات الله عليه وعلى والديه • امه ام ولد اسمها غزالة روى عن ابيه وعن ابن عباس وجابر بن عبدالله وصفية وام سلمة وشهد مع أبيه كربلاء وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وكان مريضا حينئذ ملقى على الفراش فلما قتل الحسين قال شمر لعنه الله اقتلوا هذا الشاب فقال رجل من اصحابه سبحان الله اتقتلون غلاما حدثا مريضا • ووقع حريق فى البيت الذى كان فيه على بن الحسين وهو ساجد فجعلوا يقولون يا ابن رسول الله النار فما رفع رأسه حتى أطفئت فقيل له ما الذي الهاك عنها قال الهتنى النار الاخرى • وقال على بن الحسين عليهما السلام سألت الله عز وجل فى دبر كل صلوة سنة ان يعلمنى اسمه الاعظم قال فوالله اني لجالس قد صليت ركعتي الفجر اذ ملكتني عيناي فاذا رجل جالس بين يدى قال قد استجيب لك فقل اللهم انى اسألك باسمك اللهاللهالله الذي لا اله الا هو رب العرش العظيم ثم قال أفهمت أم اعيد عليك • قلت اعد علي ففعل • قال على فما دعوت بها فى شىء قط الا رأيته واني لارجو أن يذخر لي عنده الجنة • توفى علي بن الحسين بالمدينة ودفن بالبقيع هذه السنة وهو ابن ثمان وخمسين سنة ومن العجائب ثلاثة كانوا فى زمان واحد وهم بنوا عمام كل واحد اسمه على ولهم ثلاثة اولاد كل واحد اسمه محمد والاباء والابناء اشراف وهم علي بن الحسين وعلي بن عبدالله بن عباس وعلي بن عبدالله بن جعفر الطيار • وفيها مات عروة بن الزبير بن العوام روى عن ابيه وعن زيد بن ثابت وعن أعمامه وأبي ايوب وابن عمر وابن عباس وكان فقيها فاضلا شديد

الصوم ومات صائما •

ثم دخلت سنة خمس وتسعين • فيها مـات الحجاج بن يوسف بن الحكم بن ابى عقيل وهو معتب بن مسعود بن ثقيف من الاحلاف وامه الفارعة بنت همام وكان الحجاج اخفش العينين دقيق الصـوت فصيحا حسن الحفظ للقرآن الا انه قد اخذ عليه فيه لحن وكان الحجاج اول زمانه معلما وكان يقرأ فى كل ليلة ربع القـران وكان قد اذل اصحاب رسـول الله (صلعم) واحتج عليهم بانهم لم ينصروا عثمان وعن عوانة بن الحكم قال دخل انس بن مالك على الحجاج فلما وقف وسلم عليه فقال له الحجاج ايه ايه لك يا انيس يوما لك مع على ويوما لك مع ابن الزبـير ويوما مع ابن الاشعث • والله لاستأصلنك كما تستاصل الشافة ولا دمغنك كما تدمغ الدامغة • فقال انس اياى يعنى الامير أصلحه الله قال اياك سك الله سمعك قال انس انا لله وانا اليه راجعون • والله لولا الصبية الصغار ما باليت اى قتلة قتلت ولا اى ميتة مت • ثم خرج من عنده فكتب الى عبد الملك بن مروان يخبره بذلك • فلما قرأ كتابه استشاط غيظا وصفق عجبا وتعاظم ذلك من الحجاج • وكان كتاب انس الى عبد الملك • بسم الله الرحمن الرحيم الى عبد الملك بن مروان امير المؤمنين من انس بن مالك • اما بعد ان الحجاج قال لي هجرا واسمعنى نكرا ولم اكن له منك ومنه اهلا فخذ لي على يديه واعنّي فاني امتّ عليك بخدمتي رسـول الله (صلعم) وصحبتى اياه والسلام عليك ورحمة الله وبركاته • فبعث الى اسمعيل بن عبدالله بن ابى المهاجر وكان مصافيا للحجاج فقال دونك كتابى هذين فخذهما واركب البريد الى العراق فابدأ بانس بن مالك فادفع اليه كتابه وابلغه مني السلام وقل له يا ابا حمزة قد كتبت الى الملعون الحجاج كتابا اذا قرأه كان اطوع لك من امتك وكان كتاب عبد الملك الى انس • بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان الى انس بن مالك • اما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما كتبـت من شكايتك

الحجاج وما سلطته عليك ولاامرته بالاساءة اليك • فان عاد الى مثلها فاكتب الي بذلك انزل به عقوبتي وتحسن لك معونتي • فلما قرأ كتابه قال جزا الله امير المؤمنين خيرا وعافاه فهذا كان ظني به والرجاء فقال له اسمعيل يا أبا حمزة الحجاج عامل امير المؤمنين وليس بك عنه غنى ولا بأهل بيتك ولو جُعل لك فى جامعه ثم دفع اليك لقدر ان يضرك وينفع فقاربه وداره فقال افعل ان شاء الله تعالى • ثم خرج اسمعيل من عنده فدخل على الحجاج فلما راه قال مرحبا برجل احبه وقد كنت احب لقاءه فقال قد والله كنت احب لقاءك فى غير ما اتيتك به قال وما اتيتنى به قال فارقت امير المؤمنين وهو اشد الناس عليك غيظا ومنك بعدا • فاستوى جالسا مرعوبا فرمى اليه بالطومار فجعل ينظر فيه ويطرق وينظر الى اسمعيل اخرى فلما فهم قال مربنا الى ابى حمزة نعتذر اليه وترضاه قال لا تعجل قال كيف لا اعجل وقد اتيتنى بآبدة ثم رمى بالطومار اليه وقال اقرأ فاذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالملك بن مروان ، الى الحجاج ابن يوسف •

اما بعد فانك عبد طمت بك الامور فطغيت ، وعلوت فيها حتى جزت قدرك ، وعدوت طورك ، وأيم الله يابن المستغرمة بعجم زبيب الطائف ، لاغمزنّك كبعض غمزات الليوث للثعالب ، ولاركضنّك ركضة تدخل منها فى وجعاء أمّك • اذكر مكاسب آبائك بالطائف ، اذ كانوا ينقلون الحجارة على أكتافهم ، ويحفرون الآبار فى المناهل بأيديهم •• فقد نسيت ماكنت عليه أنت وآباؤك من الدناءة واللؤم والضراعة • وقد بلغ امير المؤمنين استطالة منك على أنس بن مالك ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جرأة منك على امير المؤمنين، وغرّة بمعرفة غيره ونقماته وسطواته على من خالف سبيله ، وعمد الى غير محبته ونزل عند سخطه ، وأظنّك اردت أن تروزه بها لتعلم

ما عنده من التغيير والتنكير فيها فان سوغتها مضيت قدما وان نغصتها وليت دبرا فعليك لعنة الله من عبد أخفش العينين ، اصك الرجلين ، ممسوح الجاعرتين . وأيم الله لو أن امير المؤمنين علم انك اجترمت منه جرماً وانتهكت له عرضا فيما كتب به الى امير المؤمنين لبعث اليك من يسحبك ظهراً لبطن حتى ينتهي بك الى انس بن مالك ، فيحكم فيك بما احب ولن يخفى على امير المؤمنين نبؤك ولكل نبأ مستقر ، وسوف تعلمون .

فأتاه وترضاه ولم يعرف لعبد الملك منقبة اكرم من هذه .

ذكر قتله عليه من الله ما يستحقه لسعيد بن جبير رحمه الله عليه .

كان سعيد بن جبير قد خرج مع الامراء الذين خرجوا على الحجاج وشهد دير الجماجم فلما انهزم اصحاب ابن الاشعث هرب فلحق بمكة شرفها الله فبقي زمانا طويلا ثم ان خالد بن عبدالله القسري وكان واليا للوليد على مكة اخذه وانفذه الى الحجاج بن يوسف مع اسمعيل بن اوسط البجلي فقال له الحجاج ما الذي اخرجك فقال كانت لابن الاشعث في عنقي بيعة وعزم علي فقال رأيت لعدو الله عزيمة لم ترها لله ولا لامير المؤمنين والله العظيم لا ارفع يدي حتى اقتلك واعجلك الى النار . فقام مسلمة الاعور ومعه سيف فأمره فضرب عنقه .

عن انس ان الحجاج بن يوسف بعث الى سعيد بن جبير فاصابه الرسول بمكة فلما سار به ثلثة ايام رآه يصوم نهاره ويقوم ليله فقال له الرسول والله لاعلم اني لا اذهب بك الا الى من يقتلك بك الى من يقتلك فاذهب فى اي طريق شئت فقال له سعيد انه سيبلغ الحجاج انك اخذتني فان خليت عني خفت ان يقتلك . لكن اذهب بي اليه فذهب به . فلما دخل عليه قال له الحجاج ما اسمك قال سعيد بن جبير قال بل شقي بن كسير قال امي سمتني سعيدا قال شقيت

وشقيت أمك قال سعيد : الغيب يعلمه الله قال له الحجاج اما والله لابدلنك من دنياك نارا تلظى قال لو علمت ان ذلك اليك ما اتخذت الها غيرك ثم قال له الحجاج ما تقول في رسول الله قال نبي مصطفى خير الباقين وخير الماضين قال فما تقول في ابى بكر الصديق قال ثاني اثنين اذ هما في الغار اعز به الدين وجمع به الفرقة قال فما تقول في عمر بن الخطاب قال ما زوق واحد من خيرة الله في ارضه مارزقه احب رسول الله ان يعز الاسلام باحد الرجلين فكان احقهما بالخيرة والفضيلة قال فما تقول في عثمان بن عفان قال مجهز جيش العسرة والمشترى بيتا في الجنة والمقتول ظلماً قال فما تقول في علي بن ابي طالب قال اولهم اسلاما تزوج بنت رسول الله التى هى احب اولاده اليه قال فما تقول في الخلفاء منذ كان رسول الله والى الان قال لست عليهم بوكيل قال فما تقول في عبد الملك بن مروان قال ان يكن محسنا فعند الله ثواب احسانه وان يكن مسيئا فلن يعجز الله • قال فما تقول في قال انت اعلم بنفسك قال بث لي علمك قال اذن اسوءك ولا أسرك قال بث قال نعم ظهر منك جور في حكم الله وجرأة على معاصيه بقتلك اولياء الله قال والله لاقطعنك قطعاً ولافرقن اعضاءك عضوا عضوا • قال اذن تفسد علي دنياى وافسد عليك آخرتك والقصاص امامك • قال الويل لك من الله • قال الويل لمن زحزح عن الجنة وادخل النار • قال اذهبوا به فاضربوا عنقه • قال سعيد اني اشهد ان لا اله الا الله واشهد أن محمداً رسول الله استحفظكها حتى القاك يوم القيامة • فلما ذهبوا به ليقتل تبسم فقال له الحجاج مم ضحكت قال من جرأتك على الله وحلمه عنك • فقال الحجاج اضجعوه للذبح فاضجع فقال وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض فقال الحجاج اقلبوا ظهره الى القبلة فقرأ سعيد فأينما تولوا فثم وجه الله • قال كبوه على وجهه فقرأ سعيد منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى • فذبح من قفاه رحمة الله عليه • فلما بلغ ذلك الحسن

البصري قال يا قاصم الجبابرة قصم الحجاج بن يوسف فما بقي الاثلاثة حتى وقع فى جوفه الدود فمات • وقيل عاش بعده احد عشر يوما • ولما بان راس سعيد قال لا اله الا الله • ثم قال الثانية فلم يتمها • وقال الحسن لما قتل سعيد وكان متواريا لعنة الله والناس على الحجاج بن يوسف ثم قال والله لو ان اهل المشرق والمغرب اجتمعوا على قتل سعيد ادخلهم الله النار وقتل ومقدار عمره سبع وخمسون سنة وقيل تسع واربعون سنة وقيل اقل والله اعلم •

ثم دخلت سنة ست وتسعين فيها اراد الوليد الشخوص الى اخيه سليمان ليخلفه ويبايع لابنه عبد العزيز بعده فمرض ومات قبل ان يسير فاستخلف سليمان •

ذكر خلافة

سليمان بن عبدالملك

ـ هو ابو ايوب سليمان بويع له بعد وفاة اخيه وكان بالرملة فوصل الخبر اليه بعد سبعة ايام فبويع وسار الى دمشق على فاقة من الناس اليه لما كانوا فيه من جور الوليد • فلما بويع احسن السيرة ورد المظالم وفك الاسرى واطلق اهل السجون واتخذ عمر بن عبد العزيز وزيره وعهد اليه • وكان طويلا جميلا ابيض فصيحا اديبا معجبا بنفسه متوقفا عن الدماء • وكان شرها على الطعام مغرما بالنساء ويأكل فى كل يوم مائة رطل •• وفي ايامه فتحت مدينة الصقالبة فى سنة ثمان وتسعين وكان قد نشأ بالبادية عند اخواله فلما قدم دمشق صعد المنبر فخنقته العبرة ثم قال :

ركب تخب به المطي فغافل ... عن سيره ومشمر لم يغفل
لابد ان يرد المقصر والذى ... خب النجاء محلة لم تحلل

ايها الناس رحم الله من ذكر فاذكر فان العظة تجلو العماء انكم اوطنتم انفسكم دار الرحلة واطمأننتم الى دار الغرور فألهاكم الامل وغرتكم

الاماني فاتتم سفر وان اقمتم ومرتحلون وان وطنتـم • لاتتشكى مطاياكم الم الكلال ولا ينفيها دأب السير ليل يدلج بكم واتتم نائمون ويجد بكم واتتم غافلون • لكم في كل يوم مشيع لايستقبل ومودع لايؤوب او لا ترون رحمكم الله ما اتتم فيه متنافسون وعليه مواظبون ولـه مؤثرون من كثير يفنى وجـديد يبلى كيف اخـذه المخلّفـون وحوسبوا به دون المتنعم به فاصبح كل منهم رهنا بما كسبت يداه وما الله بظلام للعبيد فيا ايها اللبيب المستبصر فيم تذهب ايامك ضياعا وعمـا قليل يقع محذورك وينزل بك ما أطرحته وراء ظهرك فأسلمك عشيرك وفر منك قرينك فنبذت بالعراء وانقضت عنك الدنيا • فامهد لنفسك ايها المغرور واعمل قبل ركوب المضيق وسد الطريق فكأني بك قد ادرجت فى اطمارك واودعت بلحدك وتصدع عنك اقربوك واقتسم مالك بنوك ورجع القوم يرعون فى زهرات مونق دنياك التى كدحت لها وارتحلت عنها وانت كما قيل :

ستترحل عن دنيا قليل بقاؤها   عليك ولن تبقى فانك فاني

ان لله عبادا فروا منه اليه فجالت فكرتهم فى ملكوت العظمة فعزبت عن الدنيا نفوسهم • ايها الناس اين الوليد وابو الوليد وجد الوليد خلفاء الله وامراء المؤمنـين وساسة الرعية اسمعهم الداعي وقبض العارية معيرها واضمحل ما كان كأن لم يكن واتى ما أتى كأنه لم يزل وباؤا به وانقضت بهم المدد ورفضتهم الايام وشمرتهم الحادثات فسلبوا عز السلطنة ونغصوا لذة الملك وذهب طيب الحيوة • فارقوا والله القصور وسكنوا القبور واستبدلوا بلين الغطاء خشـونة الثرى فهم رهائن التراب الى يوم الحساب • فرحم الله عبدا مهد لنفسه واجتهد لدينه واخذ بحظه وعمل في حياته وسعى فى صلاحه • يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وماعملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا • ايها الناس ان الله عز وجل جعل المـوت حتما سبق بحكمه ونفذ به قدره لئلا يطمع احد فى الخلود ولايطغي المعمّر عمره وليعلم

المتخلف المقدم وانه غير مخلد • جعل الله الدنيا دارا لاتقوم الا بأئمة العدل ودعاة الحق وان لله عباداً يملكهم أرضه ويسوس بهم عباده ويقيم بهم حدوده ويجعلهم دعاة عباده وقد اصبحت فى هذا المقام الذى انا به غير راغب فيه ولا منافس عليه ولكنها احدى الربق اغلقها الراهن مساغ المزدرد ومخرج النفس ولولا ان الخلافة تحفة من الله كفر بالله خلعها لتمنيت اني كأحد المسلمين يضرب لي معهم قدح فعلى رسلكم بني الوليد فانى شبل عبد الملك وناب مروان لا يضلعنى حمل الناس ولا يفزعني صريف الاجفر وقد وليت من امركم ما كنت له مكفياً وأصبحت خليفة واميراً وما هو الا العدل او النار • وليجدني الممارس له اخشن من مضرس الكذان • فمن سلك المحجة حذي نعل السلامة ومن عدل عن الطريق وقع فى وادي التهلكة والضلالة • الا فان الله سائل كلا عن كل فمن صحت نيته ولزم طاعته كان بصراط التوفيق ومرصد المعونة فكتب له سبيل الشكر والمكافأة • فابلوا العافية فقد رزقتموها والزموا السلامة فقد وجدتموها • فمن سلمنا منه سلم ومن تاركنا تاركناه ومن نازعنا قتلناه • فارغبوا الى الله فى صلاح شانكم وقبول اعمالكم وطاعة سلطانكم فأنى والله غير مبطل لله حدا ولا تارك له حقا • اشكمها عثمانية عمرية • قد عزلت كل امير كرهته رعيته ووليت على اهل كل بلد من اجمع عليه خيارهم واتفقت عليه كلمتهم وقد جعلت للغزو اربعة اشهر وفرضت لذرية الغازي سهم المقيمين امرت بصدقة كل مصر فى اهله الاسهم العامل عليها وفى سبيل الله وابن السبيل فان ذلك الي• وانا اولى بالنظر فيه فرحم الله امرءا عرف سهو المغفل عن مفروض حق او واجب فأعان برأي وانا اسأل الله العون على صلاحكم فانه يجيب السائلين جعلنا الله واياكم ممن ينتفع بموعظته ويوفي بعهده فانه سميع للدعاء واستغفر الله لي ولكم •

ذكر طرف من اخباره

قيل انه وفد عليه ابو هاشم عبدالله بن محمد بن علي بن ابي طالب فأكرمه وسار يريد فلسطين فأنفذ من جلس له على الطريق بتين مسموم فاكل منه فاحس بالموت فعاد الى الحميمة فاجتمع بمحمد بن على ابن عبدالله بن عباس فأعلمه ان الامر في ولده واولهم عبدالله بن الحارثية وعن سليمان بن عبدالله عن ابيه قال كان سليمان بن عبد الملك اكولا وكانت بينه وبين عبد الله بن عبدالله وصلة • قال لنا سليمان يوما اني قد امرت قيم بستانى ان يحبس الفاكهة ولايجنى منها شيئا حتى تدرك فاغدوا علي مع الفجر فغدونا عليه فاذا به يقول لاصحابه الذين كان انس بهم لنأكل الفاكهة فى برد النهار • فغدونا فى ذلك الوقت وصلى الصبح وصلينا ثم دخل ودخلنا معه فاذا الفاكهة متهدلة على اغصانها واذا كل فاكهة مختارة قد ادركت اكلها فقال كلوا ثم اقبل عليها فاكلنا جهد الطاقة واقبلنا نقول يا امير المؤمنين هذا العنقود فيخرطه فى فيه • يا امير المؤمنين هذه التفاحة وكلما رأينا شيئا نضيجا أومأنا اليه فيأخذه فيأكلهحتى ارتفع النهار ومتع ثم اقبل على قيمالبستان

فقال ويحك يا فلان انى قد جعت فهل عندك شيء تطعمينه فقال عناق حولية حمراء قالأيتني بها ولا تأتنى معها بخبز فجاء بها علىخوان لا قوائم له وقد ملأت الخوان فأقبل يأخذ العضو فيحطه فى فيه ويلقى العظم حتى اتى عليها ثم عاد لأكل الفاكهة • ثم قال للقيم ويحك يا فلان ما عندك شيء تطعمنيه قال بلى يا أمير المؤمنين دجاجتان داجنتان قد تفقأتا شحما قال أيتني بهما ففعل بهما كما فعل بالعناق ثم عاد لأكل الفاكهة فأكل مليا • ثم قال للقيم هل عندك شيء تطعمنيه فاني قد جعت قال عندي سويق كأنه قطع الأوتار وسمنوسكر قال أفلا اعلمتني هذا قبل اناتيتنى بماأتيت • ايتني بهوأكثر • فأتىبقعب يقعد فيهالرجل وقد ملاه من السويق وخلطه بالسكر فصب عليه السمن واتي بجرن من

ماء بارد وكوز فأخذ القعب على يده واقبل القيم يصب عليه الماء فيحركه ويأكله او قال يشربه حتى كفأه على وجهه فارغاً . ثم عاد الى الفاكهة فأكل ملياً حتى علت الشمس ودخل الى مجلسه فما مكث ان خرج علينا فلما جلس قام كبير الطباخين حياله يستأذنه بالغداء فأومأ ان أئت بالغداء فوضع امامه مائدة فأكل فما فقدنا من اكله شيئا .

ذكر وفاته

توفى بذات الجنب بدابق فى عاشر صفر سنة تسع وتسعين وله خمس واربعون سنة وكانت خلافته سنتين وثمانية اشهر ونقش خاتمه منت بالله مخلصا .

ذكر اولاده وقضاته وكتابه وحاجبه

كان له من الولد اربعة عشر ذكرا . وكان قاضيه محمد بن حزم وكاتبه يزيد[1] بن المهلب وحاجبه ابو عسكر مولاه .

ذكر الحوادث التى جرت فى ايام خلافته

سنة سبع وتسعين توفي فيها ابراهيم بن يزيد بن الاسود ابو عمران النخعى كان اماما فى الفقه تعظمه الاكابر . وكان سعيد بن جبير يقول اتستفتوني وفيكم ابراهيم بن يزيد وكان فى بكرة هذه السنة حوداث كثيرة تركناها لموضع الاختصار . وفى سنة ثمان وتسعين بايع سليمان بن عبد الملك لابنه ايوب وجعله ولي عهده وفيها مات عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلى ويكنى ابا عبدالله وكان شاعرا . قال ابن أبي الزناد قدمت المدينة امرأة من هذيل وكانت جميلة جدا فرغب الناس فيها فخطبوها وكادت تذهب بعقولهم فقال عبيد الله بن عبدالله شعرا

(١) لم يكن يزيد بن المهلب كاتبه وانما كان عامله على العراق ثم على خراسان .

أحبك حبا لا يحبك مثله قريب ولا فى العاشقين بعيد
احبك حبا لوشعرت ببعضه لجدت ولم يصعب علي شديد
وحبيك يا ام الصبى مدلهى شهيدي أبو بكر فنعم شهيد
ويعرف وجدى قاسم ومحمد وعروة ما القى بكم وسعيد
ويعلم ما القى سليمان علمه وخارجة يبدى بنا ويعيد
متى تسألي عما اقول وتخبرى فوالله عندى طارف وتليد

فقال سعيد بن المسيب امّا انت فقد والله أمنت تُسالنا ولولا ذلك لما طمعت ان نشهد لك بزور قال الزبير وهؤلاء الذين استشهدهم فقهاء المدينة السبعة الذين اخذ عنهم الدين • ثم دخلت سنة تسع وتسعين وفيها مات سليمان وتولى الخلافة عمر بن عبدالعزيز •

ذكر خلافة

عمر بن عبد العزيز

بن مروان بن الحكم

ويكنى ابا حفص أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب روى عن ابن عمر وانس بن مالك وعبدالله بن جعفر وعمر بن ابى سلمة والسائب بن يزيد وارسل الحديث عن جماعة من القدماء وروى عن خلق كثير من التابعين وكان عالما اديبا • قال ابن شوذب لما اراد عبد العزيز بن مروان ان يتزوج ام عمر قال لقيّمه اجمع لي اربعمائة دينار من طيب مالى فانى اريد ان اتزوج الى اهل بيت لهم صلاح فتزوج ام عمر وما زال عمر يميل الى الخير والدين مع انه ولي الامارة وكانوا يفزعون اليه فى احوالهم ولما مرض سليمان بن عبد الملك كتب كتاب العهد لابنه ولم يكن بالغاً فرده عن ذلك رجاء بن حيوة فقال له ما ترى في ابني داود فقال له هو غائب عند القسطنطينية وأنت لا تدرى احى هو ام ميت قال فمن فقال رأيك يا امير المؤمنين قال

فما ترى فى عمر فقال اعلمه والله فاضلا خيرا فقال له ان وليته ولم اول احدا من ولد عبدالملك لتكونن فتنة ولايتركونه فكتب له وجعل من بعده يزيد اخاه وختم الكتاب وامر ان يجمع اهل بيته وامر رجاء بن حيوة ان يذهب بكتابه اليهم وامرهم ان يبايعوا من فيه ففعلوا ثم دخلوا على سليمان والكتاب بيده فقال هذا عهدي فاسمعوا له واطيعوا ففعلوا قال رجاء بن حيوة فجاءنى عمر بن عبد العزيز فقال يا رجاء قد كان لي عند سليمان حرمة وانا اخشى ان يكون قد أسند الي من هذا الامر شيئا فان كان فاعلمني استعفه فقال رجاء والله لا أخبرك بحرف واحد فمضى قال وجاءنى هشام وهو يضرب بيد على يد ويقول فالى من • فلمامات سليمان جددت البيعة فبايعوا ثم قرىء الكتاب فلما ذكر عمر بن عبد العزيز نادى هشام والله لاابايع قال رجاء اذاً والله اضرب عنقك قم فبايع فقام يجر رجليه ويسترجع اذ خرج عنه هذا الامر وعمر يسترجع اذ وقع فيه ثم جى بمراكب سليمان بن عبد الملك مراكب الخلافة فقال عمر قربوا لي بغلتى وانشد

ولولا التقى ثم النهى خشية الردى لعاصيت فى حب الهوى كل زاجر
قضى ماقضى فيمامضى ثم لاترى له صبوة اخرى الليالى الغوابر

ثم قال ان شاءالله ثم خطب فقال ايها الناس قد ابتليت بهذا الامر من غير رأي كان مني فيه ولا مشورة وانى قد خلعت ما فى اعناقكم من بيعتى فاختاروا لانفسكم فصاح الناس صيحة واحدة قد اخترناك يا امير المؤمنين رضينا بك تلي امرنا باليمن والبركة فقال اوصيكم بتقوى الله فيها خلف من كل شيء وليس من تقوى الله خلف فاعملوا لآخرتكم فانه من عمل لآخرته كفاه الله امر دنياه وأصلحوا سرائركم يصلح الله علانيتكم واكثروا ذكر الموت وآحسنوا الاستعداد له قبل ان ينزل بكم وان امرءاً لا يذكر من آبائه فيما بينه وبين آدم اباً حيا لمعرق فى المـــوت •

ثم نزل فدخل داره فامر بالستور فهتكت والفرش التى كانت تبسط للخلفاء فحملت وأمر ببيعها وادخال ثمنها في بيت المال ورد المظالم ولما بلغ الخوارج سيرة عمر بن عبدالعزيز وما رد من المظالم قالوا ما ينبغى لنا ان نقاتل هذا الرجل وبلغ ذلك عمر بن الوليد بن عبدالملك فكتب اليه انك قد زريت على من كان قبلك من الخلفاء وعبت عليهم سيرتهم وسرت بغيرها بغضا ونصبا لمن بعدهم من اولادهم وقطعت ما أمر الله به ان يوصل اذ عمدت الى أموال قريش ومواريثهم فأدخلتها بيت المال جوراً وعدوانا ولن تترك على هذا . فلما قرأ كتابه كتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله عمر امير المؤمنين الى عمر بن الوليد السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . اما بعد فانني بلغنى كتابك وسأجيبك بنحو منه اما اول شأنك يابن الوليد كما زعم فانك ابن نباتة امة السكون كانت تطوف فى سوق جمعين وتدخل فى حوانيتها ثم الله اعلم بما اشتراها ذبيان من مال المسلمين فاهداها لابيك فحملت بك فبئس المحمول وبئس المولود ثم نشأت فكنت جباراً عنيدا تزعم اني من الظالمين لما حرمتك واهل بيتك فى الله عز وجل من مال الله الذي فيه حق القرابة والمساكين والأرامل وان أظلم مني واترك لعهد الله من استعملك صبيا سفيهاً على جند المسلمين تحكم فيهم برأيك ولم يكن له فى ذلك نية الا حبه الزائد لولده فويل لك وويل لابيك ما اكثر خصما كما يوم القيمة وكيف ينجو ابوك من خصمائه وان اظلم مني واترك مني لعهد الله من استعمل الحجاج بن يوسف الثقفي يسفك الدم الحرام ويأخذ المال الحرام وان اظلم مني واترك لعهد الله من استعمل قرة بن شريك اعرابيا جافيا على مصر واذن له فى المعازف واللهو والشرب . وان اظلم مني واترك لعهد الله من جعل للغالبة اليزيدية سهما فى خمس الاسلام فرويدا يا ابن نباتة فلو التقت حلقتا البطان ورد الشيء الى اهله لتفرغت لك ولاهل بيتك فوضعتكم على المحجة البيضاء فطالما تركتم الحق واخذتم فى بنيات

الطريق ومن وراء هذا ما أرجو أن أكون رأيته ببيع رقبتك ويقسم ثمنك بين اليتامى والمساكين والارامل فان لكل فيك حقا والسلام علينا ولا ينال سلام الله القوم الظالمون وكان نقش خاتم عمر بن عبد العزيز الوفاء عزيز . وكانت مبايعته بدابق يوم الجمعة عاشر صفر سنة تسع وتسعين وكان أسمر نحيفاً حسن الوجه يؤثر دينه على دنياه فى وجهه شجة من دابة ضربته واشترى ملطية من الروم بمائة الف اسير[1] وبناها وهو الذي منع من سب علي بن ابي طالب عليه السلام على المنابر يوم الجمعة وجعل عوض ذلك ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى الاية وفيه يقول الشريف السيد الرضي الموسوي .

يا ابن عبد العزيز لو بكت العين فتى من امية لبكيتك
انت نزهتنا عن السب والشتم فلو امكن الجزاء جزيتك
غير انى اقول انك قد طبت وان لم يطب ولم يزك بيتك

ومات فى رجب سنة احدى ومائة عن نيف وخمسين سنة وخلافته سنتان وشهر .

ذكر اولاده ونوابه

كان له اربعة عشر ولدا وخمس بنات منهم عبد الملك وكان ناسكا ومات فى حيوته عن تسع عشرة سنة . وعبد الله وكان شجاعا ولى العراق ليزيد بن الوليد بن عبد الملك واحتفر نهر ابن عمر بالبصرة واراد اهل البصرة أن يبايعوه بعد يزيد . وكان اميره على مصر ايوب بن شرحبيل وقاضياه عبد الله بن سعيد وعبدالله بن يزيد وكتّابه رجاء بن حيوة الكندى وابن ابى رقية وحاجبه حبيس ومزاحم مولياه .

---

(١) يبعد ان يكون لديه هذا العدد من اسرى الروم .

ذكر الحوادث التي جرت في ايام خلافته

قيل دخل كثير على عمر بن عبدالعزيز فاستأذن فى الانشاد فقال له قل ولاتقل الا حقا فقال

وليت فلم تشتم عليا ولم تخف بريا ولم تقبل اشارة مجرم
وصدقت بالفعل المقال مع الذي اتيت فامسى راضيا كل مسلم
وقدلبست لبس الهلوك ثيابها ولاحت لك الدنيابوجه ومعصم
وتومض احيانا بعين مريضة وتبسم عن مثل الجمان المنظم
فاعرضت عنها مشمئزا كانما سقتك مدوفا من سمام وعلقم
وقد كنت من اجبالها فى ممنع ومن بحرها فى مزبد الموج مفعم
فلما اتاك الله عفوا ولم يكن لطالب دنيا بعدها من تكلم
تركت الذي يفنى وان كان مونقا وآثرت ما يبقى براى مصمم
سما لك هم فى الفواد مورق بلغت به اعلى البناء المقدم
فما بين شرق الارض والغرب مناد ينادي من فصيح واعجم
يقول امير المؤمنين ظلمتنى بأخذ لدينار ولا اخذ درهم
ولا بسط كف لامرى غيرمجرم ولا السفك منه ظالما ملء محجم
فاربح بها من صفقــة لمبايع واعظم بها اعظم بها ثم اعظم

فقال له ياكثير انك تسأل عما قلت ثم تقدم الاحوص فاستاذن فقال قل ولا تقل الا حقا فقال

وما الشعر الا خطبة من مؤلف بمنطق حق او بمنطق باطل
فلا تقبلن الا الذى وافق الرضى ولا ترجعنا كالنساء الأرامل
رايناك لاتعدو عن الحق يمنة ولا شأمة فعل الظلوم المخاتل
ولكن اخذت القصد جهدك كله بقدر مثال الصالحين الاوائل
فقلنا ولم نكذب بما قد بدالنا ومن ذا يرد الحق من قول قائل
ومن ذا يرد السهم بعد مضائه على قوقه اذغار من نزع ناضل
ولولا الذى قد عودتنا خلائف غطارف كانوا كالليوث البواسل

لما وخدت شهرا برحلي رسلة تقد قفار البيد دون الرواحل
فان لم يكن للشعر عندك موضع وان كان مثل الدر من قول قائل
فان لنا قربى ومحض مودة وميراث آباء مشوا بالمناصل
فذادوا عمود الشرك عن عقر دراهم وارسوا عمود الدين بعد التمايل
وقبلك ما اعطى هنيدة جلة على الشعر كعبا من سديس ووائل
رسول الاله المستضاء بنوره عليه سلام بالضحى والاصائل
فكل الذى عددت يكفيك بعضه وقلك خير من بحور سوائل

قال يا أحوص انك تسأل عما قلت • وتقدم نصيب فاستأذن فى الانشاد فلم يأذن له وامره بالغدو الى دابق فخرج وهو محموم ثم امر للاحوص بمثل ما امر لكثير من الدراهم ولنصيب بخمسين درهما وما زال عمر بن عبد العزيز منذ ولي مجتهدا فى العدل وبمحو الظلم وترك الهوى • وكان يقول للناس الحقوا ببلادكم فاتى انساكم هاهنا واذكركم هناك ومن ظلمه عامله فلا اذن له علي • وخيَّر جواريه فقال لهن لما ولى قد جاءني امر شغلني عنكن فمن أحبت ان اعتقها اعتقتها ومن احبت ان أمسكها امسكتها ولم يكن مني اليها شيء • قالت زوجته فاطمة ما أعلم انه اغتسل لا من جنابة ولا من احتلام منذ ولي الى ان مات • وقيل لها اغسلي قميصه فقالت والله ما يملك غيره •

عن الهيثم بن عدى • قال كانت لفاطمة بنت عبد الملك زوجة عمر بن عبد العزيز جارية ذات جمال فائق وكان عمر معجبا بها قبل الخلافة فطلبها منها وحرص ففارت من ذلك فلم تزل فى نفسه حتى استخلف فلما استخلف امرت فاطمة بالجارية فأصلحت ثم حليت فكانت حديثا في جمالها ، ثم دخلت فاطمة بالجارية على عمر فقالت يا امير المؤمنين انك قد كنت بجاريتي فلانة معجبا وسألتنيها فأبيت ذلك عليك وان نفسى قد طابت لك بها فدونكها • فلما قالت ذلك استبانت الفرح فى وجهه • فلما دخلت عليه نظر الى شيء اعجبه فازداد بها عجبا فقال لها القي ثوبك فلما همت ان تفعل قال على رسلك اقعدي اخبريني لمن كنت

ومن أين انت لفاطمة . فقالت كان الحجاج بن يوسف الثقفي اغرم عاملاً كان له من أهل الكوفة مالاً وكنت فى رقيق ذلك العامل فأستصفانى منه مع رقيق واموال فبعث بى الى عبد الملك وانا يومئذ صبية فوهبنى عبدالملك لابنته فاطمة . قال وما فعل ذلك العامل قالت هلك قال او ما ترك ولداً قالت بلى قال ما اصلك قالت : سندية ثم كتب الى عبدالحميد عامله على الكوفة ان سرح الي فلان على البريد فسرحه فلما مثل بين يديه قال ارفع الي جميع ما أغرم الحجاج أباك فلم يرفع اليه شيئاً الا دفعه اليه ثم أمر بالجارية فدفعت اليه فلما اخذ بيدها قال اياك واياها فانك حدث السن ولعل اباك ان يكون قد وطئها فقال الغلام يا امير المؤمنين هى لك قال لا حاجة لى فيها قال فابتعها مني قال لست اذن ممن ينهى النفس عن الهوى ويرجع فمضى بها الفتى . فقالت له الجارية ما موجدتك بى يا امير المؤمنين قال انها لعلى حالها ولقد ازدادت . فلم تزل الجارية فى نفس عمر الى ان مات .

وفى سنة تسع وتسعين فى خلافة عمر بن عبدالعزيز توفي[١] ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيدالله التيمي وكان شريفاً كريماً ويسمى أسد قريش واسد الحجاز . وكان اعرج وهو اخو عبدالله بن حسن بن حسن لأمه فاطمة ابنة الحسين[٢] . روى عن ابى هريرة وابن عمر وابن عباس واستعمله عبدالله بن الزبير على خراج الكوفة وتوفى ليلة جمع بمنى محرما ودفن اسفل العقبة . وفى هذه السنة توفى سليمان بن عبد الملك فى ليلة الجمعة لعشر بقين وقيل مضين من شهر صفر

---

(١) الصحيح انه توفي في خلافة هشام .

(٢) هذا وهم ان اخا عبدالله بن حسن بن حسن لامه فاطمة بنت الحسين هو : محمد الديباج بن عبدالله ابن عمرو بن عثمان ابن عفان . اما هذا فهو ابن خالها اذ كانت امها ام اسحق بنت طلحة بن عبيد الله والمعروف ان ابراهيم بن محمد عمر الى ايام خلافة هشام بن عبد الملك وله معه حديث مأثور .

وكانت خلافته سنتين وثمانية اشهر وخمسة ايام وهو ابن تسع وثلاثين سنة وستة اشهر .

ثم دخلت سنة مائة وفيها خرجت الخارجة على عمر بن عبد العزيز ذكر ابو عبيدة معمر بن المثنى ان الذى خرج على عبد الحميد بالعراق فى خلافة عمر بن عبد العزيز شوذب واسمه بسطام من بني يشكر وكان مخرجه فى ثمانين فارسا اكثرهم من ربيعة . فكتب عمر بن عبدالعزيز الى عبد الحميد ان لايحركهم الا ان يفسدوا فى الارض او يسفكوا دماً فان فعلوا فحل بينهم وبين ذلك وانظر رجلاً حازماً فوجهه اليهم ووجه معه جندا واوصه بما امرت به وعقد عبد الحميد لمحمد بن جرير فى الفين من اهل الكوفة وامره بما امره عمر وكتب عمر الى شوذب يدعوه ويسأله عن مخرجه وقدم كتاب عمر عليه وفيه بلغنى انك خرجت غضبا لله تعالى ولنبيه (صلعم) ولست اولى بذلك منى فهلم اناظرك فان كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس وان كان فى يدك نظرنا فى امرك . فلم يحرك بسطام شيئا وكتب الى عمر قد انصفت وقد بعثت اليك برجلين يناظرانك فدخلا عليه فقالا أخبرنا عن يزيد بن عبدالملك لم تعده خليفة بعدك قال صيّره غيرى . قالا ارايت لو وليت مالا لغيرك ثم وكلته الى غير مأمون عليه اتراك كنت اديت الامانة الى من ائتمنك . قال انظر تقدم : اني ثلاثا فخرجا من عنده . وخاف بنو امية ان يخرج ما فى ايديهم من الاموال وان يخلع يزيد من العهد فدسوا الى عمر من سقاه سما فلم يلبث بعد خروجهما الا ثلاثا ومات

ذكر خلافة

يزيد بن عبد الملك

وكنيته ابو خالد وامه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بويع بالخلافة فى خامس عشر رجب سنة احدى ومائة . وكان جميلا جسيما ابيض مدور الوجه كبيره شديد الكبر عاجزاً . وكان صاحب لهو ولذات وكان له

جارية اسمها حبابة وكان مشغوفا بها . فلما ماتت مات اسفا وحزنا وتركها اياما لم يدفنها . فلما دفنها نبشها بعد الدفن وشاهدها حتى عوتب في ذلك فدفنها ثم نبشها مرة اخرى وشاهدها من وجده عليها . وفى ايامه خرج يزيد بن المهلب بالبصرة فوجه اليه أخاه مسلمة فقتله ولم يحج سني خلافته . وكان نقش خاتمه فني الشباب يا يزيد .

ذكر وفاته

توفى بحوران خامس شعبان سنة خمس ومائة وله تسع وعشرون سنة وخلافته اربع سنين وشهرا

ذكر اولاده ونوابه

كان له من الولد ثمانية ذكور منهم عبدالله ولده سبعة خلفاء ابوه يزيد وجده عبد الملك وجد ابيه مروان وجدته عاتكة بنت يزيد بن معاوية وامه سعدى بنت عبدالله بن عمر بن عثمان بن عفان وام عبدالله بنت عمر بن لخطاب ومنهم الوليد بن يزيد ولي الخلافة ثم قتل . وكان اميره على مصر بشر بن صفوان وقاضيه أبا مسعود عبدالله المقدم ذكره وعبد الرحمن بن الخشخاش وكاتبه عمر بن هبيرة وابراهيم بن جبلة وأسامة بن زيد وحاجبه سعيداً مولاه .

ذكر خلافة

هشام ابو الوليد

هشام بن عبدالملك بويع بعهد من اخيه يزيد وكان احول ابيض يخضب بالسواد مسمنا منقلب العين ربعة وله سياسة فى الملك وتيقظ فى اموره يباشرها بنفسه . وفى ايامه خرج زيد بن علي بالكوفة فدعا الى نفسه فقتله يوسف بن عمر وصلبه وذلك فى سنة احدى وعشرين ومائة وفى ايامه بنى اخوه سعيد بيت المقدس وحج بالناس سنة ست

ومائة وفى ايامه ظهرت دعاة بنى العباس بخراسان وكثرت اتباعهم ومات بكير بن ماهان وكان من كبار الدعاة واستخلف بعده ابا سلمة الخلال وتوفى علي بن عبدالله بن العباس عن ثمان وتسعين سنة لانه ولد فى الليلة التى قتل فى صبيحتها على بن ابى طالب كرم الله وجهه •

ذكر وفاة هشام بن عبد الملك

توفي بالرصافة فى سادس ربيع الاخر من سنة خمس وعشرين ومائة عن ثلاث وخمسين سنة وكانت خلافته تسع عشرة سنة وسبعة اشهر ونقش خاتمه الحكم للحكيم •

ذكر نوابه

كان اميره على مصر اخاه محمد بن عبد الملك ثم استعفى فولاها حفص بن الوليد الحضرمى ثم عزله وولاها عبدالملك بن رفاعـة ثم توفي فولاها عبدالرحمن بن خالد ثم صرفه وولى حنظلة بن صفوان ثم سيره الى افريقية وولى عوضه حفص بن الوليد • وكان قاضيه محمد بن صفوان ثم يحيى بن ميمون ثم سعيد بن ربيعة وكان حاجبه غالبا مـولاه •

ذكر شيء من الحوادث التى جرت فى ايام دولتهما وايام خلافتهما ومن توفي في المدة من المذكورين

قد ذكرنا انه لما تولى عمر بن عبد العزيز قام بالعدل وكان بنو أمية قد لقوا من التغليظ عليهم ما خافوا معه ان يعهد الى غيرهم فسموه ولما ثقل عمر بن عبد العزيز دعي له بالطبيب فلما نظر اليه قال الرجل قد سقي السم فلا آمن عليه الموت فرفع بصره فقال ولا تأمن الموت ايضاً على من لم يشرب السم قال فتعالج يا امير المؤمنين فاني اخاف ان تذهب نفسك قال ربي خير مذهوب اليه والله لو علمت ان شفائي عند شحمة اذنى ما رفعت يدي الى اذني فتناولته • اللهم خر لعمر فى لقائك فلم

يلبث الا اياما ومات . ولما سموه قال للخادم الذي سمه لم سممتني قال اعطاني فلان الف دينار قال اين الدنانير قال هي ها هنا فاتى بها اليه فامر ان توضع في بيت المال وقال للخادم اذهب ولم يعاقبه . وتوفي عمر لعشر ليال بقين من رجب لسنة احدى ومائة وهو ابن تسع وثلثين سنة وستة اشهر وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر ومات بدير سمعان واشترى قبره فدفن فيه . ولما توفي عمر بكت فاطمة (زوجته) حتى غشي عليها فدخل عليها اخواها مسلمة وهشام فقالا ما هذا الامر الذى قد دمت عليه أجزعاً على بعلك فاحق من جزع على مثلـه ام على ما فاتك من الدنيا فها نحن بين يديك واموالنا واهلونا فقالت ما من كل منهما جزعت ولا على واحد منهما اسفت ولكني والله رايت منه منظرا وهولا عظيما . قالا وما رايت منه قالت رايته ذات ليلة قائما يصلي فاتى على هذه الآية : يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش . فصاح واسوء صباحاه . ثم وثب فسقط فجعل يخور حتى ظننت ان نفسه ستخرج ، ثم هدأ فظننت انه قد قضى ثم أفاق افاقة فنادى واسوء صباحاه ثم وثب وجعل يخور فى الدار ويقول ويلي من يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث وتكـون الجبال كالعهن المنفوش .

ثم دخلت سنة اثنتين ومائة فيها قتل يزيد بن المهلب بن ابى صفرة ابو خالد . قتل فى محاربته وخروجه على يزيـد بن عبد الملك وكان جوادا كريما وقد ورد شيء من اخبار كرمه فى باب ذكر الاجواد ومن اعطى منهم وجـاد .

ثم دخلت سنة ثلاث ومائة . فيها مات عطاء بن يسار . روى عن ابي بن كعب وابن مسعود وابي ايوب وعن كثير من الصحابة وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً خيّرا صالحا متديناً .

ثم دخلت سنة اربع ومائة فيها مات ربعي بن خراش بن جحش بن

وعمرو بن حصين العبسي وكان ثقة صدوقا • وقيل انه ما كذب كذبة قط • وروى عن عمر وعلي وحذيفة وابي بكر وعمران بن حصين وكان لربعى بن خراش ابنان عاصيان فى زمن الحجاج بن يوسف فقيل للحجاج ان اباهما لم يكذب كذبة قط لو ارسلت اليه فسألته عنهما فارسل اليه فقال اين ابناك قال هما فى بيتي قال قد عفونا عنهما لصدقك • وفى هذه السنة مات عبدالله بن يزيد ابو قلابة الجرمى • وكان عالماً بالفقه بصيراً بالقضاء فلما طلب للقضاء هرب ومرض فدخل عليه عمر بن عبدالعزيز ليعوده فقال له يا أبا قلابة تشدد لا يشمت بنا المنافقون • ومات بالشام•

قال عثمان بن الهيثم كان رجل من اهل البصرة من بنى سعد وكان قائدا من قواد عبيدالله بن زياد لعنه الله فسقط من السطح فانكسرت رجلاه جميعاً فدخل عليه ابو قلابة ليعوده قال ارجو ان يكون لك خيرة فقال يا ابا قلابة واى خير فى كسر رجلي جميعا فقال ما ستر الله عليك اكثر فلما كان بعد ثلاث ورد عليه كتاب ابن زياد لعنه الله ان تخرج فتقاتل الحسين بن على عليهما السلام فقال للرسول قد اصابنى ما ترى • فما كان الا سبعا حتى اتى الخبر بقتل الحسين (رضه) فقال الرجل رحم الله ابا قلابة لقد صدق انه كان خيرة لى • وفى هذه السنة مات عامر

ابن شراحيل وقيل عامر بن عبدالله بن شراحيل وهو ابو عمر الشعبى من شعب همدان كوفي وامه من سبي جلولاء ولد لست سنين من خلافة عمر بن الخطاب هو واخ له فى يوم واحد وسمع من علي بن ابى طالب والحسن والحسين وعبدالله بن جعفر وابن عباس وابن عمر وابن الرئيس والبراء وجابر وانس وابى هريرة وعلي بن عيسى بن حاتم وسمرة وعمرو ابن حريث والمغيرة وزيد بن ارقم وغيرهم وكان متفننا فى العلوم وحافظاً ثقة • وقال ما كتبت سوداء فى بيضاء ولاحد ثنى رجل بحديث قط الا حفظته وما احببت ان يعيده علي • وما اروي شيئا اقل من الشعر ولو شئت لانشدتكم شهرا لااعيد ولقد نسيت من العلم ما

لو حفظه رجل لكان به عالماً وليتني خرجت من عملي كفافا لا علي ولا لي. وسمعه ابن عمر يحدث بالمغازى فقال كأن هذا الفتى معنا • كان الشعبي قد خرج مع القراء على الحجاج ثم دخل فاعتذر فقبل عذره وولى القضاء • قال زكرياء بن يحيى دخلت على الشعبي وهو يشتكي قلت كيف تجدك قال اجدنى وجعا مجهودا اللهم انى احتسب نفسى عندك فانها اعز الانفس علي • وتوفي هذه السنة وفى مقدار عمره قولان احدهما سبع وتسعون والثانى اثنتان وثمانون وفى هذه السنة مات مجاهد بن جبير يكنى ابا الحجاج مولى قيس بن السائب المخزومي كان فقيهاً اديباً ثقة • روى عن ابن عمرو وابي سعيد وابي هريرة وابن عباس وآخرين • قال عمر بن ذر عن مجاهد قال اذا أراد أحدكم ان ينام فليستقبل القبلة ولينم على يمينه وليذكر الله وليكن اخر كلامه لااله الا الله فانها وفاة لايدرى لعلها منيته ثم قرأ وهو الذى يتوفاكم بالليل • ثم توفى مجاهد وهو ساجد فى هذه السنة وقد بلغ من العمر ثلاثا وثمانين سنة •

ثم دخت سنة خمس ومائة فيها توفى يزيد بن عبدالملك وولي بعده هشام اخوه وقد ذكرنا مدة خلافتهما ولمعا من اخبارهما • قيل ان هشام اشتهى جارية وخلا بها فقالت له يا امير المؤمنين ما من منزلة اطمع فيها فوق منزلتي اذ صرت للخليفة ولكن النار ليس لها خطر • ان ابنك فلاناً اشتراني فكنت عنده لا ادري ذكرت ليلة أو نحو ذلك وانه لا يحل لك مسى • قال فحسن هذا القول منها عنده وحظيت عنده وتركها وولاها امره • قال علماء السير كان هشام اذا صلى الغداة كان اول من يدخل عليه صاحب حرسه فيخبره بما حدث فى الليل ثم يدخل عليه موليان له مع كل واحد منهما مصحف فيقعد أحدهما عن يمينه والاخر عن شماله حتى يقرأ عليهما حزبه ثم يقومان ويدخل الحاجب فيقول، فلان بالباب وفلان فيقول ائذن فلا يزال الناس يدخلون عليه

حتى اذا انتصف النهار وضع الطعام ورفعت الستور ودخــل الناس واصحاب الحوائج وكاتبه قاعد خلف ظهره فيقوم اصحاب الحوائج فيسألون حوائجهم فيقول لا نعم والكاتب خلفه يوقع حتى اذا فرغ من طعامه وانصرف الناس صار الى قائلته فاذا صلى الظهر دعى بكتابه فناظرهم فيما ورد من امور الناس حتى يصلي العصر ثم يأذن للناس • فاذا صلى العشاء الاخرة حضر سماره الذهبي وغيره فجاءه الخبير يخبر ان خاقان ارمنية قد خرج فنهض فى الحال وحلف لايأويه سقف بيت حتى يفتح الله عليه • قال بشر مولى هشام تفقد هشام بعض مواليه لم يصل الجمعة فقال ما منعك فقال نفقت دابتى قال افعجزت عن المشىء فتركت الجمعة فمنعه الدابة سنة • وفى هذه السنة مات عكرمة مولى عبدالله بن عباس يكنى ابا عبدالله توفي ابن عباس وهو عبد فاشتراه خالد بن يزيد بن معوية من على بن عبدالله بن عباس باربعة الاف دينار فراح الى خالد فاستقاله فاقاله • وكان يروى عن ابن عباس وابى هريرة والحسن بن علي وعائشة • وكان الشعبى يقول ما بقي احد اعلم بكتاب الله من عكرمة • وقال جابر بن زيد عكرمة اعلم الناس وقد ضعفه مجاهد وابن سيرين ويحيى بن سعيد ومالك بن انس • وتوفي عكرمة بالمدينة هذه السنةوهو ابن ثمانين سنة •وفى هذه السنة مات كثير ابن عبدالرحمن بن اسود بن عامر بن عديم ابو صخر الشاعر الخزاعى واسم امه جمعة بنت الاشيم وقيل جمعة بنت كعــب بن عمرو وكان شاعرا مجدا وكان شيعيا ويقول بامامة محمد بن الحنيفة وانه احق(١) من الحسن والحسين بالامامة ومن سائر الناس وانه حي مقيم بجبل رضوى لايموت ومدح عبد الملك وعمر بن عبد العزيز وكــان يقول

---

(١) كيف وهو القائل :

الا ان الائمة من قريشـي	ولاة الامر اربعـــة سواء
علي والثلاثة مــن بنيـــه	هم الاسباط ليس بـهم خفاء
فسبط ســبط ايمان وبر	وسبط غيبـــته كربـــلاء
وبســط لايذوق الموت حتى	يقود الخيل يقـــدمها اللواء

بالتناسخ والرجعة • وكان يقول انا يونس بن متى معناه ان روحه حلت فيه • وقال يوماً ما يقول النـاس في • قيل يقول الناس انك الدجال قال اني لاجد في عيني ضعفا مذ أيام • وكان بمكة فأمر بلعن علي عليه السلام فرقي المنبر وأخذ بأستار الكعبة وقال :

لعن الله من يسب عليا وبنيه من سوقة وامام
ايسـب المطهرون اصولا والكرام الاخوال والأعمـام
يا من الطير والحمام ولا يـأ من ال الرسول عند المقـام

فانزلوه من المنـبر ضربا بالنعال وغـيرها فقال

ان امرءاً كانت مسـاويه حب النبى لغيـر ذى عتب
وبنى ابى حسن ووالدهم من طاب فى الارحام والصلب
اتـرون ذنبـاً ان نحبهـم بـل حبهـم كفارة الذنب

وكان كيثر دميم الخلقة فاستزاره عبد الملك فازدراه لدمامته فقال تسمع بالمعيدى خير من ان تراه •

فقال كثير

ترى الرجل النحيف فتزدريه وفـى اثوابـه اسد مزيـر

فقال عبد الملك ان كنا اسأنا اللقاء فلسنا نسيء الثواء حاجتك • قال تزوجني عزة فاراد اهلها على ذلك فقالوا هي بالغ واحق بنفسها • فقيل لها فقالت ابعد ما شبب بي وشهرني في العرب مالي الى ذلك سبيل • وقيل لما دخل على عبدالملك فقال تسمع بالمعيدى خير من ان تراه • قال كثير مهلا يا امير المؤمنين فانما الرجل باصغريه لسانه وقلبه • فان نطق نطق ببيان وان قاتل قاتل بجنان • وانا الذي اقول :

وجربـت الامور وجربتني فقد ابدت عريكتي الامور
وما تخفى الرجال علي انى بهم لاخو مثابتـة خبيــر
ترى الرجل النحيف فتزدريه وفى اثـوابه اسـد مزير
ويجبـك الطرير فتبتليـه فيخلف ظنك الرجـل الطرير
وما عظم الرجال لهـم بزين ولكــن زينهم كـرم وخير
بغاث الطيـر اكثرها فراخا وام الصقر مقـلات نزور

لقد عظم البعير بغير لب فلم يستغن بالعظم البعير
فيركب ثم يضرب بالهراوى فلا عرف لديه ولا نكير

ثم قال له يا كثير انشدني في اخوان دهرك فانشده

خير اخوانك المشارك فى المر واين الشريك فى المر اينا
الذي ان حضرت سرك فى الحي وان غبت كان اذنا وعينا
ذاك مثل الحسام اخلصه القين جلاه الجلاء فازداد زينا
انت فى معشر اذا غبت عنهم بدلوا كل ما يزينك شينا
واذا ما رأوك قالوا جميعا انت من اكرم الرجال علينا

فقال عبدالملك يغفر الله لك يا كثير فاين الاخوان قال كثير غيراني اقول

صديقك حين تستغني كثير وما لك عند فقرك من صديق
فلا تنكر على احد اذا ما طوى عنك الزيارة عند ضيق
وكنت اذا الصديق اراد غيظي على حنق واشرقني بريقي
غفرت ذنوبه وصفحت عنه مخافة ان اكون بلا صديق

ولما اتى يزيد بن عبدالملك باسارى بني المهلب امر ان تضرب أعناقهم وكان كثير حاضرا فقام وانشأ يقول :

فعفوا امير المؤمنين وحسبة فما تحتسب من صالح لك يكتب
اساءوا فان تعفو فانك قادر وافضل حلم حسبة حلم مغضب

قال يزيد يا كثير اطت بك الرحم لولا انهم قدحوا بالملك لوهبناهم لك . قال ابو بكر اطت حنت . وتوفي كثير عزة وعكرمة هذه السنة في يوم واحد بعد الظهر فقال الناس مات افقه واشعر الناس وكان كثير يقول عند موته لا تبكوا علي فاني بعد اربعين يوماً ارجع اليكم وفى هذه السنة مات يزيد بن عبدالملك بالبلقاء من ارض دمشق وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتقدم ذكره .

ثم دخلت سنة ست ومائة فيها مات سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ويكنى ابا عمرو وروى عن ابيه وعن ابى ايوب وابى هريرة وكان فقيها عابدا جوادا صالحا وكان اشبه اولاد ابيه به وكان ابوه

شديد المحبة له فاذا ليم على ذلك أنشد

يلوموننى فى سالم والومهم وجلده بين العين والانف سالم

وفيها توفي طاووس بن كيسان اليماني ويكنى ابا عبد الرحمن مولى همدان حج اربعين حجة وجالس سبعين من اصحاب رسول الله (صلعم) • قيل عن عبد الرحيم بن ادريس عن ابيه انه صلى وهب بن منبه وطاووس اليمانى الغداة بوضوء العتمة اربعين سنة •

ثم دخلت سنة ثمان ومائة فيها مات بكر بن عبدالله المزني اسند عن ابن عمر وجابر وانس وغيرهم وكان فقيها حجة ثقة وكان يلبس الثياب الحسان كان قيمة كسوته اربعة الاف درهم • وفيها مات القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق وكان ديناً • روى عن ابي هريرة وابن عباس وعائشة • وفيها مات محمد بن كعب ابو حمزة القرظى وكان صالحا عابداً ورعا كثير التجهد ليلا والتضرع • وفيها مات نصيب بن رباح ابو محجن الشاعر مولى عبد العزيز بن مروان وكان اسود شديد السواد جيد الشعر عفيف الفرج كريما تفضل بماله وطعامه وكان اهل البادية يدعونه النصيب تفخيما لما يرون من جودة شعره • ولم يهج أحدا تدينا • ومن شعره

ليس السواد بنا قصى مادام لي هذا اللسان الى فؤاد ثابت
من كان يرفعه منابت اصلـه فبيوت اشعاري جعلن منابتي
كم بين اسود ناطق بلسانه ماضي الجنان وبين ابيض صامت
انى ليحسدنى الرفيع بناؤه من فضل ذاك وليس بي من شامت

وكان يمدح هشام بن عبدالملك ويرثي خلفاء بني امية واخباره واشعاره كثيرة اقتصرنا منها على اليسير • وقيل لنصيب ان الناس يدعون انك لاتحسن ان تهجو فقال اقروا لي فى اني احسن ان امدح قالوا نعم قال افترى لا احسن ان اجعل مكان عافاك الله اخزاك الله قالوا بلى • قال ولكنى رأيت الناس رجلين • رجلا لم اسأله فلا ينبغى ان

اهجوه فاظلمه ورجلا سألته فمنعنى فكانت نفسي احق بالهجاء منه اذ سولت لي ان اطلب منه .

ثم دخلت سنة تسع ومائة . فيها مات عبد الرحمن بن عمار من بنى جشم وكان من عباد اهل مكة شرفها الله . وفي سنة عشر ومائة مات الحسن بن ابى حسن البصرى وكان يكنى ابا سعيد ولد فى خلافة عمر بن الخطاب وحنكه عمر بن الخطاب بيده . وكانت امه تخدم ام سلمة فربما غابت فتعطيه ام سلمة ثديها فتعلله الى ان تجىء امه وكان زاهدا ناسكا كثير الحزن والبكاء . قال مسمع لو رأيت الحسن لقلت لقد بث عليه حزن الخلائق من طول تلك الدمعة وكثرة ذلك النشيج وبكى الحسن فقيل ما يبكيك فقال اخاف من يطرحنى غدا فى النار ولا يبالي . وفيها مات محمد بن سيرين ابو بكر البصري مولى انس بن مالك سمع ابا هريرة وعبدالله بن عمرو وعبدالله بن الزبير وعمران بن حصين وكان فقيها ورعا وكان ابوه سيرين من اهل جرجرايا وكان يعمل قدور النحاس فجاء الى عين التمر فعمل بها فسباه خالد ابن الوليد . وولد محمد لسنتين بقيتامن خلافةعثمان وولد له ثلاثون ولدا من امرأة واحدة ورأى محمد بن سيرين فى المنام كأن الجوزاء تقدمت الثريا ففسره على نفسه واخذ فى وصيته وقال يموت الحسن البصرى واموت بعده بمائة يوم . مات لتسع مضين من شوال سنة عشر ومائة وفيها مات وهب بن منبه من ابناء الفرس الذين انفذهم كسرى الى اليمن اسند عن جابر والنعمان بن بشير وابن عابر وارسل الرواية عن معاذ وأبي هريرة . وكان عالماً عابداً مجتهدا . ثم دخلت سنة احدى عشر ومائة فيها مات جرير بن عطية بن الخطفى والخطفى لقب واسمه حذيفة بن بدر الشاعر ولدجرير لسبعة اشهر ومات وعمره نيف وثمانون سنة . وكان له عشرة اولاد ثمانية ذكوروابنتان وهو والاخطل والفرزدق المقدمون على شعراء الاسلام الذين لم يدركوا الجاهلية والناس مختلفعون

أيهم المقدم وكل من تعرض لمضاهاتهم في الشعر افتضح وسقط على ان الاخطل انما دخل بين جرير والفرزدق فى اخر امرهما وقد اسن وليس من نجارهما • وكان ابو عمرو الشيباني يشبه جريرا بالاعشى والفرزدق بزهير والاخطل بالنابغة • قال ابو عبيدة ويحتج من قدم جريرا بانه كان اكثرهم فنون شعر واسهلهم الفاظا وارقهم تشبيبا • وكان دينا عفيفاً وقد ذكرنا فضل جرير عليهما فى فصل تقدم ذكره فى هذا الكتاب قال جرير يوما ما عشقت ولو عشقت لشيبت تشبيبا تسمعه العجوز فتبكي على ما فاتها من شبابها • وكان جرير يهاجي الفرزدق فلقيه فى طريق مكة للحج فقال الفرزدق والله لافسدن عليه احرامه فقال الفرزدق له

فانك لاق بالمشاعر من منى　　فخارا فخبرنى بمن انت فاخر

فقال جرير لبيك اللهم لبيك • وذكر ان جريرا دخل على عبدالملك ابن مروان فقال له يا امير المؤمنين اني قد مدحتك بثلاثة ابيات ما قالت العرب مثلها • ولست انشدك كل بيت الا بعشرة آلاف درهم • قال هاتها لله ابوك فانشأ يقول

رايتك امس خير بنى لؤي　　وانت اليوم خير منك امس
وبيتك فى المنابت خير بيت　　وغرسك فى المغارس خير غرس
وانت غدا تزيد الضعف ضعفا　　كذاك تزيد سادة عبد شمس

فامر له بثلاثين الف درهم وحرج فلقيه يحيى بن معبد فقال يا ابا حزرة اما لنا فيك نصيب • قال له كل بيت بعشرة آلاف درهم • قال قل فقال

اذاقيل من للمجد والجود والندى　　فناد باعلى الصوت يحيى بن معبد

فقال له زدنا يا ابا حزرة فقال دع ذا عنك كل شيء وحسابه وقد ذكر ان الأبيات الثلاثة للاعشى وانشدها عبدالملك ومن مستحسن شعر جرير •

اذا اكتحلت عينى بعينك لم تزل　　بخير وجلت غمرة عن فؤاديا
الى الله اشكو ان بالغور حاجة　　واخرى اذا ابصرت نجدا بداليا

فقولا لواديها الذى نزلت به　　اوادي ذى القيصوم امرعت واديا
فياحسرات القلب فى اثر من يرى　　قريبا ويلقني حين ياتيك قاصيا[1]
فانت ابى ما لم تكن لى حاجة　　فان عرضت ايقنت ان لا ابا ليا

وتوفى جرير باليمامة بعد الفرزدق باربعين يوما فى هذه السنة وفيها مات همام بن غالب بن ناجية ابن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم وهو الفرزدق الشاعر والفرزدق الرغيف التخين لشبه وجهه بالخبزة وهي الفرزدقة فقيل الفرزدق وكان جده صعصعة مستحيي المؤودات فى الجاهلية فجاءه الاسلام وقد استحيا ثلثمائة وفيه يقول الفرزدق

وجدى الذى منـع الوائدات　　واحيا الوئيـد فلم يؤد

وقد تقدم ذكره فى اخبار الاجواد فى هذا الكتاب وسمع الفرزدق من علي وابن عمرو وابي معبد وابى هريرة وروى عنهم ٭ وسئل عن سنه فقال لا ادرى ولكنى قذفت المحصنات فى ايام عثمان قال عبدالله ابن سوار اولاد الفرزدق لبطة وشبطة وخبطة والحنطباء ٭ قال ابو علي الحرمازى كانت النوار بنت اعين بن صعصعه المجاشعى وكان قد وجهه علي بن ابي طالب عليه السلام الى البصرة ايام الحكم[2] فقتله الخوارج غيلة فخطب ابنته النوار رجل من قريش فبعثت الى الفرزدق وكانت ابنة عمه فقالت انت ابن عمى واولى الناس بي وبتزويجى فزوجنى من هذا الرجل فقال لا افعل او تشهدى انك قد رضيت بمن زوجتك ففعلت فلما اجتمع الناس حمد الله واثنى عليه ثم قال قد علمتم ان النوار قد ولتنى امرها واشهدكم انى قد زوجتها من نفسى على مائة ناقة حمراء سود الحدق فنفرت من ذلك فاستعدت عليه ابن الزبير فقال له وفها صداقها ففعل ودفعها اليه فجاء بها الى البصرة وقد أحبلها ومكثت عنده

---

(١) فى الديوان　　فياحسرات القلب فى اثر من يرى
قريبا ويلقى خيره منك نائيا

(٢) كذا جاء والمعروف ان امير المؤمنين وجهه فى فتـنة عبدالله الحضرمي الذي دسه معاوية الى البصرة فجعل اهلها شيعين فقتل اعين غيلة

زمانا ترضى عنه احيانا وتخاصمه احيانا ثم لم تزل تتلطف به حتى طلقها وشرط عليها ان لاتخرج من منزله ولاتتزوج بعده واشهد على طلاقها الحسن ثم قال يا ابا سعيد قد ندمت فقال والله انى لاظن دمك يترقرق والله لئن رجعت لنرجمنك بالحجارة فمضى وهو يقول

ندمت نـدامة الكسعى لما غدت منـى مطلقة نـوار
ولوانى ملكـت يدى وقلبى لكان علي للقـدر الخيار
وكانت جنتى فخرجت منها كآدم حين اخرجـه الضرار
وكنـت كفاقىء عينيه عمدا فأصبح ما يضيء له النهار

وحكى الفرزدق قال رأيت اثر دواب قد خرجت نحو البرية فظننت ان قوما خرجوا لنزهة فتبعتهم فاذا نسوة مستنقعات فى غدير فقلت لم ار كاليوم ولا يوم دارة جلجل وانصـرفت مستحييا منهن فنادينني بالله يا صاحب البغلة نسألك عن شيء فانصرفت اليهن وهن فى الماء الى حلوقهن فقلن بالله حدثنا بحديث دارة جلجل فقلت ان امرأ القيس كان يهوى بنت عم له يقال لها عنيزة فطلبها زماناً فلم يصل اليها حتى كان يوم الغدير وهو يوم دارة جلجل وذلك ان الحى احتملوا فتقدم الرجال وتخلف النساء والخدم والثقل قال فلما رأى ذلك امرؤالقيس تخلف بعد ما سار مع الرجال غلوة فمكث في غابة من الارض حتى مر به النساء فاذا فتيات وفيهن عنيزة فلما وردن الغدير قلن لو نزلنا فذهب بعض كلالنا فنزلن اليه ونحين العبيد عنهن ثم تجردن وانغمسن فى الغدير كهيئتكن الساعة فاتاهـن امرؤ القيس مخاتلا كنحو ما أتيتكن وهن غوافل واخذ ثيابهن فجمعها ورمى الفـرزدق نفسه عن بغلته فاخذ ثيابهن فجمعها وقال لهن كما اقول لكن والله لااعطى جارية منكن ثوبها ولو اقامت فى الغد يومها حتى تخرج الـي مجردة • فقالت احداهن هذا امرؤ القيس كان عاشقا لابنة عمه افعاشق انت لبعضنا فقلت لا والله ولكني اشتهيكن • قال فتشاغلن مع امرىء القيس حتى تعالى النهار فخشين ان يقصرن دون المنزل • فخرجـت

احداهن فدفع اليها ثوبها وقد وضعه ناحية فاخذته فلبسته وتتابعن على ذلك، حتى بقيت عنيزة وحدها فناشدته الله ان يطرح لها ثوبها فقال دعينا منك وانا حرام ان اخذت ثوبك الا بيدك قال فخرجت فنظر اليها مقبلة ومدبرة فاخذت ثوبها واقبلن عليه فعذلنه ولمنه وقلن عريتنا وحبستنا وجوعتنا قال فان نحرت لكن ناقتى اتأكلن منها قلن نعم • فاخترط سيفه فعقرها ونحرها وكشطها وصاح بخدمهن فجمعوا له حطبا واجج نارا عظيمة وجعل يقطع لهن من سنامها واطايبها وكبدها فيلقيه على الجمر فيأكل ويأكلن معه • فلما اراد الرحيل قالت احداهن انا احمل طنفسته وقالت الاخرى انا احمل رحله وقالت الاخرى انا احمل حشيته وانساعه فتقاسمن رحله بينهن وبقيت عنيزة فقال لها يا بنت الكرام لابد من ان تحمليني معك فاني لا اطيق المشي وليس من عادتي فحملته على غارب بعيرها فكان يدخل رأسه في خدرها فيقبلها فاذا امتنعت مال حدجها فتقول يا امرأ القيس عقرت بعيرى فانزل فذلك قوله

تقول وقد مال الغبيط بنا معا عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل

فلما فرغ الفرزدق من حديثه قالت احداهن اصرف وجهك عنا ساعة وهمست الى صويحباتها بشيء لم افهمه فانغمسن في الماء وخرجن ومع كل واحدة ملء كفها طينا • قال فجعلن يتعادين نحوي ويضربن بذلك الطين والحمأة وجهي وثيابي وملأن عيني فوقعت على وجهي مشغولا بعيني وما فيها فأخذن ثيابهن وركبن وركبت تلك الماجنة بغلتي وتركنني ملقى باقبح حال فغسلت وجهي وثيابي وانصرفت عند مجيء الظلام الى منزلي ماشيا وقد وجهن بغلتي الى بيتي وقلن للرسول قل له يقلن لك في جوابك طلبت منا مالا بمكنا وقد وجهنا اليك بزوجتك فكن معها سائر ليلتك وهذا كسر درهم يكون لحمامك اذا اصبحت • وكان يقول ما منيت بمثلهن • ولقي الفرزدق الحسن البصري عند قبر فقال له الحسن ما اعددت لهذا اليوم قال له شهادة ان لا اله الا الله وان

محمدا رسول الله اعددتها منذ ثمانين سنة وقد قارب المائة ومات في تلك السنة فرآه ابنه لبطة في النوم فقال يابني نفعتني الكلمة التي راجعت بها الحسن عند القبر وقد غفر الله لي

ثم دخلت سنة اربع عشرة ومائة فيها مات محمد بن علي بن الحسين ابن أبي طالب ولدله جعفر وعبدالله من ام فروة بنت القاسم بن محمد بن ابى بكر روى ابو جعفر عن ابى سعيد وابى هريرة وابن عباس وانس وتوفى ابو جعفر محمد وهو ابن ثلاث وسبعين سنة واوصى ان يكفن في قميصه الذى كان يصلي فيه وفى هذه السنة مات الفضل بن قدامة بن عبدالله ويكنى ابا النجم وهو من رجاز الاسلام الفحول المتقدمين فى الطبقة الاولى منهم . قال المدائني دخل ابو النجم على هشام بن عبد الملك وقد اتت عليه تسع وتسعون سنة فقال له هشام مارايك فى النساء قال اني لانظر اليهن شزرا فوهب له جارية وقال اغد علي فاعلمني بماكان منك فلما غدا عليه قال ماصنعت شيئا ولا قدرت عليه فقلت فى ذلك ابياتا وهى

نظرت فأعجبها الذي فى درعها   من حسنه ونظرت فى سرباليا
فرأت لها كفلا ينوء بخصرها   وعثا روادفه وأخثم رابيا

فضحك هشام وامر له بجائزة

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائة فيها مات عطا بن ابي رباح ابو محمد واسم ابى رباح مسلم المكي ولد فى جند باليمن وولد لسنتين مضين من خلافة عثمان وكان فصيحا عالما فقيها وروى عن ابن عمر وابن عمرو وابى سعيد وابى هريرة وزيد بن خالد وابن عباس وابن الزبير وحج سبعين حجة . قال سلمة بن كهيل ما رايت احدا يريد بهذا العلم وجه الله غير هولاء الثلاثة عطاء وطاووس ومجاهد قال الاصمعى دخل عطاء بن ابى رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه اشراف قريش من كل بطن وذلك بمكة شرفها الله تعالى فى وقت حجه فى خلافته فلما ابصر به قام اليه واجلسه معه على السرير وقعد بين يديه

وقال له يااباا محمد ماحاجتك قال ياامير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة واتق الله في اولاد المهاجرين والانصار فانك بهم جلست بهذا المجلس واتق الله في اهل الثغور فانهم حصن المسلمين وتفقد امور المسلمين فانك وحدك المسئول عنهم واتق الله فيمن على بابك لا تغفل عنهم وتغلق دونهم بابك . فقال له افعل ثم نهض فقال له عبدالملك يا ابا محمد سألتنا حاجة غيرك وقد قضيناها ما حاجتك فقال مالي الى مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك هذا وابيك السؤدد .

تقول لي والعيون هاجعة اقم علينا يوما فلم اقم
اي الوجوه انتجعت قلت لها وأي وجه الا الى الحكم
متى يقل اذ اجيء حاجبه هذا ابن بيض بالباب يبتسم

ثم دخلت سنة سبع عشر ومائة فيها ماتت سكينة بنت الحسين بن على بن ابي طالب عليهم السلام واسمها أمينة وقيل اميمة وسكينة لقب عرفت به وامها الرباب بنت امرىء القيس بن عيسى بن اوس الكلبي كان نصرانيا جاء الى عمر بن الخطاب فاسلم فدعا له برمح فعقد له على من أسلم بالشام من قضاعة فتولى قبل ان يصلى صلاة وما امسى حتى خطب اليه الحسين ابنته الرباب فزوجه اياها فولدت له عبدالله وسكينة وكان الحسين يقول

لعمرك انني لاحب ارضا تكون بها سكينة والرباب
احبهما وابذل جل مالي وليس لعاتب عندي عتاب
ولست لهم وان عذلوا مطيعا حياتي او يغيبني التراب

وكانت سكينة من الجمال والادب والفصاحة بمنزلة عظيمة كان منزلها مألف الأدباء والشعراء وتزوجت عبدالله بن الحسن بن علي فقتل قبل ان يبني بها ثم تزوجها مصعب بن الزبير ومهرها بالف درهم وحملها اليه علي بن الحسين عليهما السلام فاعطاه اربعين الف دينار

فولدت له ألرباب وكانت تلبسها اللؤلؤ وتقـول ما ألبسها أياه الا لتفضحه • وعن الشعبى ان الفرزدق خرج حاجا فلما قضى حجه عدل الى المدينة فدخل على سكينة بنت الحسين فسلم عليها فقالت له يافرزدق من اشعر الناس فقال انا فقالت كذبت اشعر منك الذى يقول

بنفسي مـن تجنبـه عزيـز علي ومن زيارتـه لمـام
ومن امسي واصبـح لا اراه ويطرقنى اذا هجـع النيام

فقال والله لو أذنت لي لأسمعتك احسن منه قالت اقيموه فأخرج ثم عاد اليها من الغد فدخل عليها فقالت يا فرزدق من اشعر الناس فقال انا قالت كذبت صاحبك جرير اشعر منك حيث يقول

لولا الحياء لهاجنى استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار
كانت اذا هجر الضجيع فراشها كتم الحديث وعفت الاسرار
لايلبث القرناء ان يتفرقوا ليل يكـر عليهم ونهار

قال والله لو أذنت لي لأسمعتك أحسن منه فأمرت به فأخرج ثم عاد اليهـا فى اليوم الثالث وحولهـا مولدات لها كأنهن التماثيل فنظر الفرزدق الى واحدة منهن فاعجب بها وبهت ينظر اليها فقالت له سكينة يا فرزدق من اشعر الناس قال انا قالت كذبت صاحبك اشعر منك حيث يقـول

ان العيون التى فى لحظها حور قتلننا ثم لا يحيـيـن قتلانا
يصر عن ذا اللب حتى لاحراك له وهن اضعف خلق الله اركانا

فقال والله لو تركتنى لاسمعتك احسن منه فامرت باخراجه فالتفت اليها فقال يا بنت رسول الله ان لي عليك حقاً عظيماً صرت من مكة ارادة التسليـم عليـك وكان جـزائي من ذلـك تكذيـبى وطـردى وتفضيل جرير علي ومنعك اياي أن أنشدك من شعري وبي ما قـد عيل منه صبرى وهذه المنايا تغدو ، وتروح لعلي لا افارق المدينـة حتى اموت فاذا مت فمري بي ان ادرج فى كفن وادفن فى حر هذه

الجارية يعني التى اعجبته فضحكت سكينة وامـرت الجواري فدفعن فى افقيتهما ونادته يافرزدق احتفظ بها واحسن صـحبتها فانى آثرتك بها على نفسي • وفى هذه السنة مات علي بن عبدالله بن عباس بن عبد المطلب ولد ليلة قتل علي بن ابى طالب رضه فسمي باسمه وذلك في شهر رمضان سنة اربعين وكان كثير الصلاة يصلي فى اليوم والليلة الف ركعة وكان يصبغ بالسواد وكان اذا قدم مكة حاجا او معتمرا عطلت قريش مجالسها فى المسجد الحرام وهجـرت مواضـع حلقاتها ولزمت مجلس علي بن عبدالله اعظاماً واجلالاله وتبجيلافان قعدقعدواوان نهض نهضوا وان مشى مشوا جميعاً حوله وتوفى بالشام فى هذه السنة وقيل فى سنة ثمان ومائة وفيها ماتت ام البنين بنت عبدالعزيز بن مروان اخت عمروكانت من الاجواد الكرائم

ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائة فيها توفى مالك بن دينار

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائـة فيها مـات حبيب ابو محمد الفارسي وكان يقال له حبيب العجمى حضر مجلس الحسن البصرى فتأثر بمواعظه وخرج مما كان يملك وتعبد وساح •

وفى سنـة عشرين ومائة مات محمد بن واسع بن خانس بـن الاخفش اسند عن انس وغيره وكان خيرا متواضعا وكان الحسن يسميه سيد القراء وكان صائم الدهر •

ثم دخلت سنة احدى وعشرين ومائة فيها قتل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وكان عمره اثنتين واربعين سنة •

وفى سنة اثنتين وعشرين ومائة مات اياس بن معوية وقرة بن اياس المـرى •

وفى سنة خمس وعشرين ومائة مات هشام وولي الوليد بن يزيد بن عبدالملك عقد يزيد بن عبدالملك الخلافة لولده الوليد بعد أخيه هشام وكان يومئذ ابن احدى عشرة سنة •

ذكر خلافة

الوليـــد

هو ابو العباس الوليد بن يزيد بن عبد الملك بويع له فى شهر ربيع الاخر سنة خمس وعشرين ومائة ولم يل الخلافة من ولد عبدالملك أكبر منه سناً لأنه ولي وقد جاوز الاربعين وكان ابيض ربعة قد وخطة الشيب وكان شاعرا فصيحا مصروف الهمة الى الاكل والشرب وجعل ولديه عثمان والحكم وليي عهده . ودفع خالد بن عبدالله القسرى الى يوسف بن عمر فقتله وحبس ولداه عثمان والحكم بعد قتله فلم يزالا فى الحبس الى ان ولي مروان فقتلا . وكانت ولايته سنة وشهرين وعشرين يوماً .

ذكر اولاده ونوابه

كان له من الولد ثلاثة عشر ذكرا وعشر بنات . وكان اميره على حمص حفص بن الوليد . واقر محمد بن صفوان على القضاء وكاتبه العباس بن مسلمة وحاجبه قطري مولاه . وكان نقش خاتمه « يا وليد احذر الموت » وفى ايامه وصلــت الى محمد بن علي بن عبدالله بن عباس هدايا من خراسان ثم مات محمد المذكور اخر سنة ست وعشرين ومائة بعد ان اوصى ان الامر بعده يكون فى ولده ابراهيم وان قتــل أو مات فابن الحارثية يعني به عبدالله السفاح .

ذكر شيء من الحوادث التي جرت فى ايام خلافته

توفي فى سنة خمس وعشرين ومائة محمد بن علي بن عبدالله بن عباس وكان بينه وبين ابيه فى السن اربع عشرة سنة وكان اشبه الناس به لايفرق بينهما الى ان خضب علي فعرف بخضابه . وكان له من الولد اثنا عشر ذكرا وخمس بنات فمن الذكور ابراهيم الامام واليه اوصى فقام بالامامة من بعده وعبدالله السفاح وعبدالله المنصور ومحمد

اول من نطق بالدولة العباسية واول من دعي له من بني العباس وسمي بالامام وكوتب واطيع كان ذلك فى سنة تسع وثمانين فى خلافة الوليد ابن عبد الملك • وكان عبدالله بن محمد بن الحنيفة قد اوصى اليه ودفع اليه كتبه وقال انما الامر فى ولدك • وتوفى محمد بن على قبل تمام الدعوة فى ذى العقدة من هذه السنة وكان بين وفاته ووفاة ابيه سبع سنين وبلغ من العمر ستين سنة وقيل ثلاثا وستين • واوصى الى ابنه ابراهيم فسمي الامام • وفيها مات هشام بن عبد الملك •

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائة • فيها تولى الخلافة يزيد بن الوليد بن عبدالملك وامه شاهفرند بنت فيروز بن يزد جرد بن شهريار اخر ملوك الفرس •

ذكر خلافة

يزيد بن الوليد بن عبد الملك

كان يكنى ابا خالد بويع فى ثامن عشر جمادى الاخرة سنة ست وعشرين ومائة وكان اسمر نحيف البدن مربوعا خفيف العارضين فصيحاً شديد العجب اظهر حسن سيرة • ونقص الجند من اعطياتهم فلقب الناقص •

ذكر وفاته

توفي يوم الاضحى سنة ست وعشرين ومائة بالطاعون وعمره اربعون سنة وخلافته خمسة اشهر • ونقش خاتمه • يايزيد قم بالحق•

ذكر نوابه

كان اميره على مصر حفص بن الوليد وقاضيه عثمان بن عمر وحاجبه قطزمولاه

ذكر شيء مما جرى في ايام خلافته

فيها مات الكميت بن يزيد بن خنيس بن مجالد • عالما باللغة وكان في ايام بنى امية ولم يدرك الدولة العباسية تكلم مع حماد الراوية فأفحم حمادا وأنشد هشاما فأعطاه مائة الف درهم • وهو اشعر الاولين والآخرين وشعره خمسة آلاف بيت ومائتان وتسعة وثمانون • وفيها قتل الوليد بن يزيد • قتل لليلتين بقيتا من شهر جمادى الآخرة • وكانت خلافته سنة وثلاثة اشهر • وكان عمره ستا وثلاثين وقيل احدى واربعين سنة •

ثم دخلت سنة سبع وعشربن ومائة فيها كان مسير مروان بن محمد بن مروان الى الشام فلما دنا من حمص خرج اهل حمص فبايعوه وساروا معه وفيها بويع لمروان بالخلافة بدمشق • وذلك انه لما قيل قد دخلت خيل مروان دمشق هرب ابراهيم بن الوليد وتغيب ونهب بيت المال وثار من بدمشق من موالي الوليد بن يزيد فقتلوا عبدالعزيز بن الحجاج ونبشوا قبر يزيد بن الوليد وصلبوه على باب الجابية ودخل مروان دمشق فبايعوه واستوت له الشام وانصرف فنزل حران فطلب منه الامان ابراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام فآمنهما وخلع ابراهيم فى ربيع اخر وكان مكثه اربعة اشهر وقيل سبعين يوماوقيل غير ذلك والله اعلم بغيبه واحكم •

ذكر خلافة

ابراهيم

هوابو اسحق ابراهيم بن الوليد بن عبدالملك امه أم ولداسمها نعم بويع له فى ذى الحجة من سنة ست وعشرين ومائة ثم خلع نفسه وسلم الامر

الى مروان بن محمد فى صفر سنة سبع وعشرين ومائة وكانت ولايته شهرين وعشرة ايام ولم يزل باقيا الى سنة اثنتين وثلاثين ومائة فقتله ابو عون بالزاب وكان عاجزا ضعيف الرأي ما له ظفر . وكان نقش خاتمه توكلت على الحي القيوم .

ذكر نوابه

كان قاضيه عثمان بن عمر التميمى وحاجبه قطزمولى الوليد وكاتبه دكين اللخمى .

ذكر خلافة مروان

هو ابو عبد الملك

هوابوعبدالملك مروان بن‌محمد بن‌مروان امه‌ام‌ولدكردية بويع‌له‌فى‌صفر سبع وعشرين ومائة وكان والياً على ارمينية من قبل الوليد بن يزيد فلما قتل الوليد سار الى يزيد بن الوليد يطلب دم الوليد فمات يزيد قبل وصوله وولي اخوه ابراهيم ووصل مروان الى حمص وبايعه اهلها وانفذ اليه ابراهيم بن الوليد عسكرا عليه سليمان بن هشام فالتقيا فدعاهم مروان الى الكف عن قتاله واطلق عثمان والحكم وكانا فى سجن دمشق فأبوا واقتلوا وانهزم سليمان ومن معه وقتل من عسكره خلق كثير واتي مروان بالأسرى فأخذ عليهم البيعة للغلامين المحبوسين ورجع سليمان ثم قتل الغلامان بدمشق ثم بايعه ابرهيم بن الوليد واهل الشام وكان مروان ابيض شديد الشهلة ضخم الهامة ابيض الراس واللحية صبورا على النصب والمشقة ذا بلاغة وفصاحة وله رسائل يقتدى بها ولم يحج فى سني خلافته ولم يزل امره مضطربا الى ان ظهر ابو مسلم الخراساني صاحب دعوة بني العباس وانفذ مروان الى الحميمة يطلب ابا العباس(١) فأتي بابرهيم بن محمد اخى المذكور فأمر به فجعل راسه فى جراب فيه نورة حتى مات فهرب اخواه ابو العباس

(١) كذا وسيذكر ان المطلوب ابراهيم وهو الصحيح

وابو جعفر المنصور وعمومتهما الى الكوفـة وذلك فى المحـرم سنة اثنتين وثلاثين ومائة أقاموا بها شهرين • ثم بويع لابى العباس السفاح فى شهر ربيع الاول سنة اثنتين وثلاثين ومائة وسار عبدالله بن علي ابن عبدالله بن العباس الى مروان بامر السفاح فلقيه على الزاب قرب الموصل فانهزم مروان وتبعه عبد الله المذكور حتى نزل قريبا من حران فواقعه ايضا وقتل خلقا من اصحابه فانهـزم هاربا فى نفر يسير من خواصه فلحقه صالح بن على اخو عبدالله فقتله فى ليلة الاحد سابع وعشرين ذي الحجة من السنة وله تسع وخمسون سنة وولايته الى ان خرج السفاح خمس سنين وشهر والى ان قتـل خمس سنين وعشرة اشهر وهو اخر خلفاء بنى امية

ذكر اولاده

كان له ولدان عبدالله وعبيدالله فهربا بعد قتله فقتل عبدالله بالحبشة وسلم عبيدالله وله عقب واحد فحبس ولم يزل محبوسا الى ايام الرشيد واخرج ضريرا فمات ببغداد نعوذ بالله من سوء العاقبة

ذكر نوابه

كان قاضيه عثمان التميمى وحاجبه صقلاب مـولاه وكان نقش خاتمه اذكر الموت ياغافل وكان اميره على مصر حفص بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله •

ذكر الحوادث التى جرت فى ايام مروان

فى سنة ثمان وعشرين ومائة اول من توفى من المشهورين فى ايام خلافته يزيد بن ابى حبيب واسم ابى حبيب سويد مولى شريك بن الطفيل العامري يكنى ابا رجاء وكان له مـن العمر ثلاث وخمسون سنة وكان نوبيا من اهـل دنقله فابتاعه شريك بن الطفيل العامري فاعتقه روى عن ابى الطفيل وعبدالله بن الحـرث وروى عن سليمان التميمي • وكان يزيد يفتي اهل مصر فى ايامه وهو اول من اظهر العلم

---

(١) لم يذكر كاتبه : عبدالحميد بن يحيى وهو حقيق بالذكر

بمصر فى الحلال والحرام ومسائل الفقه • وانما كانوا يتحدثون قبل ذلك بالفتن والملاحم والترغيب والترهيب والخبر وكان احد الثلاثة الذين جعل اليهم عمر بن عبدالعزيز الفتيا بمصر وكان حليماً عاقلا ولما كثرت مسائل الناس له لزم منزله ثم توفى فى هذه السنة •

ودخلت سنة تسع وعشرين ومائة وفيها امــر ابرهيم بن محمد ابا مسلم الخراسانى بالذهاب الى شيعته بخراسان وامرهم باظهار الدعوة والتسويد فقدم ابو مسلم مرو اول شعبان من سنة تسع وعشرين ومائة ولما كان يوم عيد الفطر امر ابو مسلم سليمان بن كثير ان يصلى به وبالشيعة العيد ونصب له منبراً فى العسكر وامره ان يبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير اذان ولا اقامة وكانت بنو امية تبدا بالخطــبة باذان ثم الصلاة باقامة على صلوة الجمعة ويخطبــون على المنابر جلــوسا فى الاعياد والجمع وامر ابو مسلم سليمان بن كثير ان يكبر فى الركعة الاولى ست تكبيرات وفى الثانية خمس تكبيــرات وكانت بنو امية تكبر فى الركعة الاولى اربع تكبيرات وفى الثانية ثلاث تكبيرات يوم العيد فلما قضى سليمان الصلوة والخطبة انصرف ابو مسلم والشيعة الى طعام اعده لهم ابو مسلم فطعموا مستبشرين وكتب نصر بن سيار الى مروان يعلمه حال ابي مسلم وخروجه ، وكثرة من معه وانه يدعو الى ابراهيم بن محمد وكتب بأبيات شعر وهي :

اری خلل الرماد وميض نار ... ويوشك ان يكون لها ضرام
فان لم يطفهــا عقــلاء قوم ... يكون وقودها جثث وهام
فان النار بالعودين تذكــى ... وان الحــرب اولها كــلام
وقلت من التعجب ليت شعرى ... الايقاظ اميــة ام نيــام

ثم دخلت سنة ثلاثين ومائة فيها دخل ابو مسلم مرو ونزل فى دار الامارة بها • وفيها مات الخليل بن احمــد يكنى ابا عبد الرحمــن الفراهيدي الازدى النحوي البصري • ولا يعرف من سمي احمد بعد رسول الله (صلعم) قبل احمد والد الخليل • سمع الخليل من جماعة

وبالغ فى علم اللغة وانشأ العروض وروى عنه حماد بن زيد والفضل ابن اسمعيل المازنى وكان متعبدا ذا زهادة فى الدنيا كتب سليمان بن على الهاشمي يستدعيه لتعليم ولده بالنهار ومنادمته بالليل وبعث اليه بالف دينار ليستعين بها على حاله • فاخرج الى الرسول زنبيلا فيه كسر يابسة وقال انى ما دمت اجد هذه الكسر فانى غني عنه وعن غيره ورد الالف دينار على الرسول وقال اقرأ على الامير السلام وقل له انى قد الفت قوما والفونى اجالسهم طول نهارى وبعض ليلي وقبيح بشلى ان يقطع عادة عودها اخوانه وانى غني عنه وعن غيره وكتب اليه بهذه الابيـات •

ابلغ سليمان انى عنه فى سعة — وفى غنى غيراني لست ذا مال
وان بين الغنى والفقر منزلة — معروفة بجديد ليس بالبال
شحاً بنفسى انى لاارى احدا — يموت هزلاولا يبقى على حال
والفقرفى النفس لافى المال نعرفه — ومثل ذاك الغنى فى النفس لاالمال
والرزق عن قدرلاالعجزينقصه — ولايزيدك فيه حول محتال
كل امرىء بحبال الموت مرتهن — فاعمد لبالك انى عامد بالى

قال محمد بن عبدالله بن عائشة كان الخليل يحج سنة ويتعبد سنة حتى مات • وقال النضر بن شميل ما رأينا احدا اقبل الناس الى علمه فطلبوا ما عنده اشد تواضعا من الخليل وكانوا يقولون لم يكن فى العرب بعد الصحابة اذكى من الخليل ولا اجمـع ولا كان فى العجم اذكى من ابن المقفع ولا اجمع • قال النضر بن شميل سمعت الخليل يقول الايام ثلاثة معهود وهوامس ومشهود وهو اليوم وموعود وهو غد • وقال بثلاثة تنسى المصائب مرّ الليالى والمراة الحسناء ومحادثة الرجال • وانشد لنفسه •

يكفيك مـن دهرك هذا القوت — ما اكثر القوت لمـن يموت

وقـال

وما بقيت مـن اللـذات الا — محادثة الرجال ذوى العقول
وقد كنـا نعـدهم قليـلا — فقد اضحوا اقل مـن القليل

وحدت النضر بن شميل المازنى قال قال الخليل الرجال اربعة رجل يدرى ويدرى انه يدرى فذاك عالم فاتبعوه ورجل يدرى ولايدرى انه يدرى فذاك غافل فنبهوه ورجل لايدرى ويدرى انه لايدرى فذاك جاهل فعلموه • ورجل لايدرى ولايدرى انه لايدرى فذك مائق فاحذروه • قال الناشيء الازدى يهجو داود بن على الاصفهاني الفقيه •

اقول كما قال الخليل بن احمد　　وان شبت ما بين النطائل فى الشعر
عـذلت على ما لو علمت بقدره　　بسطت مكان العذل واللوم من عذرى
جهلت ولم تعلم بانك جاهـل　　فمن لى بان تدرى بانك لاتدرى

وقال حماد عجرد فى المعنى

واقسم لو اصبحت فى لمة الهوى　　لقصرت عن لومي واطنبت فى عذرى
ولكن بلائى منك انك جاهـل　　وانك لاتدري بانك لاتدري

وقال الخليل ما جادل احد احدا الا عاداه وانى لاعجب ممن يفعل ذلك وفى هذه السنة المذكورة مات محمد بن المنكدر بن عبدالله بن الهدير ابو عبدالله وكان المنكدر دخل على عائشة فقالت له الك ولد فقال لا فقالت لو كان عندى عشرة الاف درهم لوهبتها لك فما امست حتى بعث لها معاوية بمال فقالت ما اسرع ما ابتليت وبعثت الى المكندر بعشرة الاف درهم فاشترى جارية فهى ام محمد وعمر وابى بكر وكانوا عباد المدينة • واتى صفوان بن سليمان فدخل على محمد بن المكندر وهو فى الموت فقال يا ابا عبدالله مالى اراك قد شق عليك الموت قال فما زال يهون عليه الامر ويتجلى عن وجهه حتى كأن فى وجهه المصابيح ثم قال محمد لو ترى ما انا فيه لقرت عينك ثم قضى رحمه الله تعالى • وفيها مات مالك بن دينار ابو يحيى مولى لامراة من بنى اسامة بن لؤى وكان ثقة يكتب المصاحف وكان زاهداً فى الدنيا واسند الحديث عن انس بن مالك • وعن جعفر بن سليمان قال كان يرى مالك بن دينار يوم التروية بالبصرة ويوم عرفة بعرفات ودخل اللصوص على مالك بن دينار

فلم يجدوا شيئا فارادوا الخروج من داره فقال مالك ما عليكم لو صليتم ركعتين •

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائة فيها كان طاعون ابن قتيبة قال الاصمعى كان يمر بطريق المربد كل يوم احد عشر الف نعش قال مات فى اول يوم سبعون الفا وفى الثانى نيف وسبعون الفا واصبح الناس فى اليوم الثالث موتى وكان يغلق الباب على الموتى مخافة ان تاكلهم الكلاب • وفيها مات ايوب بن ابى تميم السختيانى يكنى ابا بكر مولى لعنزة واسم ابى تميم كيسان كان ثقة دينا ورعا يستر حاله حج اربعين حجة وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة • وفيها مات ابراهيم ابن محمد بن عبدالله بن عباس امه ولد وهو الذى يقال له الامام اوصى اليه ابوه وانتشرت دعوته فى خراسان كلها وكان شيعته يختلفون اليه ويكاتبونه ووجه ابا مسلم الى خراسان واليا على شيعته ودعاته فخرج ابو مسلم لمحاربة عمال بني امية واظهر لبس السواد وغلب على البلاد الى ان اظهر اسمه فعلم بالحال مروان بن محمد فاخذ ابراهيم فحبسه فمات فى حبسه بارض الشام وهو ابن ثمان واربعين سنة • وقيل انه هدم عليه بيتا وقيل سقي لبنا فاصبح ميتا (١)

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائة فيها بويع لابي العباس السفاح ولنذكر شيئا من تلخيص احوال بنى امية ونعود الى خلافة بنى العباس على الترتيب بتوفيق الله وعصمته ومنه بالخير •

ذكر تلخيص اخبار بنى امية

جميع خلفائهم من معاوية الى مروان بن محمد اربعة عشر خليفة ومدة خلافتهم منذ خلص الامر لمعاوية الى ان قتل مروان احدى وتسعون سنة وتسعة اشهر • ثم تفرقوا بعد قتل مروان بن محمد فى البلاد وتمزقوا كل ممزق فهرب عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك

---

(١) ذكر آنفا انه ادخل رأسه فى جراب نوره فمات .

الى الاندلس فبايعه اهلها وذلك فى سنة تسع وثلثين ومائة فاقام واليا ثلاثا وثلاثين سنةواربعة اشهر ثمولى بعده ابنههشام سبعسنين وتسعة اشهر ومات سنة ثمانين ومائة وكان عاقلا حازما خيرا عادلا ثم ولي الحكم بن هشام سبعا وعشرين سنة وكان فصيحا شاعرا وهو اول من استكثر من المماليك بالاندلس وربط الخيل وتشبه بالجبابرة فحاربه عمه سليمان ثم ولى عبد الرحمن بن الحكم اثنين وثلاثين سنة واحد عشر شهراثم ولياخوه عبداللهخمسا وعشرين سنة ومات فولىابن ابنه عبد الرحمن بن محمد وتسمى امير المؤمنين الناصر لدين الله وكان قبله من الامراء من الامويين يسمّون بنى الخلائف ولم يزلواليا خمسين سنة ثم ولى بعده ابنه الحكم بن عبد الرحمن ولقب المستنصر بالله فاقام فى الملك واليا الى ان مات خمس عشرة سنة وشهرا ثم ولى ابنه هشام وله تسع سنين فاقام واليا تسعا وثلاثين سنة الى ان غلب على الامر محمد بن عبد الجبار وتلقب بالمهدى وظهر عليه سليمان ابن الحكم وتلقب بالمستعين وحاصر المهدى وقتله وتغلب سليمان على الامر ثم قام علىبن حمود الادريسي فقاتلسليمان فظفر بهفقتله وتلقب بالناصر لدين الله ولم يزل واليا الى ان قتله مملوكه بالحمام وولى بعده اخوه القاسم بن حمود وتلقب بالمامون • وظهر هشام ورجع الى الاندلس فى سنة اربع وعشرين واربعمائة • هذا اخر ما انتهى الينا من اخبارهم والله اعلم بالصواب •

ذكر خلافة

أبي العباس السفاح

هي اول خلافة بنى العباس وهو اول الخلفاء منهم وهو ابو العباس عبدالله بن محمد بن على بن عبدالله بن العباس عم النبى (صلعم) امه ريطة بنت عبد المدان الحارثى مولده سنة خمس ومائة وبويع له بالخلافة يوم الجمعة ثالث عشر شهر ربيع الاول من سنة

اثنين وثلاثين ومائة وكان طويلا ابيض افنى الانف حسن الوجه جوادا سديد الرأى كريم الاخلاق اشترى بردة النبى (صلعم) باربعمائة دينار وكان ذا فضل وحزم ومخاشنة • وروى فى الحديث ان النبى (صلعم) اعلم العباس ان الخلافة تؤول الى ولده فلم يزل ولده يتوقعونها بذلك بينهم • وعن ابى سعيد الخدرى عن النبى (صلعم) انه قال يخرج رجل فى انقطاع من الزمن وظهور من الفتن يسمى السفاح • وعن ابن عباس قال والله لو لم يبق من الدنيا الا يوم لادال الله من بنى امية ليملكن منا السفاح والمنصور والمهدى • وان اول قائم من بنى العباس ابرهيم بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس فحبسه مروان بن محمد فمات فى الحبس فاوصى الى اخيه ابى العباس السفاح وجعله الخليفة من بعده وامر اهله بالمسير الى الكوفة مع اخيه حتى قدموا الكوفة فى صفر فافرد لهم ابو سلمة دارا لزيد ابن سعد مولى بنى هاشم وكتم امرهم نحوا من اربعين ليلة عن جميع القواد والشيعة ويقال انه اراد تحويل الامر الى آل ابى طالب لما بلغه الخبر عن موت ابرهيم بن محمد وذهب قوم من الشيعة فدخلوا على ابى العباس وجاء ابو سلمة فمنعوه ان يدخل معه احد فدخل وحده فسلم عليه بالخلافة فقال له ابو حميد على رغم انفك وبويع ابو العباس السفاح بالكوفة فى يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الاخر سنة اثنين وثلاثين ومائة وانتقل الى الانبار فسكنها حتى مات • واستخلف وعمره سبع وعشرون سنة وكان اصغر سنا من اخيه المنصور نقش خاتمه • الله ثقة عبدالله • واول من وزر لبنى العباس ابو سلمة حفص بن سليمان الخلال ثم خالد بن برمك • ولما ولي الخلافة خرج يوم الجمعة فصلى بالناس فقال فى خطبته • الحمد لله الذى اصطفى الاسلام لنفسه وكرمه وشرفه وعظمه واختاره لناوايده بنا وجعلنا اهله وكهفه

وحصنه والقوام به الذابين عنـه والناصرين له وخصنا برحم رســول الله (صلعم) وانبتنا من شجرته واشتقنا من نبعته وانزل بذلك كتابا فقال فيه قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة فى القربى . فلما قبض الله رسوله قام بالامر اصحــابه وامرهم شورى بينهــم فعدلوا وخرجوا خماصا . ثم وثب بنو حرب وبنو مروان فابتزوها وتداولوها واستاثروا بها ظلما لاهلها فاملى الله لهم حينا فلما اسفوه انتقم منهم

بايدينا ورد علينا حقنا . وانا السفاح المبيــر والثائر المبيد . وكان موعوكا فاشتد عليه الوعك فجلس على المنبر ولم يتــكلم . فوثب عمه داود بن علي وكان بين يديه فقال انا والله ما خرجنا لنكتر لجينا ولا عقيانا ولالنحفر نهرا ولا لنبنى قصرا وانما اخرجتنا الانفة من ابتزازهم حقنا . ولقد كانت اموركم ترمضنا . لكم ذمــة الله وذمة رسوله وذمة العباس ان نحكم فيكم بما انزل الله ونعمل بكتاب الله ونسير فيكم بسنة رسوله واعلموا ان هذا الامر فينا وليس بخارج منا حتى نسلمه الى عيسى بن مريم . ثم نــزل ابو العبــاس وداود امامه حتى دخل القصر واجلس ابا جعفر لاخذ البيعة على الناس فى المسجد واحكم التدبير ابو سلمة حفص بن سلمان ولقب بالوزارة وهو اول من تسمى بها . وكتب اليه ابو مسلم الى ابى سلمة وزير آل

محمد من عبدالرحمن ابىمسلم امين آل محمد.ثم استعمل السفاح على الكوفة عمهداودبن علي وعلى واسط اخاهاباجعفر وحضرهجماعةمن اهل بيته فذكروا جمــع المــال، فقــال عبدالله بن حســن بن حسن سمعــت بالف الف درهم وما رأيتها مجتمعة . فقال ابو العباس السفاح انا اصلك بها حتى تراها مجتمعة، فلما قبض المال استأذنه فى الخروج الى المدينة فأذن له ودفــع اليه مالا ليقسمه على بنى هاشم بالمــدينة فلما قسمه اخذوا يشكرون ابا العباس فقال عبدالله بن حسن بن حسن هولاء احمق الناس يشكرون لمن اعطاهم بعض حقهم فبلغه ذلك فاخبر

اهله فقالوا ادبه فقال من شدد تأنف ومن لان تألف والتغافل من اخلاق الكرام ودخل عبدالله بن حسن بن حسن ومعه مصحف فقال يا امير المؤمنين اعطنا حقنا الذى جعله الله لنا فى هذا المصحف قال فأشفق الناس ان يعجل السفاح بشىء اليه ولا يريدون ذلك فى شيخ من بنى هاشم او يعيا بجوابه فيكون ذلك عارا عليه قال فاقبل عليه غير مغضب ولا منزعج فقال جدك علي كان خيرا منى واعدل ولي هذا الامر واعطى جديك الحسن والحسين وكانا خيرا منك شيئا وكان الواجب ان اعطيك مثله فان كنت فعلت انصفتك وان كنت قد زدتك فما هذا جزائي منك فما رد عبدالله جوابا وانصرف والناس يتعجبون من جوابه له • ذكر عبد الله بن عائشة قال لما استقام الامر لابى العباس السفاح خطب يوما فاحسن فى خطبته • فلما نزل عن المنبر قام اليه السيد الحميرى فانشده •

دونكموها يا بنى هاشم — فجددوا من آيها الطامسا
دونكموها فالبسوا تاجها — لاتعدموا منكم لها لابسا
دونكموها لا على كعب من — امسى عليكم ملكها نافسا
خلافة الله وسلطانه — وعنصرا كان لكم دارسا
لو خير المنبر فرسانه — ما اختار الا منكم فارسا
والملك لو شوور فى ساسة — ما اختار الا منكم سائسا
لم يبق عبدالله بالشام من — آل ابى العاص امرأ عاطسا

فقال ابو العباس السفاح سل حاجتك فقال ترضى عن سليمان ابن حبيب بن المهلب وتوليه الاهواز فدفع الى السيد ما طلب فاخذه وقدم على سليمان بالبصرة فلما وقعت عينه عليه انشده •

اتيناك يا قرم اهل العراق — بخير كتاب من القائم
اتيناك من عند خير الانام — وذاك ابن عمّ ابى القاسم
اتينا بعهدك من عنده — على من يليك من العالم
يوليك فيه جسام الامور — فانت صنيع بنى هاشم

فقال له سليمان شريف شافع ووافد وشاعر ونسيب سل حاجتك قال جارية فارهة جميلة ومن يخدمها وبدرة ومن يحملها وفرس رائع وسائسه وتخت من صنوف الثياب وحامله قال امرت لك بجميع ما سألت ولك عندي في كل سنة مثله وقيل انشد في ذلك ابياتا .

ساحكم ان حكمتني غير مسرف ولا مقصر يا ابن الكماة الاكارم
ثلاثة الاف وعبد وبغلة وجارية حسناء ذات مآكم
وسرج وبرذون ضليع وكسوة وما ذاك بالاكثار من حكم حاكم
على ذي ندى يعطيك حتى كأنما يرى بالذى يعطيك احلام نائم
ارحنى بها من مجلسي ذا فانني وحقك ان لم اعطها غير رائم

وفي هذه السنة قتل مروان بن محمد وذلك انه لما هرب من الزاب مر بقنسرين وعبدالله بن علي يتبعه ثم مضى الى حمص فتلقاه اهلها بالسمع والطاعة فاقام بها يومين او ثلاثة ثم شخص منها فلما رأوا قلة من معه طمعوا فيه وقالوا مرعوب مهزوم فاتبعوه بعد ما رحل فلحقوه على اميال فلما رأى غبرة خيولهم كمن كمينين ثم صافهم وناشدهم المسالمة فابوا الا قتاله فنشب القتال بينهم وثار الكمينان من خلفهم فهزمهم ومر مروان بدمشق ومر بالاردن ومر ببلاد صفد وفلسطين فاتبعه عبدالله بن على فانفذ ابو العباس عمه صالح بن على في جمع كثير الى الشام على طريق السماوة حتى لحق باخيه عبدالله وسارا الى دمشق وبها الوليد بن معوية بن مروان بن الحكم خليفة مروان نحصراها وفتحاها عنوة وقتل الوليد ونهب البلد ثلاثة ايام وقلعا سورها حجرا حجرا وبعثا يزيد بن معوية وعبد الله بن عبد الجبار بن يزيد الى ابى العباس فقتلهما وصلبهما وهرب مروان الى مصر فدخلها في رمضان وبها عبدالله قد سبقه ونزل عبد الله بن على نهر ابى فطرس من فلسطين وجمع بنى امية واظهر انه يريد ان يفرض لهم العطاء فلما اجتمعوا وهم نيف وثمانون انسانا خرجوا عليهم فقتلوهم وجاء كتاب ابى العباس ان

تنفذ صالح بن على لطلب مروان وان تجعل على مقدمته اباعون عامر بن عبدالله بن يزيد فمضى ومعه ابو عـــون والحسن بن قحطبـــة فبلغوا العريش وبلغ مروان الخبر فاحرق ما حوله من علف وطعام وهرب ومضى صالح ومن معه فى طلبه الى الصعيد فساروا حتى ادركوه بقرية تسمى بوصير من اخر الليل وقد نزل الكنيسة ومعه حرمه وثقله وولده قال عامر فوصلنا فى جمع يسير فلو علم قلتنا لشد علينا فلجأنا الى شجر ونخل قلت لاصحابى ان اصحبنا وراوا قلتنا اهلكونا • وخرج مروان فقاتل وهو يقول كانت لله علينا حقوق ضيعناها ولم نقم بما يلزمنا فحلم عنا ثم انتقم منا وكان قدعرض جيشه بالرقة فمربه ثيانون الف عربي على ثمانين الف فرس عربية • ففكر ساعة ثم قال اذا انقضت المدة لم تنفع العدة • ثم بالغ فى القتال فقتل ثلاثمائة رجل واثخنة الجراح وحمل عليه فقتله واحتز راسه رجل من اهل البصرة كان يتبع الرجال فقال الحسن بن قحطبة اخرجوا الى اكبر بنات مروان فاخرجوها وهى ترتعد فقال لها لابأس عليك فقالت واى بأس اعظم من اخراجك اياى حاسرة من حيث لم ار رجلا قط ووضع الرأس فى حجرها فصرخت واضطربـــت فقيل له ما حملك على هذا قال كفعلهم بزيد بن على حين قتلوه فانهم جعلوا راسه فى حجر زينب بنت على وبعث برأسه الى صالح بن على فنصب على باب مسجد دمشق وبعث به الى السفاح فخر ساجدا وتصدق بعشرة الاف دينار • واوغل اولاد مروان الى بلاد النوبة فقتل بعضهم وافلت بعضهم وكان فيهم بكر بن معوية الباهلى فســلم حتى كانت خلافة المهدى وفى هذه السنة مات عبدالحميد بن يحيى بن سعيد مولى بنى عامر بن لوءى الكاتب المعروف المشهور بالفضل صاحب اساس الكتابة والبلاغة وهو الذى رسم رسومها واصل اصولها وفرع فروعها وقام فى الخلافة مقام الوزير وكان من كتاب مروان بن محمد •

ثم خلت سنة خمس وثلاثين ومائة فيها ماتت رابعة العدوية وحديثها فى عبادتها وزهدها ودينها وورعها مشهور • وفيها مـــات عبدالله بن

والسائب المخزومي وكان دينا فاضلا خيرا عفيفا لكنه كان مشتهرا بحب الغزل والتشبيت ويهش عند استماع الشعر ويطرب له •

ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائة وفيها توفي ابو العباس السفاح توفي بالجدرى في ثالث عشر ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وعمره ثلاث وثلاثون سنة وخلافته اربع سنين وثمانية اشهر ودفن بالانبار •

ذكر اولاده

وهم صالح ومحمد وكان فاضلا وله شعر وبنت اسمها ريطة تزوجها المهدى •

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزر له ابو سلمة حفص بن سليمان الخلال الكوفي وقتله واستوزر بعده خالد بن برمك • واستقضى عبدالرحمن بن ابى ليلى ثم يحيى بن سعيد الانصارى واستحجب ابا غسّان •

ذكر خلافة

المنصور العباسي

مولده سنة خمس وتسعين بارض الشام وامه سلامة البربرية اتاه خبر نعي السفاح وهو حاج في موضع يقال صفينة فقال صفا لنا امرنا ان شاء الله تعالى وتلقب بالمنصور بالله وهو اول من تلقب من الخلفاء • وكان اسمر خفيف اللحية رحب الجبهة اقنى الانف وكان نقش خاتمه • عبدالله وبه يؤمن • وكان عالما بليغا حازما ومن كلامه • التعريض عقوبة الاحرار والاماني مخائل الجهال وما يؤثر من ذكائه انه لما دخل المدينة قال للربيع اطلب لي رجلا يعرفني دور الناس فاني احب ان اعرفها فجاءه بمن يعرفه وقال له

لاتبتدئه حتى يسألك فركب معه فلما فارقه امر له بالف درهم • فطالب الرجل الربيع فقال ما قال لى شيئا فاذا ركب غدا فاذكره • فلما كان من الغد وركب على العادة فلم ير موضعا للكلام فلما اراد ان يفارقه قال له مبتدئا وهذه يا امير المؤمنين دار عاتكة التى يقول فيها الاحوص حيث يقول

يا دار عاتكـــة التى اتعـزل حذر العدى وبها الفؤاد موكل

فانكر المنصور ابتداءه فامر القصيدة على قلبه فاذا فيها

واراك تفعل ما تقول وبعضهم مذق الحديث يقول مالا يفعل

فعلم انه لم ياخذ ما امر له به فضحك قال يا ربيع الف درهم وعدته بها والف اخـرى •

ذكر وفاته

كان قد خرج محرما من مدينة السلام يريد الحج فى سنة ثمان وخمسين ومائة • وكان قد رأى فى منامه كـأن آتيا اتاه فانشـده مشيرا الى قصره

كأنى بهذا القصر قد باد رسمه وعرى منه اهـله ومنازله

وصار رئيس القوم من بعد عزه الى جدث تبنى عليه جنادله

فعند ذلك اغتسل وصلى ركعتين ولبس احرامه وتوجه الى الحج فلما وصل القادسية كتب على حائط هناك •

المرء يأمل ان يعيش وطول عمر قـد يضـره
تبلى بشاشته ويبقى بعـد حلو العيش مـره
وتخـونه الايام حتى لايرى شيئا يسره
كم شـامت بى ان هلكـت وقائل لله دره

فلما انتهى الى بئر ميمون توفى بها يوم التروية ودفن بالمعلى ظاهر مكة شرفها الله مكشوف الرأس وذلك يوم السبت سادس ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة وعمره ثلاث وستون وخلافته احدى وعشرون سنة واحد عشر شهرا وثمانية ايام •

وهم جعفر الاكبر وجعفر الاصغر وعبد العزيز وعلي وأبو عبدالله محمد وابراهيم ويعقوب وحج بالناس وصالح المسكين وحج بالناس أيضا وسليمان وعيسى والعباس وفاطمة والعالية وأسماء .

ذكر وزرائه

وزر له خالد بن برمك وعزله واستوزر أبا أيوب سليمان بن خالد المورياني ثم عزله واستوزر الربيع بن يونس الى حين وفاته وقضاته عبدالله ابن صفوان وشريك بن عبدالله والحسن بن عمارة والحجاج بن ارطاة . حجابه الخصيب ثم الربيع ثم الفضل ابنه والخلفاء كلهم من عقبه لان أخاه السفاح لا عقب له في الخلافة .

ذكر الحوادث التى جرت فى أيام خلافته

قال الاصمعي لما تولى المنصور الخلافة صعد المنبر فقال الحمد لله أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له . فقام له رجل فقال يا أمير المؤمنين . أذكرك بمن أنت تذكر به فقال أبو جعفر مرحبا لقد ذكرتنا جليلا وخوفتنا عظيما وأعوذ بالله أن أكون ممن اذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم والموعظة منا بدت ومن عندنا خرجت . وأما أنت يا قائلها فاحلف بالله ما الله أردت بها انما أردت أن يقال قام فقال فعوقب فصبر وأهون بها من قائلها واياكم معشر الناس من أمثالها . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . وعاد الى الخطبة كأنما يقرأها من قرطاس . وكان المنصور يشتغل في صدر نهاره بالامر والنهي والولايات وشحن الثغور والاطراف والنظر في الخراج والنفقات ومصالح الرعية . فاذا صلى العشاء نظر فيما ورد عليه من كتب الثغور والاطراف وشاور سماره . وكان ولاة البريد يكتبون اليه كل يوم بسعر القمح والحبوب والادام وكل مأكول وكل ما يقضي به القضاة في نواحيهم وما يرد الى بيت المال وكل ما يحدث . فاذا

صلى المغرب يكتبون اليه بما كان ذلك اليـــوم فاذا نظر في كتبهـم فان رأى الاسعار على حالها سكت وان تغير منها شيء كتب الى العامل عن العلة فاذا ورد الجواب تلطف حتي يعود سعر ذلك البلد الى حاله • وان شك في شيء ممـا قضى به القاضي كتب اليه في ذلك وسأل من بحضرته عن عمله فان أنكـــر شيئا كتب يوبخه ويلومه • فاذا مضى ثلث الليـل قام الى فراشـــه وانصرف سماره • فاذا مضى الثلث الثاني قام من فراشه وأســبغ الوضـــوء وصف في محرابه حتي يطلع الفجر • ووقع الى عامل من عماله • قد كثر[1] شاكوك وقل شاكروك فاما اعتدلت واما اعتزلت • قال أبو بكر الصولي أول من وزر لبني العباس أبو سلمة الخلال ثم خالد بن برمك فلما توفي السفاح أقره المنصـور لديه • ثم استوزر أبا أيـوب سليمان بن أبي سـليمان المورياني ثم ولى أبـا الفضل الربيع بن يونس بعد أبي أيوب • قال المؤمل بن اميل قدمت عـــلى المهدي وهو بالري وهو اذ ذاك ولي عهد فامتدحته بأبيات فأمـر لي بعشرين ألف درهم فكتب الى المنصـور وهو بمدينة السلام بالخبـر فكتب الى كاتب المهدي ان وجه الي بالشاعر فطلبت فلم يقدر علي وكتب الى أبي جعفر انـه قد توجه الى مدينة السلام فأجلس المنصـور قائـدا من قـــواده عـلى جسر النهروان وأمره أن يتصفح الناس رجلا رجلا فجعل لا تمر به قافلة الا تصفح من فيها • حتي مرت به القافلة التي فيها المؤمل بن اميل فتصفحه فلما سأله من أنت قال أنا المؤمل بن اميل المحاربي الشاعر أحد زوار المهدي قال ايـاك طلبت • قال المؤمل فكاد قلبي أن ينصدع خوفا من أبي جعفر فقبض علـــي وسلمني الى الربيع فدخل على أبي جعفر وقال هذا الشاعر قد ظفرنا به قال أدخلوه الي" فدخلت، فسلمت يسلم عليه مروّع، فرد السلام وقال: ليس ههنا الا خيرا أنت المؤمل بن اميل قلت نعم يا أمير المؤمنـين قال أتيت غلاما غـــرا فخدعته قلت نعم أصلح الله أمير المؤمنين أتيت غلاما كريما فخدعته فانخدع

---

(١) هذا التوقيع معروف أنه لجعفر بن يحيى البرمكي •

قال فكأن ذلك أعجبه • فقال أنشدني ما قلت فيه فأنشدته :

هــــو المهـدي الا أن فيـــه ... مشابه صــورة القمر المنير
تشابه ذا وذا فهمـــا اذا مـــا ... أنارا يشـكلان عـلى البصير
فهذا في الظـلام سراج ليل ... وهذا في النهار ضياء نـور
ولكن فضــــل الرحمن هذا ... عـــلى ذا بالمنابر والسـرير
وبالملك العـزيز فــذا أمير ... وما ذا بالأمــير ولا بالوزير
ونقص الشهر يخمد ذا وهذا ... منـير عنـد نقصان الشـهور
فيـا ابن خليفـة الله المصفى ... به تعلـو مفاخــرة الفخور
لئن فت الملوك وقـــد توافوا ... اليك من السـهولة والوعور
لقد سبق الملـوك أبوك حتى ... بقوا ما بين كاب أو حسـير
وجئت مصليا تجري حثيثـا ... وما بك حين تجري من فتور
فقال الناس مـــا هـذان الا ... بمنزلة الخليق من الجـدير
فان سبق الكبير فأهل سـبق ... له فضــل الكبير على الصغير
وان بلغ الصغير مدى كبـير ... فقد خلق الصغير من الكبـير

فقال المنصور قد والله أحسنت ولكن هذا لا يســاوي عشرين ألف درهم أين المال قلت ها هو ذا فقال يا ربيع امض معه فاعطه ألف درهــم وخذ منه الباقي ففعل الربيع ما أمره المنصــور • ثم ان المهدي ولي الخلافة بعد ذلك فولى ابن ثوبان المظالم فكان يجلس للناس بالرصافة فرفعت اليــه قصة فلما وصلت اليه قصتي ضحك فقال له ابن ثوبان أصلح الله أمـــير المؤمنين ما رأيتك ضحكت من شيء الا من هذه القصة فقال نعم هذه رقعـة أعرف قصتها • ردوا عليــه عشرين ألف درهم فردوهــا الي فأخذتهـــا وانصرفت • وفي هذه السنة توفي ربيعــة بن أبي عبدالرحمن بن فروخ مولى آل المنكدر التيمي وهو الذي يقال له ربيعة الرأي ويكنى أبا عثمــان وهو الذي سمع أنس بن مالك والسائب بن زيد وعامة التابعين من أهــل

المدينة • وروى عنه مالك والثوري وشعبة والليث بن سعد وغيرهم وكان عالما فقيها ثقة • وقال يونس بن زيد رأيت أبا حنيفة عند ربيعة ومجهود أبي حنيفة أن يفهم ما يقول له ربيعة •

ودخلت سنة سبع وثلثين ومائة فيها قتل أبو مسلم الخراساني وجه المنصور اليه جرير بن يزيد بن جرير بن عبدالله وأبو مسلم الخراساني واحد زمانه فخدعه ورده • قال جرير نزلت مع أبي مسلم بجسر النهروان فتغدينا فقال أين أمير المؤمنين فقلت بالمدائن قال في أي موضع قلت في صحراء قال فما اسم الموضع قلت رومية فأطرق ثم قال سر ولا حول ولا قوة الا بالله وضرب بسوطه معرفة فرسه وقال اذا كان كل مقدور كائن فأي شيء ينفع الحذر • قال جرير : وقد كان قبل ذلك قيل له تموت أو تقتل برومية فظنها بلاد الروم • ثم قال انا لله وانا اليه راجعون ذهبت والله نفسي بيدي • ثم جعل يخاطب نفسه ويقول : يا أبا مسلم فتح لك باب من المكائد في عدوك وصديقك ما لا يفتح لاحد بمثله حتي اذا دان لك من في المشرق والمغرب خدعك عن نفسك من كان يهاب بالامس أن ينظر اليك • انا لله وانا اليه راجعون ثم تمثل :

ما للرجال مع القضاء محالة ذهب القضاء بحيلة الاقوام

فنزل وتلقاه الناس وأنزلوه وأكرموه • وكان ممن بعث اليه المنصور عيسى بن موسى فحلف له بعتق كل مملوك له وصدقة ما يملك وطلاق نسائه وقال له لو خير المنصور بين موت ابنه وموتك لاختار موت ابنه فانه لا يجد عنك خلفا فأقبل معه فلما دخل أبو مسلم المدائن قال لعيسى بن موسى وهو يسايره ما مثلي ومثلك ومثل عمك الا مثل ثلاثة نفر كانوا في سفر • فأتوا على عظام نخرة فقال أحدهم عندي طب اذا رأيت عظاما نخرة مفرقة ألفتها فقال الثاني وأنا اذا رأيت عظاما موصولة كسوتها لحما • فقال الثالث وأنا اذا رأيت عظاما مكسوة لحما أجريت فيها الروح قال ففعلوا ذلك فاذا

الذي أحيوه أسد . فقال الأسد في نفسه ما أحياني هؤلاء الا وهم على أن يميتوني أقدر . فوثب عليهم فأكلهم والله ليقتلني وليقتلن عمك وليخلعنك أو ليقتلنك . قال اسحق الموصلي : لما عزم المنصور على أن يقتل أبا مسلم هاب ذلك عمه عيسى بن علي فكتب اليه :

اذا كنت ذا رأي فكن ذا تدبر فان فساد الرأي أن تتعجلا

فوقع المنصور في كتابه :

اذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فان فساد الرأي أن تترددا
ولا تمهل الاعداء يوما لقدرة وبادرهم أن يملكوا مثلها غدا

والشعر للمنصور . فلما دنا أبو مسلم من المدائن أمر أمير المؤمنين الناس فتلقوه . فدخل أبو أيوب على أبي جعفر فقال هذا الرجل يدخل العشية فما تريد أن تصنع قال أريد أن أقتله حين أنظر اليه فقال له ان دخل عليك ولم يخرج لا آمن البلاء ولكن اذا دخل عليك فأذن له أن ينصرف فاذا غدا عليك رأيت رأيك . فلما دخل عليه سلم وقام قائما بين يديه فقال انصرف يا عبدالرحمن فأرح نفسك فان السفر متلف فاغد علي فانصرف ثم ندم أبو جعفر فافترى على أبي أيوب وقال متى أقدر على مثل هذه الحال ولا أدري ما يحدث في ليلتي فلما أصبحوا جاء أبو أيوب فقال له أبو جعفر يا ابن اللخناء لا مرحبا بك أنت منعتني منه أمس والله ما غمضت الليلة ثم شتمه حتى كاد أن يأمر بقتله . ثم قال ادع لي عثمان بن نهيك فدعاه فقال يا عثمان كيف بلاء أمير المؤمنين عندك فقال يا أمير المؤمنين انما أنا عبدك . والله لو أمرتني أن أتكي على سيفي حتى يخرج من ظهري لفعلت قال كيف أنت ان أمرتك بقتل أبي مسلم فوجم ساعة لا يتكلم فقال له أبو أيوب مالك لا تتكلم فقال بصوت ضعيف أقتله قال انطلق فجيء بأربعة من وجوه الحرس أقوياء فمضى فلما كان عند الرواق ناداه يا عثمان ارجع واجلس وارسل من تثق به من الحرس فليحضر منهم أربعة فلما حضروا قال لهم أبو جعفر نحوا مما قال لعثمان فقالوا نقتله

قال كونوا خلف الرواق فاذا صفقت فأخرجوه فاقتلوه • وأرسل الى أبي مسلم رسلا بعضهم اثر بعض فقالوا قد ركب الى عيسى بن موسى فدعا له بالغداء ثم خرج الى أبي جعفر وأبو نصر حاجبه بين يديه وحربته معه فلما قرب من الباب خرج سلام الحاجب فقال انزل فدخل الدهليز فأغلق الباب دونه فقال أبو مسلم تدخل خاصة أصحابي فقال له الربيع لم يؤمر بذلك فنزع السيف من وسطه فقال الآن عرف الرامي موضع سهمه • وهو مثل يضرب لمن مكن عدوه من نفسه • فلما أبصر المنصور انحرف الى القبلة فخر ساجدا ثم دنا منه ليقبل أطرافه فقال له وراءك يا ابن اللخناء • فنصب له كرسي فقعد فقال له أبو جعفر اخبرني عن نصلين أصبتهما في متاع عبدالله ابن علي فقال هذا أحدهما الذي علي • قال أرنيه فانتضاه[1] وناوله أياه فهزه أبو جعفر ثم وضعه تحت فراشه وأقبل عليه يعاتبه فقال له اخترناك وأنت لا تدري أية بيضة انفقأت عن رأسك ولا من أي وكر نهضت • خامل ابن خامل قل ابن قل ذل ابن ذل عشت أيام حداثتك وخير يوميك يوم تشتري فيه لعاصم بن اويس ابزار قدره ومكسحة داره فرقينا بك المنابر وأوطئنا أعناق العرب والعجم عقبيك • خبرني عن كتابك الى أبي العباس تنهاه عن احياء الموات • أردت أن تعلمنا الدين • قال ظننت أخذه لا يحل فكتب الي فلما أتاني كتابه علمت أن أمير المؤمنين وأهل بيته معدن العلم قال أخبرني عن تقدمك اياي في الطريق • قال كرهت اجتماعنا على الماء فيضر ذلك بالناس فتقدمت التماس الرفق قال فقولك حين أتاك الخبر بموت أبي العباس لمن أشار عليك أن تنصرف الي نقدم فنري من رأينا ومضيت فلا أنت أقمت حتى ألحقك ولا أنت رجعت الي قال منعني ما خبرتك من طلب الرفق بالناس وقلت تقدم الكوفة • قال فجارية عبدالله بن علي أردت أن تتخذها قال لا ولكن خفت أن تضيع فحملتها في قبة ووكلت بها من

---

(١) سبق قوله بنزع الحاجب سيفه •

يحفظها • قال فمراغمتك وخروجك الى خراسان • قال خفت أن يكون قد دخلك مني شيء فقلت آتي خراسان فأكتب اليك بعذري أما قد ذهب ما في نفسك علي • فقال تالله ما رأيت كاليوم قط والله ما زدتني الا غيظا • فقال لا يقال لي هذا بعد بلائي وما كان مني • قال يا ابن اللخناء الخبيثة والله لو كانت أمة مكانك لاجزأت انما عملت في دولتنا وبريحنا ولو كان ذلك اليك ما قطعت فتيلا ألست الكاتب الي تبدأ بنفسك السبت الكاتب تخطب آمنة بنت علي وتزعم أنك ابن سليط بن عبدالله بن عباس • لقد ارتقيت لا أم لك مرتقى صعبا فأخذ يعتذر وأبو جعفر يعاتبه الى أن قال أبو مسلم دع هذا فما أصبحت أخاف الا الله فغضب وشتمه وضربه بعمود وصفق فخرجوا عليه فضربه عثمان فلم يصنع شيئا ولم يزد على أن قطع حمائل سيفه وضربه آخر فقطع رجله فصاح المنصور اضربوا قطع الله أيديكم فقال أبو مسلم في أول ضربة استبقني لعدوك فقال وأي عدو أعدي لي منك • فصاح العفو فقال المنصور ياابن اللخناء العفو والسيوف قد اعتورتك • ثم صاح اذبحوه فذبحوه • ودعا عيسى بن موسى فقال له أين أبو مسلم فقال مدرج في الكفن فقال أنا لله وانا اليه راجعون وجعل عيسى بن موسى يلطم ويقول أحنثتني في ايماني وأهلكتني فقال علي والله عن كل شيء تخرجه ضعفه ويحك اسكت فما تم تسلطك ولا أمرك الا اليوم ثم رمي به في دجلة وذلك لخمس بقين من شعبان من سنة سبع وثلاثين ومائة • فقال المنصور :

زعمت أن الدين لا يقتضى فاستوف بالكيل أبا مجرم
سقيت كأسا كنت تسقي بها أمر في الحلق من العلقم

وكان أبو مسلم قد قتل في دولته وحروبه ستمائة ألف •

وروي عن ابن الزبير أنه قال ولد أبو مسلم عبد الرحمن المروزي صاحب دعوة الدولة العباسية باصبهان وكان أبوه أوصى به الى عيسى بن موسى السراج فحمل الى الكوفة وهو ابن سبع سنين فقال له ابراهيم بن محمد بن علي

ابن عبدالله بن عباس لما عزم على توجيهه الى خراسان غير اسمك فقال قد سميت نفسي عبدالرحمن فمضى وله ذؤابة وركب حمارا باكاف وهو ابن سبع عشرة سنة • فقال له خذ نفقة من مالي لا أريد أن تمضي بنفقة من مالك ولا من مال عيسى وكان شجاعا ذا رأي وعقل وعزم الا أنه كان فتاكا• قام رجل الى أبي مسلم وهو يخطب فقل ما هذا السواد الذي عليك فقال حدث ابن الزبير عن جابر بن عبدالله أن رسول الله (صلعم) دخل مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء وهذه ثياب الهيبة وثياب الدولة يا غلام اضرب عنقه •

وقال أبو مسلم : ارتديت الصبر وتجلببت الكتمان وحالفت الاحزان والاشجان وسامحت المقادير والاحكام حتي بلغت غاية همتي وأدركت نهاية بغيتي وأنشأ يقول :

قد نلت بالحزم والكتمان ما عجزت ... عنه الملوك بنو مروان اذ حشدوا
ما زلت أضربهم بالسيف فانتبهوا ... من رقدة لم ينمها قبلهم أحد
طفقت أسعى عليهم في ديارهم ... والقوم في ملكهم بالشام قد رقدوا
ومن رعى غنما في أرض مسبعة ... ونام عنها تولى رعيها الاسد

وظهر أبو مسلم لخمس بقين من رمضان سنة تسع وعشرين ومائة ثم سار الى أبي جعفر أمير المؤمنين سنة ست وثلاثين ومائة وقيل في شعبان سنة سبع وثلاثين ومائة في المدائن فبقي فيما كان فيه ثمانية وسبعين شهرا غير ثلاثة عشر يوما •

قال الشيخ الامام أبو الفرج بن الجوزي نقلت من خط الشيخ أبي الوفاء بن عقيل قال وجدت في تعليق محقق من أهل العلم أن سبعة مات كل واحد منهم وله ست وثلاثون سنة فتعجبت من قصر أعمارهم مع بلوغ كل منهم الغاية فيما كان فيه وانتهي اليه • فمنهم الاسكندر ذو القرنين وأبو مسلم صاحب الدولة العباسية وابن المقفع صاحب الخطابة والفصاحة •

وسيبويه صاحب التصانيف والمقدم في علم العربية • وأبو تمام الطائي وما بلغ من الشعر وعلومه • وابراهيم النّظام المعمق في علم الكلام • وابن الراوندي وما انتهي اليه من التوغل في المخازي هؤلاء السبعة لم يجاوز أحد منهم ستنا وثلاثين سنة بل اتفقوا على هذا القدر من العمر •

ثم دخلت سنة احدى وأربعين ومائة مات فيها سلمة بن دينار أبو حازم مولى بني أشجع كان أعرج عابدا زاهدا • يقص بعد الفجر وبعد العصر في مسجد المدينة وكان ثقة كثير الحديث عن ابن عمر وسهل بن سعد وانس بن مالك • وقال أبو حازم أن بضاعة الآخرة كاسدة فاستكثروا منها أيام كسادها فانه لو جاء يوم نفاقها لم يصل اليكم منها قليل ولا كثير • وبعث سليمان بن عبدالملك الى أبي حازم فجاء اليه فقال له يا أبا حازم ما لنا نكره الموت قال لانكم أخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فأنتم تكرهون أن تنقلوا من العامر الى الخراب • قال صدقت فكيف القدوم على الله • قال أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله • وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه • فبكى سليمان وقال ليت شعري ما لنا عند الله يا أبا حازم • فقال اعرض نفسك على كتاب الله عز وجل فانك تعلم مالك عند الله • فقال يا أبا حازم وأين أصيب ذلك • قال عند قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجّار لفي جحيم فقال سليمان فأين رحمة الله قال قريب من المحسنين •

وفي سنة أربع وأربعين ومائة مات عمرو بن عبيد وكان هذا عمرو يسكن البصرة ويجالس الحسن البصري ثم أزاله واصل بن عطاء عن مذهب الاشاعرة(١) واعتزل أصحاب الحسن وقال بالقدر ودعا اليه وكان له سمت واظهار زهد • ودخل على المنصور فقال له يا أبا عثمان عظني • فقال ان هذا الامر الذي أصبح في يدك لو بقي في يد غيرك ممن كان قبلك لم يصل اليك فأحذرك ليلة تمخض بيوم لا ليلة بعده وأنشد :

يا أيهذا الذي قد غره الامل — ودون ما يأمل التنغيص والاجل

---

(١) ان عقيدة الاشاعرة لم تكن حينئذ •

ألا ترى انما الدنيـــا وزينتهـــا كمنزل الركب حلوا ثمت ارتحلوا
حتوفها رصـــد وعيشها نكـــد وصفوها كـــدر وملكهـــا دول
تظل تفزع بالروعـات ســاكنها فما يسوغ له لـــين ولا جـذل
كأنه للمنايا والـــردي غـرض تظل فيه ســـهام الدهر تنتضل
يديره مـــا أدارته دوائرهـــا منهاالمصيب ومنها المخطيء الزلل
والنفس هاربة والموت يرصدها وكل عثرة رجـل عندها جلـل
والمـرء يسعى لما يسعي لـوارثه والقبر وارث مايسعى له الرجل
فبكي المنصور عند ذلك بكاءً شديدا .

ودخلت سنة خمس وأربعين ومائة وفيها خروج محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وخروج أخيه ابراهيم بن عبـــدالله بعده بالبصرة ومقتلهما وحديثهما طويل في أيام المنصور وكتب أبو جعفـر المنصور اليه كتابا نسخته . بسم الله الرحمن الرحيم من أبي جعفر الى محمد بن عبدالله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا الى قوله غفور رحيم ولك عهد الله وميثاقه وذمة رســوله ان تبت ورجعت من قبـل أن أقدر عليك ان أومنك وجميـع ولدك واخوتك وأهـل بيتك ومن اتبعكم على دمائكم وما أصبت من دم ومال وأعطيـــك ألف ألف درهم وما سألت من الحوائج وأنزلك من البلاد حيث شئت وان أطلق من في حبسي من أهل بيتك وان أؤمن كل من جاءك وبايعك أو دخل في شيء من أمرك فان أردت أن توثق لنفسك فوجه الي من أحببت ليأخذ لك مني الامان والميثاق بما تثق به والسلام . فكتب اليه محمد من محمد بن عبدالله المهـدي أمير المؤمنين الى عبدالله بن محمد طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون الى قوله ما كانوا يحذرون وأنا أعرض عليك من الامان ما عرضت علي فان الحق حقنا وانما ادعيتم هذا الامر بنا وخرجتم له بشيعتنا وان أبانا عليا كان امام فكيف ورثتم ولايته وأولاده أحياء ان الله اختارنا واختـار لنـــا فولـــدنا من النبيين أفضـــلهم محمـــــد (صلعم) ومـــن

السلف اولهم اسلاما علي بن ابي طالب ومن الازواج افضلهن خديجة اول من صلى الى القبلة ومن البنات خيرهن فاطمة ومن المولودين في الاسلام حسن وحسين سيدا شباب اهل الجنة وان هاشما ولد عليا مرتين وان عبد المطلب ولد حسنا مرتين وان رسول الله (صلعم) ولدني مرتين من قبل حسن وحسين وانا اوسط بنى هاشم نسبا واصرحهم ابا لم تعرق فى العجم ولم تنازع فى امهات الاولاد ولك الله ان دخلت فى طاعتي ان اؤمنك على نفسك ومالك وعلى كل امر احدثته الا حـدا من حدود الله او حقا لمسلم او معاهد وانا اولى بالامر منـك واوفى بالعهد لانك اعطيتني من العهد والامان ما اعطيته رجالا قبلي فأي الامانات تعطيني امان ابن هبيرة ام امان عمـك عبد الله بن علي ام امان ابي مسـلم الخراساني .

فكتب اليه ابو جعفر المنصور . اما بعد فقد فهمت كتابك فاذا جل فخرك بقرابة النساء لتضل به الغوغاء ولم يجعل الله النساء كالعمومة والاباء ولقد بعث الله محمداً (صلعم) وله اعمام اربعة فانزل الله عز وجل وانذر عشيرتك الاقربين فانذرهم ودعاهم فاجاب اثنان احـدهما ابي أبي من الاباء اثنان احدهما ابوك فقطع الله ولايتهما منه . واما مافخرت به من علي فقد حضرت رسول الله الوفاة فامر غيره بالصلاة وكـان فى السنة فدفعوه اما عبد الرحمن فقدم عليه عثمان وهو له متهم . وقاتله طلحة والزبير . ثم كان حسن فباعها من معاوية بن ابي سفيان بخرق ودراهم فان كان لكم فيها شيء فقد بعتموه واخذتم ثمنه ثم خرجتم على بني امية فقتلوكم وصلبوكم ونفوكم فطلبنا بثاركم واورثناكم ارضهم ولقد علمت ان مكرمتنا فى الجاهلية سقاية الحاج وولاية زمزم ولقد قحط اهل مكة والمدينة فلم يتوسلوا الا بابينا .

وندب المنصور عيسى بن موسى لقتال محمد بن عبدالله بن الحسن فاقتتلوا فجاء رجل فضرب محمد بالسيف دون شحمة اذنه اليمنى فبرك وصاح حميد بن قحطبة لاتقتلوه فكفوا وجاء حميد فاحتـز راسـه

وحديث هؤلاء الخلفاء على طلب الدنيا كثير عجيب نقتصر منه على القريب .

وفى هذه السنة ابتدئت مدينة بغداد . وكان سبب ذلك ان ابا جعفر المنصور بنى حين افضى اليه الامر الهاشمية قبالة مدينة ابن هبيرة بينهما عرض الطريق وكانت مدينة ابن هبيرة الى جنب الكوفة واتى بغداد فقال هذا موضع صالح وهذه دجلة ليس بيننا وبين الصين شيء يأتينا فيها كل ما في البحر وتأتينا الميرة من الجزيرة وارمينية وما حول ذلك والصراة يجيء منها كل شيء بالشام والرقة وضرب عسكره على الصراة وخط المدينة ووكل بكل ربع قائداً . وذكر علماء الاوائل ان اقاليم الارض سبعة وان الهند ثامنها فجعلت صفة الاقاليم كأنها حلقة. فالاقليم الاول منها اقليم الهند والاقليم الثانى اقليم بلاد الحجاز والاقليم الثالث اقليم مصر والاقليم الرابع اقليم بابل وهو اوسط الاقاليم واعمرها وفيه جزيرة العرب وفيه العراق الذى هو سرّة الدنيا وبغداد فى وسط هذا الاقليم . والاقليم الخامس بلاد الروم والاقليم السادس بلاد الترك والاقليم السابع بلاد الصين فالاقليم الرابع الذى فيه العراق وفى العراق بغداد وهو صفوة الارض ووسطها لايلحق من فيه عيب ونقص لذلك اعتدلت الوان اهله وامتدت اجسامهم . وسلموا من شقرة الروم والصقالبة ومن سواد الحبش وسائر اجناس السودان ومن جفاء اهل الجبال وخراسان ومن دمامة اهل الصين ومن خساستهم واجتمعت فى اهل هذا القسم من الارض محاسن جميع اهل الاقطار وكما اعتدلوا فى الخلقة كذلك لطفوا فى الفطنة وبالتمسك بالعلم والادب وهم اهل العراق ومن جاورهم من اهل وسط الاقليم الرابع .

كتب عمر بن الخطاب الى كعب الاخبار لي خير المنازل فكتب ياامير المؤمنين انه بلغنا ان الاشياء اجتمعت فقال السخاء اريد اليمن فقال حسن الخلق وانا معك . وقال الجفاء اريد الحجاز فقال

الفقر انا معك ٭ وقال البأس اريد الشام فقال السيف انا معك ٭ فقال العلم اريد العراق فقال العقل انا معك ٭ فقال الغنى اريد مصر فقال الذل انا معك ٭ فاختر لنفسك منزلا ٭ فلما ورد الكتاب قال عمر فالعراق اذن فالعراق اذن ٭

قال سليمان بن مجالد خرج المنصور يرتاد منزلا فخرجنا على ساباط فتخلف بعض اصحابي لرمد اصابه فاقام يعالج عينيه فسأله الطبيب اين يريد امير المؤمنين قال منزلا قال فانا نجد في كتاب عندنا ان رجلا يدعى مقلاصاً يبني مدينةً بين دجلة والصراة تدعى الزوراء فاذا اسسها وبنى غرفاً منها اتاه فتق من الحجاز فقطع بناءها واقبل على اصلاح ذلك الفتق فاذا كاد يلتئم اتاه فتق من البصرة هو اكبر منه فلا يلبث الفتقان ان يلتئما ثم يعود الى بنائها فيتمه ثم يعمر عمراً طويلا ويبقى الملك في عقبه ٭ قال سليمان كان امير المؤمنين باطراف الجبال في ارتياد منزل اذ قدم علي صاحبي فاخبرني الخبر فاخبرت به امير المؤمنين فدعا الرجل فحدثه الحديث فكر راجعاً عوده على بدئه وقال انا والله ذلك الرجل لقد سميت مقلاصا وانا صبي ثم انقطع عني ٭ ثم شاور في ذلك فاتفق راى القوم على بغداد وقيل له تجيئك الميرة من المغرب في الفرات وطرائف مصر والشام وتجيئك الميرة في السفن من الصين والهند والبصرة وواسط في دجلة وتجيئك الميرة من ارمينية وما اتصل بها من تامرا حتى يصل الى الزاب وتجيئك الميرة من الروم وآمد والجزيرة والموصل في دجلة وانت بين انهار لايصل عدوك اليك الا على جسر او قنطرة فاذا قطعت الجسر واخربت القناطر لم يصل اليك عدوك وانت بين دجلة والفرات لايجيئك احد من المشرق والمغرب الا احتاج الى العبور ودجلة والفرات خنادق مدينة امير المؤمنين ٭ فوجه في حشر الصناع والفعلة من الشام والموصل والجبل والكوفة وواسط والبصرة فاحضروا وامر باختيار قوم من اهل الدين والعدالة والفقه والامانة والهندسة فكان ممن احضر الحجاج بن ارطاة وابو حنيفة النعمان بن

ثابت وامر بخط المدينة وحفر الاساس وضرب اللبن وطبخ الآجر وكان اول ابتدائه فى عملها فى تاريخ سنة خمسين واربعين ومائة واحب ان ينظر اليها فأمر ان تخط بالرماد واقبل يدخل من كل باب ويمر فى فصلانها وطاقاتها ورحابها وهى مخطوطة بالرماد وامر بحفر اساس على ذلك الرسم . قال فوضع اول لبنة بيده وقال

بسم الله وبالله والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم قال ابنوا على بركة الله تعالى . لما احتاج المنصور فى بنائه الى الانقاض قال لخالد بن برمك ما ترى في نقض بناء كسرى بالمدائن وحمل نقضه الى مدينتي هذه فقال لاارى ذلك فقال ولم قال لانه علم من اعلام الاسلام يستدل به الناظر اليه على انه لم يكن ليزال مثل اصحابه عنه بامر دنيا وانما هو بامر دين فقال له ابيت الا الميل الى اصحابك العجم وامر ان ينقض القصر الابيض فنقضت ناحية منه وحمل نقضه فنظر فى مقدار ما يلزم للنقض والحمل فوجد ذلك اكثر من ثمن الجديد فرفع ذلك الى المنصور فدعا خالدا فاخبره وقال ما ترى قال كنت ارى لاان تفعل فاما اذ فعلت فارى ان يهدم حتى يلحق بقواعده لئلا يقال انك عجزت عن هدمه فاعرض المنصور عن ذلك وامر ان لايهدم .

وقيل ان ابا جعفر المنصور لما امر بحفر الخندق وانشاء بناء الاساس امر ان يجعل عرض السور من اسفله خمسين ذراعاً ومن اعلاه عشرين ذراعا . فلما بلغ البناء قامة اتاه خبر خروج محمد فقطع البناء وخرج الى الكوفة . فلما فرغ من حرب محمد رجع الى بغداد واختطها وجعلها مدورة . يقال لايعرف فى اقطار الارض مدينة مدورة سواها .

ووضع الاساس فى وقت اختاره له نوبخت المنجم . وهى مدينة ابى جعفر المنصور وهي ثلاثون ومائة جريب خنادقها وسورها ثلاثون جريبا وانفق عليها ثمانية عشر الف الف دينار وقال الخطيب رايت فى بعض الكتب ان المنصور انفق على مدينته وجامعها وقصر الذهب فيها والابواب

والاسواق الى ان فرغ من بنائها اربعين الف الف وثلاث مائة الف وثلاثة وثمانين درهما قال وكان أبو حنيفة يتولى القيام بضرب اللبن للمدينة وعده حتى فرغ من استتمام البناء بحائط المدينة مما يلي الخندق وكان ابو حنيفة يعد اللبن بالقصب وهو اول من فعل ذلك فاستفاده الناس منه .

وكان المنصور اراد ابا حنيفة على القضاء فامتنع فحلف لابد ان يتولى له عملا فولاه القيام ببناء المدينة وضرب اللبن ليخرج من يمينه فتولى ذلك .

وقيل كان من كل باب من ابواب المدينة الى الباب الاخر ميل وفي كل ساف من اسوف البناء مائة الف لبنة واثنتان وسبعون الف لبنة . فلما بني الثلث من السور رجع فصير في الساف مائة الف لبنة واربعين الف لبنة فلما جاوز الثلثين رجع فصيّر في البناء مائة الف لبنة وارتفاع السور خمسة وثلاثون ذراعا وعرضه من اسفله نحواً من عشرين ذراعا(١) . وجعل لها اربعة ابواب فاذا جاء احد من المغرب دخل من باب الشام واذا جاء احد من الاهواز وواسط والبصرة دخل من باب البصرة واذا جاء احد من المشرق دخل من باب خراسان ومن باب خراسان الى باب الكوفة الفا ذراع ومائتا ذراع . وعلى كل ازج من آزاج هذه الابواب مجلس ودرجة وعليه قبة عظيمة وعليها تمثال تديره الريح وعلى كل باب باب حديد وثقل الابواب من واسط وهي ابواب الحجاج نقلها من مدينة بناها سليمان بن داود عليه السلام وكان على ابواب المدينة مما يلي البرجات ستور وحجاب وعلى كل باب قبيل فكان على باب الشام سليمان بن مجالد في الف وعلى باب البصرة ابو الازهر التميمي في الف وعلى باب الكوفة خالد العلّي في الف وعلى باب خراسان مسلمة بن صهيف الغساني في الف وجعل بين كل بابين ثمانية

( ) هذه رواية اخرى في عرض السور من اسفله والا فقد ذكر المؤلف في نفس الصفحة انه خمسون ذراعا

وعشرين برجا الا بين باب البصرة والكوفة فانه يزيد واحدا وعمل عليها الخنادق وجعل لها سورين وفصلين وكان لايدخل احد من عمومة المنصور ولامن غيرهم من هذه الابواب الا راجلا عدا داودين على عمه فانه كان منقرساً وكان يحمل فى محفة هو والمهدي ثم بنى القصر والجامع وكانت مساحة قصره اربعمائة ذراع ومساحة المسجد الجامع الاولى مائتين فى مائتين ٠

قال التنوخي سمعت جماعة من مشايخنا يذكرون ان القبة الخضراء كان على راسها صنم على صورة فارس فى يده رمح ٠ فكان السلطان اذا رأى ذلك الصنم قد استوى قبل بعض الجهات ومد الرمح نحوها علم ان بعض الخوارج يظهر من تلك الجهـة ٠ وكان ذرع بغداد من الجانبين ثلاثة وخمسين الف جريب وسبعمائة وخمسين جريبا ٠ منها الجانب الشرقي ستة وعشرون الف جريب وسبعمائة وخمسون جريباً والغربي سبعة وعشرون الف جريب ٠ وكان عدد الحمامـات فى ذلك الوقت ببغداد ستين الف حمّام واقل ما يكون فى كل حمام خمسة نفر حمامي وقيم وزبال ووقاد وسقاء يكون ذلك ثلاثمائة الف رجل وذكر ان يكون بازاء كل حمام خمسة مساجد يكون ذلك ثلاثمائة الف مسجد تقدير ذلك ان اقل ما يكون فى كل مسجد خمسة نفر يكون ذلك الف الف وخمسمائة الف انسان

قال ابو الوليد قال لي شعبة ادخلت بغداد قلت لاقـال فكانك لم تر الدنيـا

قال محمد الهمداني فى بغداد

فدى لك يابغداد كل مدينة ... من الارض حتى خطتي وبلاديا
فقد طفت في شرق البلاد وغربها ... وسيرت خيلي بينها وركابيا
فلم ار فيها مثل بغداد منزلا ... ولم ار فيها مثل دجلة واديا
ولامثل اهليها ارقّ شمائلاً ... واعذب الفاظاً واحلى معانيا
وكم قائل لو كان ودك صادقا ... لبغداد لم ترحل فكان جوابيا

يقيم الرجال المؤسرون بأرضهم وترمي النوي بالمقترين المراميا

وقال محمد بن حبيب كتب الي أخي من البصرة وأنا ببغداد :

طيب الهواء ببغداد يشوقني قدما اليها وان عاقت مقادير

فكيف صبري عنها الآن اذجمعت طيب الهوائين ممدود ومقصور (١)

ولما دخلت سنة ست وأربعين ومائة كان قد استقام المنصور ببغداد

ولما دخلت سنة سبع وأربعين ومائة قيل ان الكواكب فيها تناثرت كثيرا . وفيها أغارت الترك على المسلمين في ناحية أرمينية وسبت منهم ومن أهل تفليس خلقا كثيرا ودخلها كبير الترك وقتلوا حرب بن عبدالله الذي تنسب اليه الحربية ببغداد وكان حرب مقيما بالموصل في ألفين من الجند لمكان الخوارج من الجزيرة . ووجه أبو جعفر المنصور اليهم جبرائيل بن يحيي وكتب الى حرب بالمسير معه فقتل وانهزم جبرائيل . وفيها كان مهلك عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس حبس في بيت وجعل أساسه من ملح وأرسل عليه الماء فسقط عليه فمات . وفيها خلع المنصور عيسى بن موسى وبايع لولده المهدي فجعله ولي عهده . وفيها ضرب الامام مالك بن انس ضربه جعفر بن سليمان بن علي سبعين سوطا . والسبب في ضربه أنهم سألوه عن مبايعة محمد بن عبدالله بن حسن بن حسن وقالوا ان في أعناقنا بيعة لابي جعفر فقال انما بايعتم مكرهين وليس على المكره يمين . فأسرع الناس الى محمد فلذلك ضرب .

وفي هذه السنة حج المنصور بالناس وقبض على جعفر بن محمد الصادق بالمدينة . قال الربيع قال لي أبو جعفر ابعث الى جعفر بن محمد من يأتينا به متعتعا قتلني الله ان لم أقتله . فتغافل عنه الربيع لينساه ثم أعاد ذكره للربيع وقال ابعث اليه من يأتيني به متعتعا فتغافل عنه ثم أرسل الى الربيع برسالة قبيحة فلما أتاه به الرسول قال يا أبا عبدالله اذكر الله فانه قد أرسل اليك للتي لا شوى لها . قال جعفر لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(١) فى البيت أقواء .

ثم أعلم أبا جعفر حضوره فلما دخل أوعده وقال أي عدو الله اتخذك أهل العراق اماما يجبون اليك زكاة أموالهم وتلحد في سلطاني وتبغيه الغوائل قتلني الله ان لم أقتلك فقال يا أمير المؤمنين ان سليمان أعطي فشكر وان أيوب ابتلي فصبر وان يوسف ظلم فغفر وأنت من ذلك النسيج فقال أبو جعفر الي وعندي أبا عبدالله البريء الساحة السليم الناحية القليل الغائلة جزاك الله من ذي رحم أفضل ما جزا ذوي الارحام عن رحمهم ثم تناول يده فأجلسه معه على فرشة ثم قال علي بالحقة فأتي بمدهن غالية فغلفه بيده حتى جعلت لحيته تقطر ثم قال في حفظ الله وكلائته • ثم قال يا ربيع الحق بأبي عبدالله جائزته وكسوته انصرف يا أبا عبدالله في حفظ الله وفي كنفه فانصرف ولحقته فقلت له رأيت قبل ذلك ما لم تره ورأيت بعد ذلك ما قد رأيت • فما قلت حين دخلت • قال قلت اللهم احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بركنك الذي لا يرام • وارحمني بقدرتك عليه لا أهلك وأنت رجائي • اللهم انك لاكبر وأجل ممن أخاف واحذر اللهم بك ادفع في نحره وأستعيذ بك من شره •

وقال المنصور لابن عياش المنتوف وكان له انبساط على المنصور على طريق المزاح • تعرف ثلاثة أول أسمائهم عين قتلوا ثلاثة أول أسمائهم عين • قال عبدالرحمن بن ملجم لعنه الله قتل علي بن أبي طالب وعبدالملك بن مروان قتل عبدالله بن الزبير ووقع البيت على عمك عبدالله وقال أتعرفون عين بن عين ابن عين قتل ميم بن ميم بن ميم قالوا نعم عمك عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس قتل مروان بن محمد بن مروان •

ولما دخلت سنة ثمان وأربعين ومائة مات فيها جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين وكان عالما زاهدا عابدا اسند عن أبيه وعن عطاء وعكرمة قال الهيثم حدثني بعض أصحاب جعفر الصادق قال دخلت على جعفر وموسى ابنه بين يديه وهو يوصيه فكان مما حفظته منها أنه قال يا بني اقبل وصيتي واحفظ

مقالتي فانك ان حفظتها تعش سعيدا وتمت حميدا • يا بني انه من قنـــع بماله استغنى ومن مد عينيه الى ما في يد غيره مات فقيرا ومن لم يرض بما قســم الله له اتهم الله تعالى في قضائه ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه • يا بني من كشف حجاب جاره انكشفت عورات بيته ومن سل سيف البغي قتل بـه ومن احتفر لاخيه بئرا ألقاه الله فيها • ومن داخل السفهاء حقر ومن خالط العلماء وقر • ومن دخل مداخل السوء اتهم • يا بني اذا طلبت الجود فعليك بباب الله • يا بني قل الحق لك أو عليك • واياك والتهمة فانها تزرع في قلوب الرجال لك الشحناء •

وفيها مات سليمان بن مهران ويكني أبا محمد الاعمش مولى كاهــل من طبرستان من قرية يقال لها دنباوند وولد يوم قتل الحسين بن عـلي يـوم عاشوراء سنة احدي وستين وسكن الكوفة ورأى انس بن مالك ولم يسمع منه وكان من أقرأ الناس للقرآن • وأعرفهم بالفرائض وأحفظهــم للحــديث وافتاهم •

قال عيسى بن يوسف لم نر نحن ولا القرون الذين كانوا من قبلنا مثـل الاعمش وما رأيت الاغنياء والسلاطين عند أحد أحقر منهم عند الاعمش مـع فقره وحاجته •

فقال اسماعيل بن زياد نشزت على الاعمش امرأته وكان يأتيه رجــل يقال له أبو البلاد مكفوف فصيح يتكلم بالاعـراب ويتطلب الحديث فقـال له يا أبا البلاد امرأتي قد نشزت علي وضيعت بيتي وغمتني فأنا أحب أن تدخـل عليها فتخبرها بمكاني من الناس وموضعي عندهم فدخل عليها فقال يا هنتــاه ان الله قد أحسن قسمك هذا شيخنا وسيدنا وعنه نأخــذ أصل ديننا وحلالنا وحرامنا لا يغرنك عمش عينيه ولا حموشة ساقيه • فغضب الاعمش وقـال يا أعمى يا خبيث أعمى الله قلبك ههنا تذكـرها بعيـوبي اخـرج من بيتي فخـــرج •

قال الحسن بن يحيي حــدثتني أمي قالت لم تكن بالكــوفة امـرأة

أجمل من امرأة الاعمش فابتليت بالأعمش وبقبح وجهه وسوء خلقه توفي في ربيع الاول سنة تسع وأربعين ومائة ٠

وفيها مات محمد بن عجلان مولى فاطمة بنت الوليد بن عتبة ويكنى أبا عبدالله وكان ثقة كثير الحديث توفي بالمدينة قال صفوان بن عيسى مكث محمد ابن عجلان في بطن أمه ثلاث سنين ٠ فشق بطن أمه فأخرج وقد نبتت أسنانه ٠

ثم دخلت سنة خمسين ومائة ٠ فيها مات النعمان بن ثابت أبو حنيفة التيمي أمام أصحاب الرأي ٠ ولد في سنة ثمانين ورأى انس بن مالك وسمع من عطاء بن أبي رباح وأبي اسحق السبيعي ومحارب بن دثار وحماد بن أبي سليمان ومحمد بن المنكدر ونافع مولى بن عمر وهشام ابن عروة وغيرهم وروى عنه هشيم وابن المبارك ووكيع ويزيد بن هرون وغيرهم وكان ربعة من الرجال تعلوه حمرة ٠ حسن الثياب كثير التعطر كريما ٠ وكان أول أمره يبيع الخز ثم تشاغل بالعلم ٠

عن أبي يوسف ٠ قال أبو حنيفة لما أردت أن أطلب العلم جعلت أتخير العلوم وأسأل عواقبها فقيل لي تعلم القرآن فقلت اذا تعلمت القرآن وحفظته فما يكون أخر أمري قالوا تحبس في المسجد ويقرأ عليك الصبيان والاحداث ثم لا يلبث أن يخرج فيهم من هو أحفظ منك أو يساويك في الحفظ ٠ فتذهب رئاستك ٠ قلت فان سمعت الحديث وكتبته حتى لم يكن في الدنيا أحفظ مني قالوا اذا كبرت وحدثت وقد ضعفت اجتمع عليك الصبيان والاحداث ثم لا تأمن أن تغلط فيرموك بالكذب فيصير عارا عليك في عقبك فقلت لا حاجة لي في ذلك ٠ ثم قلت أتعلم النحو فاذا حفظت النحو والعربية ما يكون أخر أمري قالوا تقعد معلما فأكثر رزقك دينار الى الثلاثة قلت وهذا لا عاقبة له ٠ ثم قلت فان نظرت في الشعر فلم يكن أحد أشعر مني ما يكون من أمري قالوا تمدح هذا فيهب لك ويحملك على دابة ويخلع عليك وان حرمك هجوته فصرت تقذف المحصنات ٠ قلت لا حاجة لي في هذا

قلت فان نظرت فى الكلام قالوا لا تسلم من نظر في الكلام ومشنعات الكلام فترمي بالزندقة فاما ان تؤخذ فتقتل واما ان تسلم فتــكون مذموما ملوما . قلت فان تعلمت الفقه قالوا تسئل وتفتى الناس وتطلب القضاء وان كنت شابا . قلت ليس فى العلوم انفع من هــذا فلزمت الفقه وتعلمته .

قال وكان ابو يوسف مريضا شديد المرض فعاده ابو حنيفة مرارا فصار اليه اخر مرة فرآه ثقيلا فاسترجع ثم قال كنت امــلك بعدي للمسلمين ولو اصيب الناس بك ليموتن معك علم كثير ثم رزقه الله العافية واخبر بقول ابي حنيفة فيه فارتفعت نفسه وانصرفت وجوه الناس اليه فعقد لنفسه مجلسا فى الفقه وقصر عن لزوم مجلس ابي حنيفة فسأل عنه فاخبر انه قد عقد لنفسه مجلسا وانه بلغه كلامك فيه فدعا ابو حنيفة رجلا كان له عنده قدر فقال صر الى مجلس يعقوب فقل له ما تقول فى رجل دفع الى قصار ثوبا ليقصره بدرهم فصار اليه بعد ايام فى طلب الثوب فقال مالك عندي شيء ثم ان رب الثوب رجع اليه فدفع اليه الثوب مقصورا أله اجرة . فان قال له اجرة فقل اخطأت وكذا ان قال لا اجرة له . ففعل فقام ابو يوسف من ساعته فاتى ابا حنيفة فقال له ما جاء بك الا مسألة القصار قال اجل . قال سبحان الله من قعد يفتي الناس وعقد مجلسا يتكلم ويفتي فى دين الله هــذا قدره لايحسن يجيب فى مسألة من الاجارات فقال يا ابا حنيفة علمني فقال ان قصره بعد غصبه فلا اجرة له لانه قصره لنفسه . وان كان قصره قبل ان يغصبه فله الاجرة لانه قصره لصاحبه . ثم قال من ظن انه يستغني عن العلم فليبك على نفسه واخبار ابي حنيفة واحاديثه فى الفقه ومجاوباته كثيرة ما هذا موضع استقصائها فى هذا المختصر نفع الله بــه .

ثم دخلت سنة احدى وخمسين ومائــة فيها ابتدأ المنصور بنــاء الرصافة فى الجانب الشرقي من مدينة السلام لابنه المهدى وعمل لها

سورا وخندقا وميدانا وبستانا واجرى لها الماء . قال الخطيب وقيل ان الدروب والسكك ببغداد احصيت فكانت ستة الاف درب وسكة بالجانب الغربي واربعة الاف درب وسكة بالجانب الشرقي وفيها جدد المنصور البيعة لنفسه ولابنه المهدى من بعده .

قال مروان بن ابي حفصة : طلب المنصور معن بن زائدة الشيباني طلبا شديدا وجعل فيه . قال فحدثني معن باليمن انه اضطر لشدة الطلب الى ان قام فى الشمس حتى لوحت وجهه وخفف عارضيه ولحيته ولبس جبة صوف غليظة وركب جملا من الجمال النقالة وخرج ليمضى الى البادية وقدكان ابلى في حرب بين يدي يزيد بن عمر بن هبيرة بلاء حسنا فغاظ المنصور وجد فى طلبه . قال معن فلما خرجت من باب حرب تبعني اسود متقلدا سيفا حتى اذا غبت عن الحرس قبض على خطام الجمل واناخه وقبض علي فقلت مالك قال انت طلبة امير المؤمنين فقلت ومن انا حتى يطلبني امير المؤمنين . قال انت معن بن زائدة . فقلت اتق الله واين انا من معن بن زائدة فقال دع ذا عنك فانا والله اعرف بك من ذلك فقلت له ان كان كما تقول فهذا جوهر حملته معي باضعاف ما بذل المنصور لمن جاء بي فخذه ولا تسفك دمي قال هاته فاخرجته اليه فنظر اليه ساعة وقال صدقت فى قيمته ولست قابله حتى اسألك عن شيء فان صدقتني اطلقتك . قلت قل . قال ان الناس قد وصفوك بالجود فاخبرني هل وهبت قط مالك كله قلت لا . قال فنصفه قلت لا قال فثلثه قلت لا حتى بلغ العشر قال فاستحييت فقلت اظن اني قد فعلت هذا قال ما أراك قد فعلته انا والله رجل راجل رزقي من ابي جعفر عشرون درهما وهذا الجوهر قيمته الاف دنانير فقد وهبته لك ووهبتك نفسك لجودك المأثور بين الناس ولتحتقر بهذا كل شيء تعمله ولا تتوقف في مكرمة ثم رمى بالعقد فى حجري وخلى خطام الجمل وانصرف فقلت يا هذا والله فضحتني ولسفك دمي اهون علي مما فعلته فخذ ما دفعته اليك فاني عنه غني فضحك وقال اردت ان

تكذبني فى مقامي هذا والله لا اخذه ولا اخذ لمعروف ثمنا ابدا ما عشت ومضى فوالله لقد طلبته بعد ان امنت وبذلت لمن جاءني به ما شاء فما عرفت له خبرا[1] .

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين ومائة وفيها مات معن بن زائدة بن عبدالله بن مطر بن شريك ابو الوليد الشيباني وكان من اصحاب المنصور ببغداد لما بنيت ثم ولاه اليمن وغيرها وكان جوادا .

عن عثمان بن ابرهيم . ان معن بن زائدة دخل على المنصور فقارب فى خطواته فقال ابو جعفر كبرت سنك يا معن . قال في طاعتك يا امير المؤمنين قال وانك لجلد . قال على اعدائك ياامير المؤمنين قال وان فيك بقية . قال هي لك .

قال سعيد بن اسلم لما ولى المنصور معن بن زائدة اذربيجان قصده قوم من اهل الكوفة فلما صاروا ببابه واستأذنوا عليه دخل الاذن فقال اصلح الله الامير بالباب وفد من اهل العراق قال من اي العراق قال من الكوفة . قال ائذن لهم فدخلوا عليه . فنظر اليهم معن فى هيئة زرية وهو على اريكته فانشأ يقول :

اذا نوبة نابت صديقك فاغتنم معرتها فالدهر بالناس قلب
فاحسن ثوبيك الذيهو لابس وافره مهريك الذىهو يركب
وبادر بمعروف اذا كنت قادرا زوال اقتدار او غنى عنك يذهب

قال فوثب اليه رجل من القوم فقال اصلح الله الامير الا انشدك احسن من هذا قال لمن قال لابن عمك ابن هرمة قال هات فانشد :

وللنفس تارات بها يبخل الفتى وتسخو عن المال النفوس الشحائح
اذا المرؤ لم ينفعك حيا فنفعه اقل اذا ضمت عليه الصفائح
لاية حال يمنع المرء ماله اخوف غد والموت غاد ورائح

---

(١) ينبغى ان يكون حدث هذا والمنصور فى الهاشمية لابغداد لان المنصور امن معنا بعد بلائه فى دفع الراوندية الذين ثاروا به فى الهاشمية .

فقال معن احسنت وان كان الشعر لغيرك يا غلام اعطهم اربعة الاف يستعينون بها على امورهم الى ان يتهيأ لنا فيهم مانريد فقال الغلام يا سيدى اجعلها دنانير او دراهم فقال معن والله لا تكون همتك اعلى من همتي صفرها لهم .

قال العتبي لما قدم معن بن زائدة بغداد اتاه الناس واتاه مروان بن ابي حفصة . فاذا المجلس غاص باهله فاخذ بعضادتي الباب وقال :

وما احجم الاعداء عنك بقية عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا
له راحتان الجود والحتف فيهما ابى الله الا ان تضرا وتنفعا

فقال معن احتكم يا ابا السمط فقال عشرة الاف قال معن ربحت عليك تسعين الفا

قال ابو عبيدة اقام شاعر بباب معن بن زائدة حولا لا يصل اليه وكان معن شديد الحجاب فلما طال مقامه سأل الحاجب ان يوصل له رقعة فأوصلها فاذا فيها :

اذا كان الجواد له حجاب فما فضل الجواد على البخيل

فالقى معن الرقعة الى كتابه وقال لهم اجيبوه عن بيته فخلطوا واكثروا ولم يأتوا بمعنى . فأخذ الرقعة وكتب فيها :

اذا كان الجواد قليل مال ولم ينفع تعلل بالحجاب

فقال الشاعر انا لله لا ابوء بشيء من معروفه . ثم ارتحل منصرفا فسأل معن عنه فاخبر بانصرافه فاتبعه بعشرة الاف درهم وقال هي له عندنا كل زورة .

قال سليمان خرج المهدي يوما يتصيد فلقيه الحسين بن مطير فانشده :

اضحت يمينك من جود مصورة لا بل يمينك منها صورة الجود
من حسن وجهك تضحي الارض مشرقة ومن بنانك يجرى الماء فى العود

فقال المهدى كذبت يا فاسق وهل تركت فى شعرك موضعا لاحد مع قولك فى معن بن زائدة

المَّا بمعن ثم قولا لقبره سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا
فيا قبر معن كنت اول حفرة من الارض خطت للمكارم مضجعا
اياقبر معن كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا
ولكن حويت الجود والجود ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
وماكان الا الجود صورة وجهه فعاش ربيعا ثم ولى مودعا
فلما مضى معن مضى الجود والندى واصبح عرنين المكارم اجدعا

فاطرق الحسين ثم قال يا امير المؤمنين وهل معن الا حسنة من حسناتك فرضى عنه وامر له بالفي دينار •

وبلغنا ان بعض فصحاء العرب دخل على معن فقال اصلح الله الامير لو شئت ان اتوسل اليك ببعض من يثقل عليك لوجدت ذلك سهلا عليك ولكن استشفعت بقدرك واستعنت عليك بفضلك فان اردت ان تضعني من كرمك حيث وضعت نفسي من رجائك فاني لم اكرم نفسى عن مسألتك فاكرم وجهك عن ردي • فقال اسأل حاجتك قال الف درهم قال ربحت عليك ربحا بينا قال مثلك لايربح على سائله قال اضعفوا له ما سأل •

وقتل معن بن زائدة بارض خراسان سنة اثنتين وخمسين ومائة قال الخطيب بلغني ان المنصور ولاه سجستان فنزل بست فأساء السيرة فى اهلها فقتلوه وقيل قتلته الخوارج في سجستان •

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائة فيها اخذ المنصور الناس بلبس القلانس الطوال المفرطة الطول فقال ابو دلامة •

وكنا نرجي من امام زيادة فزاد الامام المصطفى فى القلانس
تراها على هام الرجال كأنها دنان يهود جللت بالبرانس

ثم دخلت سنة اربع وخمسين ومائة فيها مات اشعب الطامع ويقال ان اسمه شعيب واسم ابيه جبير ولد أشعب سنة تسع من الهجرة وكان خال الاصمعي وقيل خال الواقدي وكانت كنيته ابا العلاء وعمر عمراً طويلاً وكان قد ادرك عثمان بن عفان وقرأ القرآن وتنسك • وله

اخبار ظريفة ونوادر حسنة .

منها ان عائشة بنت عثمان اسلمته فى البزازين فقيل له اين بلغت في معرفة البز فقال احسن انشر ولا احسن اطوي وارجو ان اتعلم الطي .

ومر برجل يتخذ طبقاً فقال اجعله واسعا لعلهم يهدون لنا فيه شيئاً .

وقال اشعب ماخرجت في جنازة قط فرأيت اثنين يتساراز الا ظننت ان الميت قد اوصى الي بشيء .

وقال سليمان الشاذكرلي كان لي بني في المكتب فانصرف الي يوما فقال يا ابت الا احدثك بظريف قلت هات . قال كنت اقرأ على المعلم . ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ماسقيت لنا . واشعب الطامع عنده جالس فلبس نعله وقال امش بين يدي فقلت انما اقرأ عشري . فقال عجبت ان تفلح او يفلح ابوك .

واودعت امرأة عند اشعب دينارا فقال لها ضعيه تحت الحصير ففعلت وجاءت فى الغد تطلب الدينار فقال لها هو تحت الحصيرفرفعت الحصير فرأت الى جانب الدينار درهماً فقالت ما هذا الدرهم فقال لها ولده . فاخذت الدرهم وتركت الدينار . ثم جاءت من الغد تطلب الدينار فقال خذيه حيث وضعته فرفعت الحصير فرأت درهماً فقالت الى جانبه درهم فقال ولده فاخذته ثم جاءت فى اليوم الثالث فلم تجد شيئاً فقالت لم ار هنا شيئا قال مات فى النفاس .

وفيها مات سليمان بن ابي سليمان المورياني مولى بني سليم كان قديماً مع ابن هبيرة ثم استكتبه المنصور .

وفيها مات محمد بن عمران بن ابراهيم بن طلحة بن عبيدالله التيمى المدني وكان يكني ابا سليمان ولي القضاء بالمدينة لبني أمية ثم ولاه ذلك المنصور وكان مهيباً قليل الحديث ومات بالمدينة وهو على القضاء فبلغ موته المنصور فقال اليوم استوت قريش .

قال نمير المدني قدم علينا المنصور ومحمد بن عمران بن ابراهيم الطلحي في قضائه وانا كاتبه فاستعدى الجمالون على امير المؤمنين في شيء ذكروه • قال فأمر محمد بن عمران ان اكتب الى امير المؤمنين كتابا بالحضور معهم وانصافهم فتملت تعفيني من هذا فانه يعرف خطي فقال اكتب ثم ختمه وقال لا يمضي به احد والله غيرك فمضيت به الى الربيع وجعلت اعتذر اليه فقال لاتفعل فدخل عليه بالكتاب ثم خرج الربيع فقال للناس وقد حضر وجوه اهل المدينة والاشراف وغيرهم ان امير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم اني قد دعيت الى مجلس الحكم فلا اعلمن احداً قام الي اذا خرجت او بدأني بالسلام الافتكت به ثم خرج والمسيب بين يديه والربيع وانا خلفه في ازار ورداء فسلم على الناس فما قام اليه احد ثم مضى حتى بدأ بالقبر فسلم على رسول الله ثم التفت الى الربيع فقال يا ربيع ويحك اخشى ان راني محمد بن عمران الطلحي ان يدخل قلبه هيبة فيتحول عن مجلسه وبالله لئن فعل لايلي لي على ولاية ابداً قال فلما رأه وكان متكئاً اطلق رداءه على عاتقه ثم احتبى به ودعا الخصوم الجمالين ودعا امير المؤمنين ثم ادعوا وحكم عليه لهم فلما دخل الدار قال للربيع اذهب فاذا قام وخرج من عنده الخصوم فادعه فلما دعاه لم يحضر حتى فرغ من امور الناس جميعاً ثم اقبل ودخل عليه وسلم فقال له المنصور جزاك الله عن دينك ونبيك وعن حسبك وعن خليفتك احسن الجزاء قد امرت لك بعشرة الاف دينار فاقبضها • فكانت عامة اموال محمد بن عمران الطلحي من تلك الصلة •

وفيها مات ابو عمر بن العلاء القارىء قيل اسمه زبان وقيل سفيان والصحيح ان اسمه كنيته وكان ابو العلاء طراز الحجاج وجده عمار حامل راية علي بن ابي طالب يوم صفين ومولده في سنة سبعين في ايام عبدالملك بن مروان ونشأ بالبصرة وقرأ على مجاهد وسعيد بن جبير ويحيى بن يعمر وابن كثير وكان علما في زهده وعالما بالقراءة عارفا بوجوهها اعلم الناس بأمور العرب مع صدق وصحة سماع وكانت عامة

اخباره عن اعراب قد ادركوا الجاهلية . توفي بالكوفة وهو ابن اربع وثمانين سنة

ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائة فيها خندق ابو جعفر المنصور على الكوفة والبصرة وضرب عليهما سوراً وجعل ما انفق على ذلك من اموال اهل المكان .

قال ابن جرير ولما اراد المنصور بناء سور الكوفة وحفر خندقها امر بقسمة خمسة الدراهم على اهل الكوفة اي اعطاء كل واحد خمسة دراهم واراد بذلك علم عددهم فلما عرف عددهم امر بجبايتهم اربعين درهما من كل انسان فجبوا ثم امر بانفاق ذلك على سور الكوفة وحفر الخندق فقال شاعرهم

يا لقومي ما لقينا　　من امير المؤمنينا
قسم الخمسة فينا　　وجبانا اربعينا

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائة وفيها مات حمزة بن عمارة الزيات وكان صاحب قرآن وفرائض صدوقاً ثقة وقد اسند عن الاعمش وفي سنة ثمان وخمسين ومائةروى الجاحظ عن ثمامة قال كان اصحابنا يقولون لم يكن يرى لجليس خالد بن برمك داراً الا وخالد قد بناها ولا ضيعة الا وهو قد اشتراها ولا ولداً الا وهو اشترى امه ان كانت امة وامهرها ان كانت حرة ولا دابة الا وهي من دوابه . وكان خالد البرمكي اول من سمى اهل الاستماحة والاسترفاد الزوار فقال بعض من قصده

حذا خالدفي جوده حذو برمك　　فمجد له مستطرف واثيل
وكان بنو الاعدام يدعون قبله　　بلفظ على الاعدام فيه دليل
يسمون بالسؤال فى كل موطن　　وان كان فيهم نابه وجليل
فسماهم الزوار ستراً عليهم　　واستاره فى المجتدين سدول

وفي هذه السنة نزل المنصور قصره الذى يعرف بالخلد على

دجلة وانما سمي الخلد تشبيهاً له بجنة الخلد وكان موضعه وراء باب خراسان • وقد اندرس الان فلا عين ولا اثر •

قال علي بن ابي مريم • مررت بسويقة عبدالوهاب وقد خربت منازلها وعلى جدار منها مكتوب

هذي منازل قوم قد عهدتهم في ظل عيش رغيد ماله خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا الى القبور فلا عين ولا اثر

وفي سنة تسع وخمسين ومائة حج المنصور ابو جعفر فلما صار الى بئر ميمون لقيه محمد بن ابراهيم الامام فأمر بدوابه فضربت وجوهها فكان يسير ناحية وعدل بابي جعفر عن الطريق في الشق الايسر وانيخ به ومحمد بن ابراهيم الامام واقف قبالته ومعه طبيب فلما ركب ابو جعفر وسار وعديله الربيع امر محمد الطبيب فمضى الى موضع مناخ ابي جعفر فرأى نجوه فقال لمحمد رايت نجو رجل لاتطول به الحياة • فلما دخل مكة لم يلبث ان مات • وكان المهدي قد سار معه مشيعا وهو يوصيه بالمال والسلطان ويفعل ذلك كل يوم من ايام مقامه لايفتر وقال له اني سائر واني غير راجع فانا لله وانا اليه راجعون فاسال بركة ما اقدم عليه وهذا كتاب وصيتي مختوما فاذا بلغك اني مت فانظر فيه وعلي دين احب ان توفيه وهو ثلاثمائة الف ونيف ولست استحلها من بيت مال المسلمين فاضمنها عني وانى ولدت في ذى الحجة ووليت في ذي الحجة وهذا الذى حداني على الحج هذه السنة فاتق الله واياك والدم الحرام وافتتح عملك بصلة الارحام واياك والتبذير • فلما كان في اليوم الذى اراد ان يرتحل فيه دعى المهدي فقال له اني لم ادع شيئاً الا تقدمت اليك فيه وسأوصيك بخصال والله ما اظنك تفعل واحدة منها وكان له سفط فيه دفاتر علمه وعليه قفل وكان لا يأمن على فتحه احداً فقال انظر هذا السفط فاحتفظ به فان فيه علم ابائك وانظر هذه المدينة اياك ان تستبدل بهافانها مدينتك وعزك وقد جمعت لك فيها من الاموال مالم يجمعه خليفة قبلي • ان حبس عنك الخراج عشر سنين كان عندك

كفاية لارزاق الجند والنفقات وعطاء الذرية ومصلحة الثغور فاحتفظ بها فانك لاتزال عزيزا وبيتك عامراً وما اظنك تفعل واوصيك باهل بيتك ان تظهر كرامتهم والاحسان اليهم وتوليهم المنابر وتوطيء الناس اعقابهم فان عزهم عزك وذكرهم لك وانظر الى مواليك فاحسن اليهم وقربهم واستكثر منهم فانهم مادتك لشدة ان نزلت بك • واوصيك باهل خراسان فانهم انصارك وشيعتك الذين بذلوا اموالهم ودماءهم دونك ان تحسن اليهم وتتجاوزعن مسيئهم وتخلف من مات منهم فى اهله وولده واياك ان تبني مدينة شرقية فانك لاتتم بناءها • واياك أن تدخل النساء فى مشورتك وامرك وهذا اخر كلامي بالوصية اليك

ذكر خلافة

المهدي

واسمه محمد بن عبدالله المنصور بالله ولد بإذرح سنة سبع وعشرين ومائة وامه ام موسى بنت منصور بن عبدالله الحميرى بويع له بمكة يوم مات ابوه واتاه الخبر الى مدينة السلام بغداد فى سادس عشر ذي الحجة سنة ثمان وخمسين فخطب الناس ونعى اليهم اباه وقال : ان امير المؤمنين عبد دعي فاجاب وأمر فاطاع • واغرورقت عيناه بالدموع وقال : ان رسول الله (صلعم) قد بكى عند فراق الاحبة • ولقد فارقت عظيماً وقلدت جسيماً • وعند الله احتسب اميرالمؤمنين وبه استعين على خلافة المؤمنين • ثم بايعه الناس •

وقال الصولي انه لما جلس المهدي للتعزيةوالتهنئة دخل عليه ابو دلامة فانشده

عيناي واحدة ترى مسرورة ... بامامها جذلى واخرى تطرف
تبكي وتضحك مرة ويسوءها ... ما انكرت ويسرها ما تعرف
فيسوءها موت الخليفة محرما ... ويسرها انقام هذا الارأف

فكان اول من وصله • وكان المهدي اسمر طويلا معتدل القامة جعد الشعر على عينه اليمنى نكتة بياض • وكان نقش خاتمه العزة لله وكان جوادا عالما حليما • ولما ولي اطلق من كان فى سجن ابيه الا من قبله دم او عرف بالفساد فى الارض • وفرق فى الناس اموالا كثيرة ووصل ذوي القربى وبراهله واقرباءه ومواليه وقرر لكل واحدمن اهل بيته فى كل سنة ستةالاف درهم • ولما بنى عيساباذ ونزلهاامران تكتب اسماء اولادالمهاجرين والانصار فجلس مجلساً عاماوفرق فيهم ثلاثةالاف الف درهم فاغنى كل فقير وجبر كل كسير وفرج عن كل مكروب • ثم خطب الخطباء وانشدالشعراءوفرق فيهم اموالاثم دعا بغدائه فحضراهل خاصته وبطانته فلم ينصرف احد منهم الا بحباء وكرامة • ثم امر ببناء جامع الرصافة وحاط حائطها وخندق خندقها •

ومن كلامه • ما توسل احد بوسيلة هي اقرب من ان يذكرني يدأسلفت مني اليه اتبعها اختها واحسن ربها لان منع الاواخر يقطع شكر الاوائل وكان صاحب نسك وورع ليس الصوف وعم الناس باقصد العدل والمعروف وكان يسمى راهب بني العباس لنسكه وديانته •

ذكر وفاته

توفي بقرية بالقرب من قلعة الماهكي تعرف بماسبذان فى ثاني عشر المحرم سنة تسع وستين ومائة عن ثلاث واربعين سنة من عمره وكانت خلافته عشر سنين وشهراً وخمسة ايام ودفن بالقرية التي توفي بها •

ذكر اولاده

وهم ابو جعفر هرون وعيسى وموسى ويعقوب وعبدالله وعلي ومنصور واسحق وابراهيم واسماء البانوقة والعباسة وعليه وكانت فاضلة لها ديوان شعر فمن ذلك قولها

انى كثرت عليه في زيارته ... فمل والشيء مملول اذا كثرا
ورابني منه اني لاازال ارى ... فى طرفه قصرا عني اذا نظرا

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزر له ابو عبدالله معوية بن عبدالله الاشعري وعزله واستوزر ابا عبدالله يعقوب بن داود بن طهمان وعزله واستوزر ابا جعفر الفيض بن شيرويه • وقضاته قضاه ابيه • وحجابه الربيع بن يونس والفضل بن الربيع والربيع بن حصين والحصين بن سليمان

ذكر الحوادث التي جرت في ايام خلافته

قيل دخل ابن الخياط المكي على المهدي ومدحه فامر له بخمسين الف درهم فلما قبضها فرقها على الناس فقال

لمست بكفى كفه ابتغى الغنى ولم ادران الجودمن كفه يعدي
فلا انا منه ما افاد ذوو الغنى افدت واعداني فبددت ماعندي

فانهي الى المهدي فاعطاه بدل كل درهم ديناراً

وعن حسن الوصيف قال قعد قعوداً عاماً للناس فدخل رجل في يده نعل فى منديل فقال ياامير المؤمنين هذه نعل رسول الله قد اهديتها اليك قال هاتها فدفعها اليه فقبل باطنها ووضعها على عينيه وامر للرجل بعشرة الاف درهم فلما اخذها وانصرف قال لجلسائه • اترون اني لم اعلم ان رسول الله (صلعم) لم يرها فضلا عن ان يكون لبسها • ولو كذبناه لقال للناس اتيت امير المؤمنين بنعل رسول الله فردها علي فكان من يصدقه اكثر ممن يدفع خبره اذ كان من شأن العامة واشكالها النصرة للضعيف على القوي فاشترينا لسانه وقبلنا هديته وصدقنا قوله ورأينا الذى فعلنا انجح وارجح

قال العباس بن عبدالله بن جعفر بن سليمان حدثتني جدتي فائقة بنت عبدالله قالت : بينما انا يوما عند المهدي وكان قد خرج متنزها الى الانبار اذ دخل الربيع ومعه قطعة من جراب فيه كتابة برماد وخاتم من طين عجن بالرماد وهو مطبوع بخاتم الخلافة فقال يا امير المؤمنين ما رأيت اعجب من هذه الرقعة جاءني بها اعرابي وهو ينادي هذا كتاب امير المؤمنين المهدي دلوني على هذا الرجل الذي يسمى الربيع فقد

امرني ان ادفعها اليه وهــذه. الرقعة .. فاخذهـا المهدي. وضحـك وقال صدق وهذا خطي وهذا خاتمي • أفلا اخبركم بالقصة قلنا راي امير المؤمنين اعلى في ذلك • قال خرجت امس الى الصيد. فى غب سماء فلما اصبحت هاج علينا ضباب شديد وفقدت اصحابي حتى ما رأيت منهم احداً واصابني من البرد والجوع والعطش ماالله اعلم به وتحيرت عند ذلك فذكرت دعاء سمعته من ابي يحكيه عن ابيه عن جده عن ابن عباس قال من قال اذا اصبح وامسى بسم الله وبالله ولاحولة ولاقوة الا بالله العلى العظيم وقي وشفي وكفي من الحرق والغرق والفرق والهدم وميتة السوء فلما قلتها رفع لي ضوء نار فقصدتها فاذا بهذا الاعرابي فى خـيمة له واذا هو يوقد ناراً بين يديه فقلت ايها الاعرابي هـل مـن ضيافة قال انزل وقال لزوجته هات ذلك الشعير فاتته بـه فقال اطحنيه فابتدأت تطحنه فقلت له اسقني ماء فاتاني بسقاء فيه مذقة من لبن اكثـره ماء فشربت منها شربة ما شربت قط شيئاً الا وهي اطيب منه • قال واعطاني حلساً له فوضعت رأسي عليه فنمت نومة ما نمت نومة اطيب منها والذ ثم انتبهت فاذا هو قد وثـب الى شويهة فذبحها واذا امرأته تقـول له ويحك قتلت نفسك وصبيتك انما كان معاشك من هذه الشأة فذبحتها فبأي شيء تعيش فقلت لاعليك هات الشاة فشققت جوفها واستخرجت كبدها بسكين فى خفي فشرحتها ثم طرحتها على النار فاكلتها ثم قلت هل عندك شيء اكتب لك فيه فجاءني بهذه القطعة فاخذت عـوداً من الرماد الذي كان بين يديه فكتبت له هذا الكتاب وختمته بهذا الخاتـم وامرته ان يجيء ويسأل عن الربيع فيدفعها اليه فاذا فى الرقعة خمسمائة الف درهم فقال لا والله ما اردت الا خمسين الف درهـم ولكن جرت يدى بخمسائة الف درهم لا انقص والله منها درهما واحـدا ولو لم يكن فى بيت المال غيرها احملوها معه • فما كان الا قليلا حتى كثرت ابله وشاؤه وصار منزلا ينزله الناس من اراد الحج مـن الانبار الى مكة شرفها الله وسمي مضيف امير المؤمنين المهدي • وخرج المهدي يوماً

الى الصيد فانقطع عن خاصته فدفع فرسه الى اعرابي وهو يريد البول فقال له يا اعرابي احفظ علي فرسي حتى ابول فسعى نحوه واخذ بركابه فنزل المهدي ودفع الفرس اليه فاقبل الاعرابي على السرج يقطع حليته وفطن المهدي . وقد اخذ حاجته وقدم اليه فرسه وجاءت الخيل نحوه وقد احاطت به فبادرها الاعرابي فولى هاربا فامر برده وخاف ان يكون قد عرف حاله . فقال خذوا ما اخذنا منكم ودعونا نذهب الى حرق الله ونار ه فقال المهدي تعال وصاح به لا بأس عليك فقال ما تشاء جعلني الله فداء فرسك فضحك من حضره وقالوا ويلك هل رأيت انسانا قط قال هذا قال فما اقول قالوا قل جعلني الله فداءك ياامير المؤ ال وهذا امير المؤمنين قالوا نعم قال والله لئن ارضاه مني ما يرضيني ذلك فيه ولكن جعل الله جبريل وميكائيل فداءه وجعلني فداءهما فضحك المهدي منه واستطابه وامر له بعشرة الاف درهم

قال ابن عرفة بلغني ان المهدي لما فرغ من بناء عيساباذ ركب في جماعة يسيرة لينظر البلد . فدخله مفاجأة واخرج من كان هناك من الناس وبقيا رجلان خفيا عن ابصار الاعوان فرأى المهدي احدهما وقد دهش فقال من انت فقال انا انا فقال ويلك من انت قال لا ادرى قال الك حاجة قال لا لا قال اخرجوه اخرج الله نفسه فدفع في قفاه . فلما خرج قال لغلام له اتبعه من حيث لا يعلم فسل عن امره ومهنته فاني اخاله حائكا فخرج الغلام يقفوه . ثم رأى الآخر فاستنقطه فاجابه بقلب جريء ولسان سليط فقال من انت فقال رجل من ابناء رجال دعوتك قال فما جاء بك الى ها هنا قال جئت لانظر الى هذا البناء الحسن فاتمتع بالنظر اليه واكثر الدعاء لامير المؤمنين بطول المدة وتمام النعمة ونماء العز والسلامة قال افلك حاجة قال نعم . خطبت ابنة عم لي فردني ابوها وقال لا مال لك والناس يرغبون في المال وانا بها مشغوف ولها وامق قال امرت لك بخمسين الف درهم قال جعلني الله فداءك يا أمير المؤمنين لقد وصلت فاجزلت الصلة ومننت فاعظمت المنة فجعل الله باقي عمرك اكثر من اوله ومتعك بما انعم به عليك وامتع رعيتك بك فامر ان تعجل له الصلة ووجه بعض خاصته وقال اسأل عن مهنته فاني اخاله كاتباً . فرجع

الرسولان معاً فقال الاول وجدت الاول حائكاً وقال الآخر وجدت الرجل الثاني كاتبا فقال المهدي لم تخف علي مخاطبة الكاتب والحائك .

قال عمرو الاعجمي عرضت امرأة للمهدي فقالت يا عصبة رسول الله انظر في حاجتي فقال المهدي ما سمعتها من احد قبلها اقضوا حاجتها واعطوها عشرة الاف درهم .

عن ابي عبيدة قال كان المهدي يصلي بنا الصلوات فى المسجد الجامع بالبصرة لما قدمها فاقيمت الصلاة يوماً فقال اعرابي يا امير المؤمنين لست على طهور وقد رغبت الى الله فى الصلاة خلفك فأمر هولاء ينتظروني فقال انتظروه رحمكم الله ودخل المحراب ووقف الى ان قيل اه قد جاء الرجل فكبر فعجب الناس من سماحة اخلاقه .

وفى سنةتسع وخمسين ومائة مات عبدالله بن محمدبن علي بن‌عبدالله ابن عباس ابو جعفر المنصور .

ودخلت سنة ستين ومائة وفيهامات ابراهيم بن ادهم بن منصور بن يزيد بن جابر العجلى ويقال التميمي اصله من بلخ وكان من اولاد الملوك وروى عن جماعة من التابعين وكان يقيم بالكوفة ثم بالشام .قال يونس بن سليمان البلخي كان ابراهيم بن ادهم من‌الاشراف وكان ابوه كثير المالو الخدم فخرج ابراهيم يوما الى العيد مع الغلمان والخدم والجنائب والبزاة فبينا ابراهيم فى ذلك وهو على فرسه يركضه اذا هو بصوت من فوقه يا ابراهيم ما هذا العبث افحسبتم انا خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون اتق الله وعليك بالزاد ليوم المعاد والفاقة . قال فنزل عن دابته ورفض الدنيا واخذ في عمل الآخرة .

قال بشر بن المنذر كنت اذا رأيت ابراهيم بن ادهم كأنه ليس فيه روح لو نفخته الريح لوقع قد اسود متدرعا بعباءة . وفيها مات شعبة ابن الحجاج بن‌فردابو بسطام‌العتكي وهوواسطى الاصل‌بصرى‌الداروالد بواسط سنة ثلاث وثمانين ونشأ بها وانتقل الى البصرة وراى الحسن

البصري وابن سيرين وكان اكبر من الثوري بعشر سنين وكان عالماً حافظاً للحديث صدوقاً زاهدا متعبدا عارفا بالشعر.

قال الاصمعي لم نر احداً اعلم بالشعر من شعبة وكان متشاغلا بالعلم لايكسب شيئاً من الدنيا وكان له اخوة يقومون بامـوره • واشترى احد اخوته من السلطان طعاماً فخسر فيه فحبس فقدم شعبة على المهدي فعابـه سفيان بالدخول عليه فقال شعبة هو كذلك لو لم يحبس اخي • وقيل كان المال الذي على اخيه ستة الاف دينار اسقطها المهدي عنه بسبب دخوله عليه • ولما دخـل على المهدي قال يا امـير المؤمنين انشد قتادة وسماك بن حرب لامية بن ابي الصلت شـعراً فى عبدالله بن جدعان التيمي

أأذكر حاجتي ام قـد كفاني	حياؤك ان شيمتك الحـياء
وعلمك بالحقوق وانت فرع	له الحسب المهذب والسناء
كريم لايغـيره صـباح	عن الخلق الجميـل ولامساء
بارضك كل مكرمة بنـاها	بنو تيـم وانت لها سـماء
اذا اثنى عليك المرء يـوماً	كفاه من تعرضـه الثنـاء

فقال لا يا ابا بسطام لاتذكرها قد عرفناها وقضيناها لك ادفعوا اليه اخاه ولا تاخذوا منه شيئاً وتوفي بالبصرة وهو ابن سبع وسبعين سـنة •

ثم دخلت سنة احدى وستين ومائة وفيها مات زند بن الجون ابو دلامة الشاعر ومن قال زيد فقد اخطأ وصحف وكان كوفيا اسود مولى لبني اسد وكان ابوه عبداً لرجل منهم يقـال له قصاقص فاعتقه وادرك ابو دلامة آخر دولة بني امية ولم يكن له نباهة فى ايامهم ونبغ فى ايام بني العباس فانقطع الى السفاح والمنصور والمهـدي وكانوا يقدمونه ويفضلون نوادره ومدح المنصور وذكر قتله ابا مسـلم الخراساني فقال

أبا مسلم خوفتني القتل فانتحى عليك بما خوفتني الاسد الورد
ابا مسلم ما غير الله نعمة على عبده حتى يغيرها العبد

وانشدها للمنصور في محفل من الناس فقال له المنصور احتكم فقال عشرة الآف درهم فامر له بها فلما خلا به قال اما والله لو تعديتها لقتلتك .

وقيل انه بقي الى خلافة الرشيد وكان كثير النادرة . قال ثعلب لما ماتت حمادة بنت عيسي امرأة المنصور والناس معه على حفرتها ينتظرون الجنازة و ابو دلامة فيهم فاقبل المنصور عليه فقال يا ابا دلامة ما اعددت لهذا المصرع فقال حمادة بنت عيسى يا امير المؤمنين قال فضحك القوم .

قال الاصمعي أمر المنصور ابا دلامة بالخروج نحو عبدالله بن علي فقال له ابو دلامة ناشدتك الله ياامير المؤمنين لاتحضرني شيئا من عساكرك فقد شهدت تسعة عساكر انهزمت كلها واخاف ان يكون عسكرك العاشر فضحك منه واعفاه . قال العتابي دخل ابو دلامة على المهدى فطلب كلبا فاعطاه ثم دابة فاعطاه ثم جارية تطبخ له الصيد فاعطاه ثم قال من يعول هولاء اقطعني ضيعة اعيش منها انا وعيالي قال قد اقطعتك مائة جريت من العامر ومائة جريب من الغامر قال وما الغامر قال الخراب قال ابو دلامة قد اقطعت امير المؤمنين خمسمائة جريب من غامر ارض بني اسد قال قد جعلناها عامرة فهل لك من حاجة قال نعم تأذن لى ان اقبل يدك فقال ما الى ذلك من سبيل فقال والله ما رددتنى عن حاجة اهون علي فقدا منها .

وفيها مات سفيان بن سعيد بن مسروق ابو عبدالله الثورى من اهل الكوفة ولد في خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان وسمع خلقاً كثيرا وكان من كبار ايمة المسلمين لايختلف فى امامته وامانته وحفظه وعلمه وزهده قال يونس بن عبيد ما رأيت افضل من سفيان الثوري فقيل له ياابا عبدالله بعد ان رأيت سعيد بن جبير وعطاء ومجاهدا

تقول هذا قال هو ما اقول ما رايت افضل من سفيان الثوري .

دخل سفيان الثوري على المهدي فقال السلام عليكم كيف انتم ثم جلس فقال حج عمر بن الخطاب فانفق في حجته ستة عشر دينارا وانت حججت فانفقت في حجتك بيوت الاموال . قال فأي شيء تريد اتريد ان اكون مثلك فقال فوق ما انا فيه ودون ما انت فيه . فقال وزيره ابو عبيد الله . يا ابا عبدالله قد كانت كتبك تأتينا فننفذها قال من هذا قال ابو عبيدالله قال احذره فانه كذاب انا ما كتبت اليك ثم قام فقال له المهدي الى اين يا ابا عبدالله قال اعود وكان قد ترك نعله حين قام فعاد فاخذها ثم مضى فانتظره المهدي فلم يعد فقال وعدنا ان يعود ولم يعد قيل له قد عاد لاخذ نعله فغضب وقال قد امن الناس الا سفيان الثوري ويوسف بن فروة الزنديق فانه ليطلب وانه لفي المسجد الحرام فذهب فالقي نفسه بين النساء فجللته قيل له لم فعلت ذلك قال انهن ارحم . ثم خرج الى البصرة فلم يزل بها حتى مات . فلما احتضر قال ما اشد الغربة انظروا لي هاهنا احدا من اهل بلادي فنظروا فاذا افضل رجلين من اهل الكوفة . عبد الرحمن بن عبد الملك بن ابجر والحسن ابن عباس اخوابي بكر فاوصى الى الحسن فى تركته واوصى الى عبد الرحمن بالصلاة عليه . وكان سفيان قد ورث من اخيه ستين ديناراً فكان يقلبها فى يده ويقول لولاك لاحتجت الى السفل

وفيها مات المؤمل بن اميل المحاربي الشاعر مدح المهدي وله اشعار كثيرة حسنة .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائة فيها مات ابراهيم بن طهمان ابو سعيد الخراساني ولد بهراة ونشأ بنيسابور ورحل فى طلب العلم فلقي جماعة من التابعين مثل عبدالله بن دينار وابي الزبير ومحمد ابن مسلم وابي حازم . قال مالك بن سليمان كان لابراهيم بن طهمان جراية من بيت المال فاخرة وكان يسخو بذلك فسئل يومافى مجلس الخليفة فقال لا ادري فقالوا تاخذ فى كل يوم كذا وكذا ولاتحسن مسألة فقال انما

اخذت على ماالحسن ولو آخذ على مالااحسن لفنى بيت المال ولايفنى ما لا ادري فاعجب امير المؤمنين جوابه وامر له بجائزة فاخرة وزاد في جرايته وتوفى بمكة فى هذه السنة ٠

ثم دخلت سنةاربع وستين ومائة٠فيها نزل المهدي بمنزله بعيساباذلما بناها وامر ان يكتب له ابناء المهاجرين وابناء الانصار فكتبوا ودعى بنقبائهم وجلس مجلساً عاماً لهم ففرق ثلاثة الاف الف درهم فاغنى كل فقير وجبر كل كسير وفرج عن كل مكروب ثم قامت الخطباء ودخل الشعراء فانشدوه ففرق فيهم خمسمائة الف درهم فكثر الداعي له في الطرقات والبوادي وقام فى هذا اليوم مروان بن ابي حفصة فانشده

مايلمع البرق الا حن مغترب … كانه من دواعي شوقه وصب
ما انس لا انس غيثاً ظل وابله … علي من راحة المهدي ينسكب
شمنا فما اخلفتنا من مخائله … سحابة صوبها الاوراق والذهب
صدقت ياخير مأمون ومعتمد … ظني باضعاف ماقد كنت احتسب
اعطيت سبعين الفاً غير متبعها … مناً ولست بمنان بما تهب
قدلاح للناس بالمهدي نورهدى … يضي والصبح فى الظلماء يحتجب
خليفة طاهر الاثواب معتصم … بالحق ليس له في غيره ارب

وفيها مات شبيب بن شبة بن معمر الخطيب المنقري البصري حدث عن الحسن وعطاء وهشام بن عروة وقدم بغداد فى ايام المنصور فاتصل به ثم بالمهدي وكان مقدماً عندهما ٠ وقال له المنصور عظني فقال له يا امير المؤمنين ان الله لم يرض من نفسه ان يجعل فوقك احدا من خلقه فلا ترض من نفسك بان يكون عبد الله اشكر منك والله لقد اوجزت وابلغت وخرج من الدار من عند المهدى فقيل له كيف تركت الدار قال تركت الداخل راجيا والخارج راضيا وكان شبيب فصيحا ذا لسان لكنه كان يخطيء فى العربية احيانا ٠

وفيها مات المبارك بن فضالة بن ابي امية بن فضالة مولي زيد بن الخطاب ٠ حدث عن الحسن وحميد الطويل وخلق كثير ٠

ثم دخلت سنة خمس وستين ومائةفيها تزوج الرشيد زبيدة بنت

جعفر بن المنصور وبنى بها • وسقط ببغداد ثلج قام فى الارض نحو ذراعين وفيها مات رواد العجلي وكان زاهدا عابدا ورعا كثير البكاء والصراخ •

ثم دخلت سنة ست وستين ومائة فيها اخذ المهدي لهارون البيعة على قواده بعد موسى بن محمد المهدي وسماه الرشيد •

وفيها قحط الناس على عهد المهدي فنادى فى الناس ان صوموا ثلاثة ايام واخرجوا للاستسقاء فى اليوم الرابع فخرجوا فقال ليقط ابن بكر المحازى .

يا امام الهدى سقينا بك الغيث وزالت عنا بك اللاواء
خسّت الارض اذعزمت لتستقي وجاءت بالغيث منها السماء
بت تعنى بالناس والناس قد غام عليهم من الظلام غطاء
فسقينا وقد قحطنا وقلنا سنة قد تنكبت حمراء
بدعاء اخلصته في سواد الليل لله فاستجيب الدعاء
بغيوث تحيا بها الارض حتى اصبحت وهي زهرة خضراء

ثم دخلت سنة سبع وستين ومائة فيها جد المهدي في طلب الزنادقة والبحث عنهم فى الافاق وقتلهم وولى امرهم عمر الكلواذاني فاخذ يزيد بن الفيض كاتب المنصور فأقر فحبس وهرب من الحبس واتهم المهدي صالح بن عبد القدوس البصري بالزندقة فامر بحمله اليه فاحضر فلماخاطبه اعجب بغزارة ادبه وعلمه وحسن ثنائه فأمر بتخلية سبيله فلما ولى رده وقال الست القائل •

ما تبلغ الاعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه
والشيخ لايترك اخلاقه حتى يواري فى ثرى رمسه
اذا ارعوى عاد الى غيه كذى الضنى عاد الى نكسه

قال بلى قال انت لاتترك الخلاقك ونحن نحكم فيك بحكمك ثم امر به فقتل وصلب على الجسر • قال ابن ثابت وقيل انه بلغه عنه ابيات

يعرض فيها بالنبي (صلعم)•قال ويقال انه كان مشهورابالزنادقة ولهمع ابي الهذيل مناظرات

وفيها فشا الموت والوباء ببغداد وفيها مات بشار بن برد ابو معاذ الشاعر مولي عقيل ولداعمى وكان يشبه الاشياء فى شعره فيأتي بما لايقدر البصراء عليه فقيل له يوماً وقد قال

كأن مثار النقع فوق رؤسنا ... واسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ما قال احد احسن من هذا التشبيه فمن اين لك هذا ولم تر الدنيا فقال ان عدم النظر يقوي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل مما ينظر اليه من الاشياء فيتوفر حسه وتذكو قريحته • وكان الاصمعي يقول بشار خاتمة الشعراء لولا ان ايامه تاخرت لفضلته على كثير منهم •

قال الجاحظ كان شاعرا خطيبا صاحب منشور ومزاوج وسجع ورسائل وهو المقدم من الشعراء المحدثين وهو بصرى قدم بغداد قال ابو تمام الطائي اشعر الناس واشبهم في الشعر كلاماً بعد الطبقة الاولى بشارخاتمة الشعراء لولاان ايامه تأخرت لفضلته على كثير منهم وقال ابو عبيدة معمر بن المثنى قال بشار الشعر ولم يبلغ عشر سنين وقال ثلاثة عشر الف بيت ولايكون عنداحد من اهل الاسلام والجاهلية هذا العدد وكان بشار يهوى امرأة من اهل البصرة يقال لها عبيدة فخرجت عن البصرة مع زوجها الى عمان فقال بشار

هوى صاحبي ريح الشمال اذاجرت ... واشهى لقلبى ان تهب جنوب
وما ذاك الا انها حين تنتهي ... تجيء وفيها من عبيدة طيب
عذيرى من العذال اذيعذلوننى ... سفاها ومافي العاذلين لبيب
يقولون لو عزيت قلبك لارعوى ... فقلت وهل للعاشقين قلوب
اذا نطق القوم الجلوس فاننى ... مكب كأني فى الجميع غريب

قيل لابي حاتم من اشعر الناس قال الذى يقول

ولها مبسم كثغر الاقاحي ... وحديث كالوشي وشي البرود
نزلت فى السواد من حبة القلب ... وزادت زيادة المستزيد

عندها الصبرعن لقائي وعندي زفرات يأكلن صبر الجليد

يعنى بشار بن برد • وكان مقدما عنده يقدمه على جميع الناس وبلغ المهدي ان بشاراً قد هجاه وشهد قوم له انه زنديق فامر المهدي بضربه فضرب ضرب التلف فمات وقد بلغ نيفاً وتسعين سنة •

ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائة فيها مات حماد بن سلمة مولى بني تميم وهو ابن اخت حميد الطويل كان عالما عابدا محاسبا نفسه لايضيع لحظة فى غيرطاعة الله•قال مقاتل بن صالح الخراساني دخلت على حماد بن سلمةفاذا ليس فى البيت الا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ منه وحراز فيه علمه ومطهرة يتوضأ فيها • فبينما انا عنده جالس دق داق الباب فقال يا صبية اخرجي فانظري من هذا فقالت رسول محمد بن سليمان قال قولي له يدخل وحده فدخل فناوله كتاباً فيه•

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن سليمان الى حماد بن سلمة • اما بعد فصبحك الله بما صبح به اولياءه واهل طاعته وقعت مسألة فاتنا وسلنا عما بدالك وان اتيتنى فلا تأتني الا وحدك ولاتاتني لي اقلب الكتاب واكتب • اما بعد وانت صبحك الله بما صبح بهاولياءه واهل طاعته انا ادركنا العلماء وهم لا يأتون احداً فان كانت وقعت مسألة فائتنا وسلنا عما بدالك وان اتيتني فلا تأتني الا وحدك ولاتاتني بخيلك ورجلك فلا انصحك ولا انصح نفسي والسلام • فبينما انا عنده دق داق الباب فقال يا صبية اخرجي وانظرى من هذا • قالت محمد ابن سليمان قال قولي ليدخل وحده فدخل فسلم ثم جلس بين يديه • فقال مالي اذا نظرت اليك امتلات رهبا • فقال حماد سمعت ثابتا البناني يقول سمعت انس بن مالك يقول سمعت رسول الله (صلعم) يقول ان العالم اذا اراد بعلمه وجه الله تعالى هابه كل شيء فاذا اراد ان يكتنز به الكنوز هاب كل شيء • فقال اربعون الف درهم تأخذها تستعين بها على ما انت عليه • فقال اردها على من ظلمته قال والله ما اعطيك الا ما ورثته قال لاحاجة لي فيها ازوها عني زوى الله عنك اوزارك • قال

فتقتسمها قال فلعلي ان عدلــت ان يقول بعض من لم يرزق منها لم يعدل • ازوها عنى زوى الله عنك اوزارك

وفيها مات حماد عجرد وهو حماد بن عمر بن كليب مولى لبني سواءة بن عامر بن صعصعة يكنى ابا عمر وهو كوفي ويقال ان اعرابيا مر به وهو غلام يلعب مع الصبيان فى يوم شديد البرد وهــو عريان فقال له تعجردت يا غلام فسمي عجرد والمتعجرد المتعري • وكان خليعاً ماجناً ظريفا ونادم الوليد بن يزيــد وهاجى بشار بن برد وهــو فحل الشعراء المحدثين فانتصف منه وكان بشار يضج منه وقدم بغداد في ايام المهدي • وذكره ابن قتيبة فى طبقات الشعراء قــال كان بالكوفة ثلاثة يقال لهم الحمادون حماد عجــرد وحماد الراويــة وحماد بن الزبرقان •قال النحوى وكانوا يتعاشرون وكانــوا يرمــون كلــهم بالزندقة • وحماد عجرد هو القائل(١)

ان الكريم ليخفي عنك عسرته ... حتى تراه غنياً وهــو مجهود
وللبخيل على امــواله علل ... زرق العيون عليها اوجه سود
اذا تحرمت ان تعطي القليل ولم ... تقدر على سعة لم يظهر الجود
بث النوال ولاتمنعك قلتــه ... فكل ما سد فقراً فهو محمود

ثم دخلت سنة تسع وستين ومائة • فيها توفي المهــدي وولي الهادي

ذكر خلافة

الهــادى

وهو ابو محمد موسى بن محمد المهــدي مولده سنة ســبع واربعين ومائة امه الخيزران بويع له ببغداد بعد وفاة ابيه المهدي وكان اذ ذاك بجرجان تولى اخذ البيعة له اخوه الرشيد ولم يل الخلافة قبله

---

(١) كلا ان هذه الابيات لبشار بن برد

اصغر سنا منه وكان طويلا جسيما ابيض الشعر جعد نقش خاتمه . بالله اثق .

ذكر شيء من اخباره

سمع رجلاً يصيح وهو يقول

قل للخليفة ان حاتم ظالم   فخف الاله وعافنا من ظالم

فامر بطلب الرجل ليعرف من هو حاتم فلم يعرف فامر بصرف كل عامل اسمه حاتم

ذكر اسحق الموصلى ان الهادي قال له انشدني واطربني ولك حكمك قال فانشدته

فيا حبها زدني جوى كل ليلة   وياسلوة الايام موعدك الحشر
هجرتك حتى قيل لايعرف الهوى   وزرتك حتى قيل ليس له صبر

فاستطابه وامر ان ادخل بيت المال وآخذ منه ما اردت فاخذت منه سبع بدر وانصرفت

وحكى علي بن صالح قال تاخر الهادي عن الجلوس للمظالم اياما فقلت ان العامة لا يستقيم امرها ان لم تجلس للمظالم فقال ايذن للناس علي بالجفلى لا النقرى فخرجت لا ادري ما اراد وكرهت مراجعته فقلت لاعرابي كان وفد علينا ما الجفلى والنقرى فقال الجفلى دعوة العموم والنقرى دعوة الخصوص . اي لا يدخل قوم دون قوم فامرت برفع الستور وفتح الابواب فدخل الناس ولم يزل ينظر فى المظالم الى الليل فلما تقوض الناس وقفت . فقال كأنك تريدان تذكر شيئاً فقلت نعم كلمتني اليوم بكلام لم اسمعه منك قبل وكرهت مراجعتك فسألت اعرابياً ففسره لي فكافئه عنى فقال يحمل له عشرة الاف درهم . فقلت ياامير المؤمنين ان فى الف درهم غنى فقال ويلك يا علي اجود وتبخل . ومن كلامه وكان قد غضب على انسان ورضي عنه فاخذ يعتذر فقال له ان الرضا كفاك مونة الاعتذار .

ذكر وفاته

توفي يوم الجمعة رابع عشر ربيع الاول سنة سبعين ومائة ودفن بقصره بعسياباد وكانت مدة خلافته سنة وشهرا

ذكر اولاده

وهم اسمعيل وزوجه عمه الرشيد ابنته فاطمة واسحق وقد خطب له بولاية العهد . وزوجه الرشيد ابنته حمدونة وسليمان وابو القاسم عبدالله وكان اديبا فاضلا له شعر فمن ذلك قوله

ما اولع الحب بالكرام وما   اولع بالهجر كل محبوب
قد حجب الهجر من هويت فما   يسعفني وهو غير محجوب

ومن شعره ايضا قوله

تقاضاك دهرك ما اسلفا   وكدر عيشك بعد الصفا
فلا تنكرن فان الزمان   جدير بتشتيت ما الفنا
ولما رآك قليل الهموم   كثير الهوي ناعما مترفا
الح عليك بروعاته   واقبل يرميك مستهدفا

ثم جعفر ثم العباس وحج بالناس فى خلافة عمه الرشيد وموسى وام العباس وام عيسى وتزوجها المأمون ابن عمها فولدت له محمداً وعبدالله .

ذكر وزرائه وقضاته

وزر له الربيع بن يونس وزير المنصور ولم يعزل قضاة ابيه وحاجبه الفضل بن الربيع ولا عقب له فى الخلافة والخلفاء من ولد اخيه الرشيد .

ذكر شيء من الاحوال والحوادث التى جرت فى ايام خلافته

كان شديد اللبث على الدابة وعليه درعان وكان المهدي يسميه ريحانتي وكان له من الولد جعفر وهو الذى كان يرشحه للخلافة قال

المطلب بن عائشة المزني • قدمنا على امير المؤمنين الهادي شهوداً على رجل منا شتم قريشاً وتخطى الى ذكر رسول الله (صلعم) • فجلس لنا مجلساً احضر فيه فقهاء زمانه ومن كان بالحضرة على بابه واحضر الرجل واحضرنا فشهدنا عليه بما سمعنا منه فتغير وجهه ثم نكس رأسه ثم رفعه فقال اني سمعت المهدي يحدث عن ابيه المنصور عن ابيه محمد بن علي عن ابيه على عن ابيه عبدالله بن عباس قال من اراد هو ان قريش اهانه الله وانت يا عدو الله لم ترض بأن اردت ذلك حتى تخطيت الى ذكر رسول (صلعم) اضربوا عنقه • فما برحنا حتى قتل •

وفي هذه السنة اشتد طلب موسى الزنادقة فقتل منهم جماعة فكان فيهم كما قيل رجل يدعي يقطين وكان قد حج فنظر الى الناس فى الطواف يهرولون فقال ما اشبههم بدوس البيدر فقال الشاعر

قل لامين الله فى خلقه ووارث الكعبة والمنبر

ماذا ترى فى رجل كافر يشبه الكعبة بالبيدر

ويجعل الناس اذا ما سعوا حمراً بدوس البرو الدوسر

فقتله وصلبه فسقطت جثته على رجل من الحاج فقتله وقتلت حماره

وفي هذه السنة مات محمد المهدي بن عبدالله المنصور رأي مناماً قبل وفاته يدل عليها وتوفي ليلة الخميس لثمان بقين من المحرم سنة سبع وستين ومائة وهو ابن ثلاث واربعين سنة وكانت خلافته عشر سنين وشهراً ونصف شهر •

ثم دخلت سنة سبعين ومائة فيها كانت وفاة الهادي واستخلاف الرشيد

ذكر خلافة

الرشـــيد

اسمه هرون بن محمد المهدي ويكني ابا جعفر وامه الخيزران ولد بالري لثلاث بقين من ذي الحجة سنة تسـع واربعـين ومائة فى خلافة المنصور وقيل ولد فى اول يوم المحرم سنة خمسين ومائة وكان الفضل بن يحيي البرمكي ولد قبله بسبعة ايام فجعلت ام الفضل ظئراً له وهي زينب بنت منير فارضعت الرشيد بلبان الفضل وكان الرشيد ابيض طويلا سمينا جميلا جعدا ولم يمت حتى وخطه الشـيب . قال الصولي وكان به حول في فرد عين لايبين الا لمن تأمله وسمع الحديث من مالك بن انس وابرهيم بن سعد الزهري واكثر حديثـه عن ابائه . روى عنه ابو يوسـف القاضي والشافعي وكان يحـب الحديـث واهله .

تزوج زبيدة بنت جعفر بن ابي جعفر المنصور وكنيتها ام جعفر واعرس بهافى سنة خمس وستين ومائةفى خلافةابيه المهدى ببغدادفولدت الامين . وتزوج امة العزيز ام ولد موسى اخيه وتزوج عباسة بنت سليمان بن المنصور . ومات الرشيد عن اربع ضرائر . ام جعفر وام محمد وعباسة والعثمانية واولاده محمد الاكبر وهو الامين امه زبيدة. وعبدالله المأمون امه ام ولد يقال لها مراجل . والقاسم وامه ام ولد يقال لها قصف . ومحمد المعتصم وامه ام ولد يقال ماردة . وكان له اولاد غير هولاء وكان له عدة بنات .

بويع الرشيد بالخلافة فى الليلة التى توفي فيها اخـوه الهادي اخرجه هرثمة بن اعين ليلا واقعده للمبايعة وكانت ليلة السبت لاربع عشرة بقيت من شهر ربيع الاول سنة سبعين ومائة .

ولما جلس للخلافة سلم عليه بالخلافة عمه سليمان بن المنصور وعم ابيه العباس بن محمد وعم جـده المنصـور عبد الصمد بن على .

واستدعى الرشيد يحيى بن خالد بن برمك وكان قد حبسه الهادي ليله الى هرون وعزم على قتله وقتل هرون فحضر يحيى فقلده الوزارة وكانت الخيزران هي الناظرة في الامور وكان يحيى يصدر الامور الى هرون عن رأيها وكان الرشيد يقول ليحيى ابن خالد يا ابي

قال الصولي كان يحيى يساير الرشيد يوماً فقام رجل فقال يا امير المؤمنين عطبت دابتي فقال يعطى خمسمائة درهم . فغمزه يحيى فلما نزل قال يا ابتاه او مات الي بشيء وقت ما امرت بالدراهم فما هو فقال مثالك لايجرى هذا المقدار على لسانه انما يذكر مثلك خمسة الاف الف عشرة الاف الف قال فاذا سؤلت مثل هذا كيف اقول فقال تقول تشترى له دابة يفعل به فعل نظرائه ولما بويع الرشيد خرج فوصل الى كرسي الجسر فدعا الغواصين فقال لهم . كان المهدي اهدى لي خاتماً شراؤه مائة الف درهم فدخلت علي امي وهو فى يدى فلما انصرفت لحقني سليمان الاسود فقال يأمرك امير المؤمنين ان تعطيني الخاتم فرميت به في هذا الموضع . فغاصوا فأخرجوه فسر به غاية السرور وكان الهادى قد خلع الرشيد وبايع لابنه جعفر . وكان خزيمة بن خازم فى خمسة الاف من امواليه عليهم السلاح تلك الليلة فهجم فاخذ جعفر من فراشه وقال لاضر بن عنقك او تخلعها فلما كان من الغد ركب الناس الى باب جعفر فاتى به خزيمة فاقامه على الباب فى العلو والابواب مغلقة فنادى جعفر يامعشر الناس من كان فى عنقه لي بيعة فقد جعلته في حل منها . والخلافة لعمي هرون الرشيد لاحق لي فيها .

وعن عمرو بن الحر . قال اجتمع للرشيد ما لم يجتمع لاحد من جد وهزل . وزراؤه البرامكة لم ير مثلهم سخاء وشرفاً . وقاضيه ابو يوسف . وشاعره مروان بن ابي حفصة كان في عصره كجرير في عصره ونديمه عم ابيه العباس بن محمد صاحب العباسية وحاجبه الفضل بن الربيع انبه الناس واشدهم تعاظماً ومغنيه ابراهيم الموصلي اوحد عصره وعواده زلزل وزوجته ام جعفر ارغب الناس فى الخير واسرعهم الى كل بر ومعروف

وهي التى ادخلت الماء للحرم بعد امتناعه الى اشياء من المعروف ٠ ومن كبار قواده المغلى ولي البصرة وفارس والاهواز واليمامة والبحرين وغير ذلك واليه ينسب نهر المغلى ٠

وكان الرشيد يحب العلم ويؤثره ويستفيد فنال علما كثيرا وله فطنه قوية ٠ قال الاصمعي دخلت على هرون الرشيد ومجلسه حافل فقال يا اصمعى ما اغفلك عنا واجفاك لحضرتنا فقلت والله يا امير المؤمنين ما لاقتنى البلاد بعدك حتى اتيتك فأمرني بالجلوس فجلست ٠ فلما تفرق الناس فلم يبق غيري وغيره ومن بين يديه من الغلمان فقال يا ابا سعيد ما معنى قولك : ما لاقتني قلت ما امسكتنى وانشدته

كفاك كيف لاتليق درهما جوداً واخرى تجن بالسيف الدما

فقال احسنت هكذا وقرنا فى الملا وعلمنا فى الخلاء وامر له بخمسة الاف درهم

قال الاصمعى تأخرت عن الرشيد ثم جئته فقال كيف كنت يا اصمعي قلت بنت والله بليلة النابغة فقال انا لله وانشد

فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش فى انيابها السم نافع

فعجبت من ذكائه وفطنته لما قصدت

وقال سعيد بن مسلم كان الرشيد فهمه فوق فهم العلماء انشده العماني فى وصف فرس

كأن اذنيه اذا تشوفا قادمة او قلما محرفا

فقال الرشيد دع كأن وقل تخال اذنيه ٠ وكان الرشيد يتواضع لاهل العلم والدين

قال ابو معاوية الضرير اكلت مع الرشيد طعاما يوما من الايام فصب على يدي رجل لا اعرفه فقال هرون يا ابا معاوية تدري من يصب على يدك قلت لاقال انا فقلت انت يا امير المؤمنين قال نعم اجلالا للعلم فقلت اكرمك الله واجلك يا امير المؤمنين وقال ابو معاوية الضرير حدثت الرشيد بهذا الحديث يعني قول النبي (صعلم) ٠ وددت اني

اقتل فى سبيل الله ثم احيا ثم اقتل • فبكى هرون حتى انتحب • ثم قال يا ابا معاوية ترى لي ان اغزو • فقلت ياامير المؤمنين مكانك فى الاسلام اكثر ومقامك اعظم ولكن ترسل الجيوش • قال ابو معاوية وما ذكرت النبى (صلعم) الاقال صلى الله على سيدي وسلم

قال ابو معاوية دخلت على هرون الرشيد فقال لي يا ابا معاوية هممت انه من يثبت خلافة علي بن ابى طالب فعلت به وفعلت به فسكت فقال لي تكلم فقلت ان اذنت لي تكلمت فقال تكلم فقلت يا امير المؤمنين قالت تيم منا خليفة رسول الله وقالت عدي منا خليفة خليفة رسول الله وقالت بنو امية منا خليفة الخلفاء فاين حظكم يابني هاشم من الخلافة والله ماحظكم منها الا علي بن ابى طالب فقال والله يا ابا معاوية لايبلغني ان احدا لم يثبت خلافة على بن ابي طالب الافعلت به كذا وكذا

وقال ابن البراء كان الرشيد يحج عاما ويغزو عاما وحج بالناس ست مرات فقال فيه داود بن رزين

بهرون لاح البدر فى كل ظلمة ... وقام به فى عدل سيرته النهج
امام بذات الله اصبح شغله ... واكثرما يعني به الغزو والحج
تضيق عيون الناس عن نوروجهه ... اذا ما بدا للناس منظره البلج
وان امين الله هرون بالندى ... ينيل الذي يرجوه اضعاف مايرجو

وقال ابو معلى الكلابي

فمن يطلب لقاءك اويرده ... فبالحرمين او اقصى الثغور
ففى ارض العدو على طمر ... وفى ارض الثنية فوق كور

والح عليه فى بعض غزواته الثلج فقال له بعض اصحابه اما ترى يا امير المؤمنين ما نحن فيه من الجهد والرعية وادعة فقال اسكت على الرعية المنام وعلينا القيام ولابد للراعي من حراسة رعيته • فقال بعض الشعراء فى ذلك •

غضبت لغضبتك القواطع والقنا ... لما نهضت لنصرة الاسلام

ناموا الى كنف لعدلك واسع وسهرت تحرس غفلة النوام

وكان الرشيد اذا حج يحج معه مائة من الفقهاء وابنائهم واذا لم يحج احج ثلاثمائة بالنفقة التامة والكسوة الظاهرة . وكان يصلي كل يوم مائة ركعة الى ان فارق الدنيا . الا ان تعرض له علة . وكان يتصدق فى كل يوم من صلب ماله بالف درهم بقدر زكاته . وكان يقتفي اخلاق المنصور ويطلب العمل بها . وكان لا يضيع عنده احسان محسن وكان يميل الى اهل الادب والفقه ويكره المراء في الدين ويحب الشعراء والشعر والمدح لاسيما من شاعر فصيح

ودخل عليه يوما مرون بن ابي حفصة فانشده

وسرت بهرون الثغور واحكمت به من امور المسلمين المرائر
وما انفك معقودا بنصر لواؤه له عسكر عنه تشظى العساكر
فكم ملك فى الروم اعطاه جزية على الرغم قسراً عن يدوهو صاغر
الى وجهه تسمو العيون وماسمت الى مثل هرون العيون النواظر
ترى حوله الاملاك من آل هاشم كما حفت البدر النجوم الزواهر
اذا فقد الناس الغمام تتابعت عليهم بكفيك الغيوث المواطر
على ثقة القت اليك امورها قريش كما القى عصاه المسافر
فطورا يهزون القواطع والقنا وطورا بايديهم تهز المخاصر
ليهنكم الملك الذى اصبحت بكم اسرته مختالة والمنابر
ابوك ولي المصطفى دون هاشم وان رغمت من حاسديك المناخر

فاعطاه عشرة الاف دينار وكساه وامر له بعشرة من الرقيق الروم وحمله على برذون

وللرشيد اشعار حسان . منها قوله فى ثلاث جوار

ملك الثلاث الغانيات عناني وحللن من قلبي بكل مكان
ما لي تطاوعني البرية كلها واطيعهن وهن فى عصياني
ما ذاك الا ان سلطان الهوى وبه قوين اعز من سلطاني

وكان الرشيد طيب النفس فكها يحب المزاح وكان مع حبه اللهو كثير البكاء من خشية الله محبا للمواعظ . قد وعظه الفضيل بن عياض

وابن السماك والعمرى وغيرهم

قال منصور بن عمار مارأيت اغزر دمعا عند الذكر من ثلاثة الفضيل بن عياض وابو عبدالرحمن الزاهد وهرون الرشيد وكان نقش خاتمه (كن من الله على احذر) وكان طلق الوجه حسن الرأى والتدبير لين الجانب وكان يجلس مع الناس على الطعام ويبذل الصلات ويزور الصالحين وقال يوماً لمروان بن ابي حفصة • صفني بما في فقال اعفني يا امير المؤمنين فقال لابد • فقال والله انك من اعدل الناس واجود الناس واكسل الناس • فقال كيف تقول ذلك وقد صيرت حركاتي غزوا وجهاداً • فقال ما كسلك من هذا ولكن ان تأمر لي بالف دينار وما تفعل وما ارى يمنعك الا الكسل فضحك وامر له بخمسمائة دينار فقال واعجب من هذا انك اعييت وحططت فى نصف الطريق

ذكر اولاده

وهم محمد الامين وعبدالله المأمون ومحمد المعتصم وكلهم ولوا الخلافة وابو سليمان وابو على محمد وابو ايوب محمد وكان فاضلا وله شعر حسن وابو احمد محمد وابو عيسى محمد وابو يعقوب محمد وابو احمد محمد والسيني الزاهد الذي يزار وصالح وولاه اخوه المأمون البصرة وحج بالناس • والقاسم وابو محمد واروى وام سلمة وخديجة وام جعفر وام القاسم وريطة وحمدونة وسكينة وام محمد وام على وام حسن وام عزام[1] وهي زوجة محمد بن علي بن موسى الرضى وام ابيها وام الفضل وام حبيب ونادرة وفاطمة وغالية وابو اسحق وحج وولاه اخوه المأمون الشام وعلي وحج بالناس • وكل واحدة من بناته تعد عشرة من الخلفاء وكل لها محرم هرون ابوها والهادي عمها والمهدي جدها والمنصور جد ابيها والسفاح عم جدها والامين والمأمون والمعتصم اخوتها والواثق والمتوكل ابناء اخيها •

---

(١) زوجةمحمد الجواد بنعلى الرضا هي ام حبيب بنت المأمون لا هذه

ذكر قضاته وحجابه

وزر له يحيى بن خالد البرمكي وابناه الفضل وجعـفر وعزلهم واستوزر الفضل بن الربيع اخر ايامه واستقضى ابا يوسف يعقـوب صاحب ابي حنيفة ثم الواقدي واستحـجب بشار بن ميمـون مولاه ومحمد بن خالد بن برمك •

واتاه يوما رجل من الزهاد فقال يا هرون اتق الله فاخذه فخلا به وقال يا هذا انا شرام فرعون قال بل فرعون قال فانت خير ام موسى قال موسى قال افما تعلم ان الله تعالى لما بعثه واخاه اليه قال فقولا له قولا الينا وانت قد جبهتنى باغلظ الالفاظ فما بأدب الله تأدبت ولا باخلاق الصالحين اخذت قال اخطأت وانا استغفر الله قال غفر الله لك وامر له بعشرين الف درهم فأبى ان يأخذها وانصرف

وفي هذه السنة مات الربيع بن يونس بن محمد بن فروة واسم ابي فروة كيسان مولى ابي جعفر المنصور • قال الصـولي لم يـزل الربيع وزير المنصور حتى توفي المنصور بمكة واخذ الربيع للمهدي البيعة فشكر المهدي له ذلك وجعله حاجبه ولم يستوزره • وقد ذكروا انهم لم يروا فى الحجابة اعرف من الربيع ومن ولده الفضل حجـب لهرون الرشيد ولمحمد الامين وابنـه عباس بن الفضل حجب للامـين فعباس حاجب بن حاجب بن حاجب • وقد مدحهم ابو نواس فقال

ساد الملوك ثلاثـة ما منهـم   ان حصلوا الا اغـر قريـع

عباس عباس اذا احتدم الوغى   والفضل فضل والربيع ربيع

وفيها مات فتح بن محمد بن وشاح ابو محمد الازدي الموصلي• وذكر المعافى بن عمر انه لم يكن اعقل منه وليس هـذا بفتح الموصلي المكنى بابي نصر فان ابا نصرمات سنة عشرين ومائتين واكثر الحكايات عن ابى نصر لا عن ابي محمد وفيها مـات الهادي موسى بن المـهدي واختلفوا فى سبب موته • قال بعضهم قرحة كانت سبب موته • وحكى

ابو جعفر بن جرير الطبري عن جماعة انهم قالوا ان الخيزران امه امرت بقتله وانكر غيره ذلك قالوا كانت فى اول خلافته تفتات عليه فى اموره وتسلك به مسلك ابيه المهدي فى الاستبداد بالامر والنهي دونه وكانت اذا سالته حاجة قضاها فارسل اليها لاتخرجي من خفر الكفاية الى بذاذة التبذل فانه ليس من قدر النساء الاعتراض فى امر الملك وعليك بصلاتك وسبحتك ولك بعد هذا طاعة مثلك . فكلمته يوماً فى امر فاعتل بعلة قالت لابد من اجابتني قال لا افعل قالت فاني قد ضمنت قضاء هذه الحاجة قال والله لا اقضيها لك فقالت والله لاسألك حاجة ابداً فقال اذن والله لا ابالي وغضب وقامت مغضبة فقال مكانك حتى تستوعبي كلامي والله والافانني نفي من قرابتي من رسول الله (صلعم) لئن بلغني انه وقف ببابك احد لاضربن عنقه ولاقبضن ماله ما هذه المواكب التي تغدو وتروح الى بابك اما لك مغزل يشغلك او مصحف يذكرك ويصونك اياك ثم اياك ان تفتحي بابك لشريف اووضيع فانصرفت وهي لاتعقل

قال ابن جرير الطبري وذكر قوم ان سبب موت الهادي انه لما اخذ في خلع هرون والبيعة لابنه جعفر خافت الخيزران على هرون منه ودست من جواريها من غمه لما مرض وجلسن على وجهه ووجهت الى يحيى بن خالد ان الرجل قد توفي فاجدد فى امرك وكان الهادي قد امر ان لايسار قدام الرشيد بجنائب واجتنبه الناس وتركوه وطابت نفس هرون بالخلع لشدة خوفه على نفسه فخلعه جماعة من القواد . ودخل هرون على موسى فقال له يا هرون كأني بك تحدث نفسك بتمام الرؤيا فقال اني لارجو ان يفضي الامر الي فانصف واصل فقال له ذلك الظن بك واجلسه معه وامر له بالف دينار وكانت الرؤيا ان المهدي قال رايت فى منامي كأنى دفعت الى موسى قضيبا والى هرون قضيباً فاورق قضيب موسى من اعلاه قليلا واورق قضيب هرون من اوله الى اخره ودعا المهدى الحكم بن موسى فقال عبر هذه الرؤيا فقال يملكان جميعا فتقل ايام موسى ويبلغ هرون اخر مدى ما عاش خليفة وتكون

ايامه احسن ايام فلم يلبث الهادي الا يسيراً حتى اعتل ثلاثة ايام ومات ٠

وحكى ابو بكر الصولي قال خرجت على ظهر قدمه بثرة فصارت كاللوزة وافتصد فمات بعد ثلاث ٠ وجاءت امه الخيزران وبه رمق فاخذت الخاتم من يده وقالت اخوك احق بهذا الامر منك وهو يرى ذلك ولا يقدر على حيلة ٠ توفي بعيساباذ للنصف من ربيع الاول وقيل لثلاث عشرة بقين منه وهو ابن ست وعشرين سنة وصلى عليه اخوه هرون الرشيد ودفن بعيساباذ ٠ وكانت حلافته سنة وشهرا وثلاثة عشر يوماً

ثم دخلت سنة احدى وسبعين ومائة فيها مات المفضل بن محمد بن معلى الضبي سمع سماك بن حرب وابا اسحق السبيعي والاعمش وغيرهم وروى القراءات عن عاصم وروى عنه الكسائي والفراء وكان ورأيه للاداب وايام العرب علامة موثوقا فى روايته قال جحظة قال الرشيد للمفضل الضبي قل ما احسن ما قيل فى الذئب ولك هذا الخاتم فى يدي وشراؤه بالف وستمائة دينار قال : قول الشاعر

ينام باحدى مقلتيه ويتقي بأخرى الاعادى فهو يقظان نائم

فقال ما القى هذا على لسانك الاذهاب الخاتم ورماه اليه فاشترته ام جعفر بالف وستمائة دينار وبعثت به اليه وقالت قد كنت اراك تعجب به فالقاه الى الضبي وقال خذه وخذ الدنانير فما كنا نهب شيئاً فنرجع فيه ٠

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائة فيها ماتت الخيزران جارية المهدي اشتراها فاعتقها وتزوجها فولدت له موسى الهادي وهرون الرشيد ولم تلد امرأة خليفتين غير ثلاث نسوة هي احداهن والثانية ولادة العبسية بنت العباس زوجة عبدالملك بن مروان ام الوليد وسليمان والثالثة شاهفرند بنت فيروز بن يزدجرد ولدت للوليد بن عبدالملك يزيد وابراهيم فوليا الخلافة ٠ وقد اسندت الخيزران الحديث عن المهدي

عن ابيه عن جده عن ابيه عن ابن عباس عن النبى (صلعم) قال من اتقى الله وقاه الله

قال هرون بن عبدالله بن المأمون لما عرضت الخيزران على المهدي قال لها يا جارية انك لعلى غاية من المنى ولكنك حمشة الساقين فقالت يا امير المؤمنين انك احوج ما تكون اليهما ان لاتراهما . فقال اشتروها فحظيت عنده فأولدها موسى وهرون .

قال الواقدي دخلت على المهدي بمحبرة ودفتر وكتب عني اشياء احدثه بها ثم نهض وقال كن مكانك حتى اعود اليك ودخل دار الحريم ثم خرج متنكراً ممتلئاً غضبا فلما جلس قلت يا امير المؤمنين خرجت على خلاف الحال التي دخلت عليها . قال نعم دخلت على الخيزران فوثبت علي ومدت يدها الي وخرقت ثوبي وقالت ياقشاش واى خير رايت منك . وانما اشتريتها من نخاس ورأت مني ما رأت وعقدت لابنيها بولاية العهد ويحك وانا قشاش . قال فقلت يا امير المؤمنين قال رسول الله (صلعم) انهن يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام . وقال خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلي . وقال خلقت المرأة من ضلع اعوج ان قومته كسرته وحدثته من هذا الباب بكل ماحضرني فسكن غيظه واسفر وجهه وامر لي بالفي دينار وقال اصلح بهذه من حالك وانصرفت فلما وصلت الى منزلى وافاني رسول الخيزران فقال تقرأ عليك السلام سيدتي وتقول يا عم سمعت جميع ما كلمت به امير المؤمنين فاحسن الله جزاءك وهذه الفا دينار الا عشرة بعثت بها اليك لاني لم احب ان اساوي صلة امير المؤمنين ووجهت لي باثواب

قال ابو بكر الصولي لما ولي محمد بن سليمان البصرة اهدى الى الخيزران مائة وصيف بيد كل وصيف جام من ذهب مملوءاً مسكا فقبلت ذلك وكتبت اليه وقالت عافاك الله ان كان ما وصل الينا منك ثمن رأينا فيك فقد بخستنا فى القيمة وان كان وزن ميلك الينا فظننا بك فوقه

قال ابن الاعرابي كتب المهدي الى الخيزران وهي بمكة شرفها الله تعالى

نحن فى افضل السرور ولكن ليس الا بكم يتم السرور
ضر ما نحن فيه يا اهل ودي انكم غيب ونحن حضور
فاجدوا في السير بل ان قدرتم ان تطيروا مع الرياح فطيروا

فاجابته

قد اتانا الذي وصفت من الشوق فكدنا وما قدرنا نطير
ليت ان الرياح كن يؤدين اليكم ما قد يجن الضمير
لم ازل صبة فان كنت بعدي في سرور فدام ذاك السرور

وتوفيت الخيزران ليلة الجمعة لثلث بقين من جمادى الاخرة هذه السنة ودفنت فى مقابر قريش

قال يحيى بن الحسن ان اخاه حدثه قال رأيت الرشيد يوم ماتت الخيزران وعليه طيلسان ازرق قد شد وسطه وهو اخذ بقائم السرير حافياً يعدو في الطين حتى اتى مقابر قريش فغسل رجليه ودعا بخف فصلى عليها ودخل قبرها فلما خرج من المقبرة وضع له كرسي فجلس عليه ودعا الفضل بن الربيع وقال وحق المهدي اني لاهم بالشيءلك من الليل التوليه وغيرها فتمنعني امي فاطيع امرها فخذ الخاتم من جعفر وانصرف الرشيد من جنازتها يتمثل بقول متمم بن نويرة •

وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهرحتى قيل لن يتصدعا
وعشنا بخير فى الحياة وقبلنا اصاب المنايارهط كسرى وتبعا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وكانت غلة الخيزان مائتي[1] الف الف وستين الفا الا درهم فاتسع الرشيد بغلتها واقطع الناس ضياعها •

وفيها ماتت غادر جارية الهادي • حكى جعفر بن قدامة قال كان لموسى الهادي جارية يقال لها غادر وكانت من احسن النساء وجهاً وغناء وكان يحبها حبا شديدا فبينما هي تغنيه يوماً عرض له فكر وسهو تغير له لونه فسئل عن ذلك فقال وقع في فكري اني اموت وان اخي

---

(١) يبعد كثيراً ان تكون غلتها بهذا المقدار العظيم

هرون يلي الخلافة بعدي ويتزوج جاريتي هذه فقيل له نعيذك بالله وتقدم الكل قبلك فأمر باحضار اخيه وعرفه ما خطر له فاجابه بما يوجب زوال هذا الخاطر فقال لا ارضى حتى تحلف لي ان متى مت لم تتزوجها فاحلفه واستوفى عليه الايمان من الحج راجلا وطلاق الزوجات وعتق المماليك وتسبيل ما يملكه ثم نهض اليها فاحلفها مثل ذلك لبث الا نحو شهر حتى توفي وولي الرشيد فبعث يخطب الجارية فقالت فكفر يميني فقال اكفر عن الكل واحج راجلا فتزوجها وزاد شغفه بها على شغف اخيه حتى انها كانت تضع رأسها فى حجره وتنام فلا يتحرك حتى تنتبه فبينما هي ذات يوم على ذلك انتبهت فزعة تبكي فسألها عن ذلك فقالت رأيت اخاك الساعة وهو يقول

اخلفت وعدي بعد ما جاورت سكان المقابر
ونسيتني وحنثت فى ايمانك الكذب الفواجر
ونكحت غادرة اخي صدق الذي سماك غادر
امسيت فى اهل البلى وغدوت فى الحور الغرائر
لايهنك الالف الجديد ولاتدر عنك الدوائر
ولحقت بي قبل الصباح وصرت حيث غدوت صائر

والله ياامير المؤمنين فكأني اسمعها وكانما كتبها في قلبي فما انسيت منها كلمة . فقال الرشيد لها اضغاث احلام فقالت كلا . ثم لم تزل تضطرب وترتعد حتى ماتت بين يديه وفيها ماتت هيلانة جارية الرشيد . قال الاصمعي ان الرشيد شديد الحب لهيلانة وكانت ليحيى بن خالد فاستوهبها منه حتى غلبت على قلبه فكانت تكثر ان تقول هي لانه فسماها هيلانة . فاقامت عنده ثلاث سنين ثم ماتت فوجد عليها وجداً شديداً وانشد

قد قلت لما ضمنوك الثرى وجالت الحسرة فى صدري
روحي فلاوالله لاسرني بعدك شيء آخر الدهر

وامر الرشيد العباس بن الاحنف ان يرثيها فقال فيها

يامن تباشرت القبور بموتها قصد الزمان مضرتي فرماك

ابغي الانيس فلا ارى لي مؤنساً		الا التردد حيث كنت اراك
ملك بكاك وطال بعدك حزنه		لو يستطيع بملكه لفداك
يحمي الفؤاد عن النساء حفيظة		كي لا يحل حمى الفؤاد سواك

فامر له باربعين الف درهم لكل بيت عشرة الاف درهم وقال لو زدت لزدناك

ثم دخلت سنة اربع وسبعين ومائة فيها حج الرشيد وبدأ بالمدينة فقسم فى اهلها مالا عظيما ووقع الوباء في هذه السنة بمكة شرفها الله تعالى فابطأ عن دخولها فقضى طوافه وسعيه ولم يزل بمكة وفيها مات منصور مولى عيسى بن جعفر ولقبه زلزل فغلب عليه ونسي اسمه وكان يضرب بالعود فضرب به المثل • وعمل ببغداد بركة للسبيل وكان يضرب بها المثل وانشد نفطويه لنفسه

لو ان زهيراً وامرأ القيس ابصرا		ملاحة ما تحويه بركة زلزل
لما وصفا سلمى ولا ام سالم		ولا اكثرا ذكر الدخول فحومل

ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائة • فيها عقد الرشيد لابنه محمد الامين بعده بولاية العهد واخذ له البيعة على القواد والجند ببغداد وسماه الامين وله يومئذ خمس سنين فقدمه على المأمون والمأمون اكبر منه لاجل امه زبيدة

وكان الرشيد يقول والله اني لاتعرف في عبدالله يعني المأمون حزم المنصور ونسك المهدي وعزة نفس الهادي فلو اشاء ان انسبه الى الرابعة فى لنسبته • اني لارضى سيرته واحمد طريقته واستحسن سياسته وارى قوته وذهنه وآمن ضعفه ووهنه واني لاقدم محمدا عليه واعلم انه منقاد لهواه متصرف في طريقه مبذر لما حوته يده مشارك للنساء والاماء في رأيه ولولا ام جعفر وميل بني هاشم اليه لقدمت عبدالله عليه • ثم جعل يرى فضل المأمون وعقله فندم على تقديم محمد فقال

لقد بان وجه الرأي بي غير انني		غلبت على الرأي الذي كان احزما

وكيف يرد الدر فى الصرع بعدما توزع حتى صار نهباً مقسما
اخاف التواء الامر بعد استوائه وان ينقض الحبل الذي كان ابرماً

ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائة • قال الصولي فى هذه السنة بايع الرشيد لابنه عبدالله المامون بالعهد بعد الامين وسماه المأمون وولاه المشرق كله وكتب بينهما كتابا وعلقه فى البيت الحرام

وفيها مات ابراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة ابو اسحق الفهري المديني وهو شاعر مفلق فصيح مسهب مجيد ادرك دولة الامويين والهاشميين وكان ممن اشتهر بالانقطاع الى الطالبيين

قال ابراهيم بن عرفة تحول المنصور الى مدينة السلام ثم كتب الى اهل المدينة ان يوفدوا عليه خطباءهم وشعراءهم وكان ممن وفد عليه ابراهيم بن هرمة قال فلم يكن فى الدنيا خطبة ابغض الى من خطبة تقربني منه واجتمع الخطباء والشعراء من كل مدينة وعلا المنصور سريره والناس من ورائه ولا يرونه • وابو الخصيب حاجبه قائم يقول هذا فلان شاعر فيقول حتى كنت اخر من بقي فقال يا امير المؤمنين هذا ابن هرمة • فسمعته يقول لا مرحبا ولا اهلا ولاانعم الله به عيناً • فقلت انا لله وانا اليه راجون ذهبت والله نفسي • ثم رجعت الى نفسي فقلت يا نفس هذا موقف ان لم تشتدي فيه هلكت • فقال ابو الخصيب انشد فانشدت حتى اتيت الى قولي

فأم الذي امنته تأمن الردى وأم الذي حاولت بالثكل ثاكل

فقال يا غلام ارفع عني الستر فرفع فاذا وجهه كأنه فلقة قمر ثم قال تمم القصيدة • فلما فرغت قال ادن فدنوت ثم قال اجلس فجلست وبين يديه مخصرة فقال يا ابرهيم قد بلغتني عنك اشياء لولا ذلك لفضلتك على نظرائك فاقر بذنوبك اعفها عنك • فقلت هذا رجل فقيه عالم وانما يريدان يقتلني بحجة تجب علي • فقلت يا امير المؤمنين كل ذنب بلغك مما عفوت عني فانا مقر به فتناول المخصرة فضربني بها فقلت

اصبر من ذي ضاغط عر كرك القى بواني زوره للمبرك

ثم ضربني ثانية فقلت

اصبر من عود بجنبيه جلب قد اثر البطان فيه للحقب

فقال: قد امرت لك بعشرة الاف درهم وخلعة والحقتك بنظرائك من طريح بن اسمعيل ورؤبة بن العجاج ولئن بلغني عنك امر اكرهه لاقتلنك قلت نعم انت فى حل وسعة من دمي ان بلغك امر تكرهه ٠ قال ابن هرمة فاتيت المدينة فاتاني رجل من الطالبيين فسلم علي فقلت تنح عني لاتشيط بدمي

وفيها مات صالح بن بشر ابو بشر القارىء المعروف بالمري من اهل البصرة وكان مملوكا لامرأة من بنى مرة بن الحرث٠حدث عن الحسن وابن سيرين وكان عبداً صالحا كثير الخوف شديد البكاء وكان يذكر ويعظ حضر مجلسه سفيان الثوري فقال هذا نذير قوم

ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائة فيها مات شريك بن عبدالله ابو عبدالله النخعي الكوفي القاضي ادرك عمر بن عبد العزيز وابا اسحق السبيعي ومنصور بن المنهمر والاعمش وخلقاً كثيراً ٠ روى عن ابن المبارك ووكيع وابن مهدي وغيرهم وهو من كبار العلماء الثقات الا ان قوماً قدحوا في حفظه ٠ قال ابن يمان لما ولي شريك القضاء اكره على ذلك فاقعد جماعة من الشرط يحفظونه ثم طاب الشيخ نفسا فقعد من نفسه فبلغ الثوري انه قعد من نفسه فجاء فتراءى له فلما رأى الثورى قام اليه فاكرمه وعظمه ثم قال يا ابا عبدالله هل من حاجة، قال نعم مسألة ٠ قال اوليس عندك من العلم ما يجزيك قال احب ان اذكرك فيها قال قل٠ قال فما تقول في امرأة جاءت فجلست على باب رجل ففتح الباب واحتملها ففجر بها لمن الحد منهما فقال له دونها لانها مغصوبة ٠ قال فانه لما كان من الغد جاءت فتزينت وتبخرت وجلست على ذلك الباب ففتح الرجل الباب فرأها فاحتملها ففجر بها لمن الحد منهما قال احدهما جميعاً لانها جاءت من نفسها وقد عرفت الخبر بالامس ٠ قال الثوري انت كان عذرك حيث كان الشرط يحفظونك اليوم اي عذر لك قال

يا ابا عبدالله اكلمك، فقال ما كان الله ليراني وانا اكلمك او تتوب • قال ووثب فلم يكلمه حتى مات وكان اذا ذكره قال اي رجل كان لو لم يفسدوه كان شريك على قضاء الكوفة فخرج يتلقى الخيزران فبلغ شاهي وابطأت الخيزران فاقام ينتظرها ثلاثا وييس خبزه فجعل يبله بالماء وياكله فقال العلاء بن النكال

فان كان الذي قد قلت حقاً   بان قد اكرهوك على القضاء
فما لك موضعاً فى كل يوم   تلقى من يحج من النساء
مقيم فى قرى شاهي ثلاثا   وما زاد سوى خبز وماء

وكان شريك القاضى لايجلس حتى يتغدى ثم ياتي المجلس فيصلي ركعتين ثم يخرج رقعة قمطره فينظر فيها ثم يدعو بالخصوم وانما كان يقدمهم الاول فالاول • فقيل لابن شريك نحب ان نعلم ما فى هذه الرقعة فنظر فيها ثم اخرجها الينا فاذا فيها • يا شريك بن عبدالله اذكر الصراط وحده • ياشريك ابن لاعبدالله اذكر الموقف بين يدى الله تعالى• وتوفي شريك بالكوفة يوم السبت غرة ذى القعدة هذه السنة •

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائة فيها فوض الرشيد اموره الى يحيى بن برمك

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائة وفيها مات اسمعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة ابو هاشم الحميري تلقب بالسيد وكان شاعراً مجيداً وكان يقول بامامة محمد بن الحنفية ويقول انه مقيم بجبل رضوى وانه لم يمت وقال في ذلك

الا قل للوصي فدتك نفسي   اطلت بذلك الجبل المقاما
اضر بمعشر وآلوك منا   وسموك الخليفة والاماما
وعادوا فيك اهل الارض طراً   مقامك فيهم ستين عاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت   ولاوارت له ارض عظاما
لقد امسى بمورق شعب رضوى   تراجعه الملائكة الكراما
هدانا الله اذ حرتم لامر   به ولديه نلتمس التماما

تمام امامة المهدي حتى يروارایاتنا تترى نظاما

وكان الحميري يشرب الخمر ويقول بالرجعة قال له رجل تعطيني دينارا بمائة دينار الى الرجعة قال نعم ان وثقت لي بمن يضمن لي انك ترجع انساناً انما اخشى ان ترجع كلباً او خنزيراً فيذهب مالي

وفيها مات مالك بن انس بن ابي عامر بن الحرث بن غمان بالغين المعجمة بن عمرو بن الحرث وكان طوالا عظيم الهامة اصلع شديد البياض الى الشقرة ابيض الرأس واللحية رأى خلقا من التابعين وروى عنهم وكان ثقة حجة يلبس الثياب العدنية الجياد وكان نقش خاتمه . حسبي الله ونعم الوكيل .فقيل له لم نقشت هذا فقال سمعت الله تعالى يقول عقيب هذه الاية فانقلبوا بنعمة من الله . وكان اذا دخل بيته فادخل رجله قال ما شاء الله وقال سمعت الله يقول ولولا اذدخلت جنتك قلت ما شاء الله قال مالك بن انس ما افتيت حتى شهد لي سبعون اني اهل لذلك وروي ان الرشيد حج وجعل طريقه على المدينة فقال هل بقي احد من الصحابة قالوا لافنوا فقال من هاهنا من العلماء التابعين فقيل مالك بن انس الاصبحي وقد جمع كتابا فيه السنن والفرائض قال فليأتني بكتابه . فقيل له ان امير المؤمنين يطلب ان تحضره كتابك الذي جمعت فقال لا افعل فقيل له هذا رجل جبار ونخاف عليك منه فقال ان كان ولابد فانني اذل نفسي ولا اذل علمي . فاتى امير المؤمنين فاكرمه واعظمه ورفع مجلسه ثم قال نريد يا ابا عبدالله ان تقف على كتابك الذي فيه الفرائض والسنن فقال يا امير المؤمنين حدثني نافع عن ابن عمر عن النبي (صلعم) قال ان الملائكة تضع اجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع فامش ولاتركب فمشى الرشيد معه راجلا الى منزل مالك فاجلسه على اديم ثم دخل فنص منصته ثم اذن فدخل فاجلسه معه على منصته فقال حدثني نافع عن ابن عمر عن النبي (صلعم) انه قال ان العالم اذا تخصص لاينتفع به الخاص ولا العام وهذا يا امير المؤمنين كتاب قد جمعت فيه الفرائض والسنن فناد فى الناس فليحضر

من احب ان يسمعه • فنادى المنادى فيهم فحضر الناس حتى اذا اخذوا مجالسهم قال الرشيد حدثنا يا ابا عبدالله فقال حدثني نافع عن ابن عمر عن النبي (صلعم) انه قال من تواضع للعلم رفعه الله فانزل يا امير المؤمنين واجلس مع الناس ففعل فحدث ما لك بالكتاب فلما انتهى قال يا امير المؤمنين اصعد الي فلما صعد قال ما سميت هذا الكتاب قال سميته الموطا لانك

توطأت انا فشكره ونهض فانفد له خمسمائة دينار وبغلا وفرسا وحمارا فقبل المال ورد الدواب وقال ما كنت لاركب دابة في تربة النبي (صلعم) مدفون في ترابها فلما حج الرشيد اجتمع بسفيان بن عيينة وسمع منه فلما عاد الى بغداد قال توطأنا لمالك فانتفعنا بعلمه ورحم الله سفيان • وقال مالك عند الموت بعد ما تشهد • لله الامر من قبل ومن بعد وتوفي سنة تسع وسبعين ومائة في خلافة الرشيد وصلى عليه والي المدينة عبدالله بن محمد ودفن في البقيع وهو ابن خمس وثمانين سنة

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائة فيها مات عافية بن يزيد بن قيس القاضي • ولاه المهدي القضاء ببغداد في الجانب الشرقي وحدث عن محمد بن عبدالرحمن بن ابي ليلى والاعمش وغيرهما وكان من اصحاب ابي حنيفة الذين يجالسونه وكان اصحابه يخوضون في مسألة فان لم يحضر عافية قال ابو حنيفة لاترفعوا المسئلة حتى يحضر عافية فاذا حضر فان وافقهم قال ابو حنيفة اثبوتها وان لم يوافقهم قال ابو حنيفة لاتثبوها • وكان عافية هو وابن علاثة فكانا يقضيان في عسكر المهدي

في جامع الرصافة هذا في ادناه وهذا في اعلاه وكان عافية عالما زاهدا فصار الى المهدي وقت الظهر في يوم من الايام وهو خال فاستأذن عليه فادخله فاذا معه قمطره فاستعفاه من القضاء واستأذنه في تسليم القمطر الى من يأمر بذلك • فظن ان بعض الاولياء قد غض منه او اضعف يده في الحكم فقال له في ذلك فقال ما جرى من هذا شيء قال

فما كان سبب استعفائك قال يتقدم الي خصمان موسران وجيهان منذ شهرين في قصة معضلة مشكلة كل يدعي بينة وشهوداً ويدلي بحجج تحتاج الى تامل وتلبث فرددت الخصوم رجاء ان يصطلحوا اويعن لي وجه ما بينهما قال فوقف احدهما من خبري اني احب الرطب بالسكر فعمد فى وقتنا وهو اول اوقات الرطب الى ان جمع رطبا سكرا لايتهيأ فى وقتنا جمع مثله اواحسن منه لامير المؤمنين ورشا بوابي جملة دراهم على انه يدخل الطبق على فانكرت وطردت بوابي وامرت برد الطبق فرد فلما كان اليوم تقدم الي مع خصمه فما تساويا في قلبي ولا في عيني وهذا يا امير المؤمنين ولم اقبل فكيف يكون حالي لو قبلت ولا آمن ان تقع علي حيلة فى دينى فاهلك • وقد فسد الناس فاقلنى اقالك الله واعفني فاعفاه •

قال ابن الاعرابي خاصم ابو دلامة رجل الى عافية القاضي فقال

لقد خاصمتني غواة الرجال وخاصمتهم سنة وافيه
فما ادحض الله لى حجة وما خيب الله لى قافيه
فمن كنت من جوره خائفاً فلست اخافك يا عافيه

فقال له عافية لاشكونك الى امير المؤمنين قال لم تشكوني قال لانك هجوتني قال والله لئن شكوتني اليه ليعزلنك قال ولم قال لانك لاتعرف الهجاء من المدح •

وفيها مات عمرو بن عثمان بن قنبر ابو بشر المعروف بسيبويه النحوى مولى بني الحرث بن كعب وقيل مولى آل الربيع بن زياد وتفسير سيبويه رائحة التفاح وكانت والدته ترقصه فى الصغر بذلك •قال ابراهيم سمى سيبويه لان وجنتيه كانتا كانهما تفاحتان وكان قد صحب المحدثين والفقهاء وتطلب الاثار وكان يشتمل عليه حماد بن سلمة فلحن في حرف فعابه حماد فانف من ذلك ولزم الخليل فبرع فى النحو وقدم بغداد وناظر الكسائي • قال ابو سعيد السيرافي اخذ سيبويه

اللغات عن ابي الخطاب الاخفش وغيره وعمل كتابه الذى لم يسبقه احد الى مثله ولا يلحق به من بعده وكان كتابه بشهرته عند النحويين علماً • فكان يقال فى البصرة قرأ فلان الكتاب فيعلم انه كتاب سيبويه قال ابو بكر لما قدم سيبويه بغداد ناظر الكسائي واصحابه فلم يظهر عليهم فسأل عمن يبذل الملوك ويرغب فى النحو فقيل[1] طلحة بن طاهر فشخص اليه الى خراسان فلما انتهى الى ساوة مرض مرضه الذى مات فيه فتمثل عند الموت بقول الشاعر

يؤمل دنيا لتبقى له　　فمات المؤمل قبل الامل
حثيثاً يروي اصول الفسيل　　فعاش الفسيل ومات الرجل

ولما احتضر سيبويه وضع رأسه فى حجر اخيه فاغمي عليه فدمعت عين اخيه فأفاق فرآه يبكي فقال

وكنا[2] جميعا فرق الدهر بيننا　　الى الامد الاقصى ومن يأمن الدهرا

قال الخطيب ويقال ان سنه كان اثنتين وثلاثين سنة

ثم دخلت سنة احدى وثمانين ومائة فيها غزا الرشيد ارض الروم فافتتح بها عنوة حصن الصفصاف فقال فيه مروان بن ابى حفصة •

ان امير المؤمنين المصطفى　　قد ترك الصفصاف قاعا صفصفا

وفيها مات ابن المبارك وهو عبدالله بن المبارك ابو عبد الرحمن الرفدي مولي بنى حنظلة كان ابوه تركيا عبدا لرجل من التجار فى همذان من بني حنظلة وكان عبدالله اذا قدم همذان يخضع لوالديه ويطعمهما وكانت امه خوارزمية ولد سنة ثمان عشرة ومائة وسمع هشام بن عروة واسمعيل بن ابي خالد والاعمش وسليمان التيمي وحميدا الطويل ومالكا وابن عون والثوري والاوزاعي وغيرهم وكان

---

(١) يروى : احيين كنا فرق الدهر بيننا

(٢) هذا وهم عجيب فان سيبويه مات زمن الرشيد وطلحة بن طاهر ولي خراسان بعد ابيه واخيه عبدالله اللذين ولاهما اياها المأمون فكيف يقصد طلحة بن طاهر ، وسنه اثنتان وثلاثون سنة وقد قرأ على الخليل بن احمد

من ايمة المسلمين والموصوفين بالحفظ والفقه والعربية والزهد والكرم والشجاعة وله التصانيف الحسان والشعر المتضمن الزهدوالحكمةوكان من اهل المعرفةوالمرابطة وكان ابن عيينةيقول نظرت في امر الصحابة وامر ابن المبارك فما رايت لهم عليه فضلا الا بصحبتهم لرسول الله (صلعم) • قال اسمعيل بن عياش ما على وجه الارض مثل عبد الله بن المبارك •ولا اعلم ان الله لم يخلق خصلة من خصال الخير الا وقد جعلها فيه • ولقد حدثني اصحابي انهم صحبوه من مصر الى مكة شرفها الله تعالى فكان يطعمهم الخبيص وهو الدهر صائم قال الحسن بن عرفة قال ابن المبارك استعرت قلما بارض الشام فذهبت على ان ارده لصاحبه فلما قدمت مرو نظرت فاذا هو معي فرجعت يا ابا علي الى الشام حتى رددته الى صاحبه • واشتهى مرة جارية وكان يشكو العزوبة فلما استبرأها ودخل بها لم يمسها • فقيل له انت تشكو العزوبة ولاتمسها فقال اني لماخلوت بالجارية تذكرت اخواني فقلت ماكنت لانال شهوة لاينالونها وليس في يدي ما يسعهم فاخرج الجارية فباعها وفي هذا المعنى قال الشاعر

وتركي مؤاساة الاخلاء بالذى ... تنال يدي ظلم لهم وعقوق
واني لاستحيي من الناس ان أرى ... بحال اتساع والصديق مضيق

واخبار عبدالله بن المبارك فى العلم والزهدوالورع والعفة والكرم كثيرة تجل ان تحصر فى هذا المختصر فاقتصر على القليل من ذكره •

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين ومائة فيها اخذ الرشيد البيعة لابنه المأمون بعد الامين وضمه الى جعفر بن يحيى ووجهه الى مدينة السلام وذلك بعد منصرفه من مكة شرفها الله وولاه خراسان وما يتصل بها الى همذان وسماه المأمون

وفى هذه السنة مات مروان بن ابي سليمان بن يحيى بن ابي حفصة ابو الهيذام وكان ابو حفصة من سبي اصطخر سبي غلاما فاشتراه عثمان بن عفان فوهبه لمروان بن الحكم فاعتقه يوم الدار لانه ابلى بلاء حسنا • وقيل ان ابا حفصة كان طبيبا يهوديا اسلم على يد

عثمان بن عفان وقيل على يد مروان.وكان مروان بن ابي سليمان شاعرا مجيداً ومدح المهدي والهادي والرشيد ومعن بن زائدة . قال الكسائي كان الشعر سقاء يمخض فدفعت الزبدة الى مروان بن ابي حفصة . قال الفضل بن الربيع رأيت مروان بن ابي حفصة قد دخل على المهدي بعد موت معن بن زائدة فمدحه بابيات فقال من انت قال شاعرك مروان بن ابي حفصة فقال له الست القائل

اقمنا باليمامة بعد معن مقاماً لانريد به زيالا
وقلنا اين نذهب بعد معن وقد ذهب النوال فلا نوالا

قد جئت تطلب نوالنا لاشيء لك عندنا.جروا برجله فجروا برجله حتى اخرج فلما كان العام المقبل تلطف حتى دخل مع الشعراء وانما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء فى كل عام مرة فمثل بين يديه فانشده.طرقتك زائرة فحي خيالها . الى قوله

شهدت من الانفال اخر اية بتراثهم فاردتم ابطالها

فجعل المهدي يتزاحف عن مصلاه اعجاباً بقوله . ثم قال كم هي بيتا فقال مائة بيت فأمر له بمائة الف درهم . فلما افضت الخلافة الى الرشيد انشده . فقال ألست القائل فى معن كذا وكذا ثم امر باخراجه فتلطف حتى عاد ودخل بعد يومين فانشده قصيدة فامر له بعدد ابياتها الوفاً . وخرج مروان من دار المهدي ومعه ثمانون الف درهم . فمر بزمن فسأله فاعطاه ثلثى درهم فقيل له هلا اعطيته درهما فقال لو تمموها مائة الف لاعطيته درهماً تماما . وكان مروان بخيلا لايسرج له فى داره فاذا اراد ان ينام اضاءت له الجارية بقصبة الى ان ينام . وكان المهدي يعطي ابن ابي حفصة وسلم الخاسر عطية واحدة وكان سلم يأتى باب المهدي على برذون قيمته عشرة الاف درهم ولباسه الخز والوشي والطيب يفوح منه .وكان مروان يجى عليه فرو وقميص كرابيس وكساء غليظ وكان لايأكل اللحم بخلا حتى يقرم اليه فاذا قرم اليه ارسل غلامه فاشترى له رأساً فقيل له نراك لا تاكل الا الرأس . فقال الراس اعرف

سعره فامن من خيانة الغلام وليس بلحم يطبخه فيقدر ان ياكل منه واكل من الراس الوانا من عينيه لوناواذنه لونا وغلصومه لوناودماغه لونا واكفى مؤنة طبخه فقد اجتمعت لي فيه مرافق

وفى هذه السنة مات يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن جنبة الانصارى وسعد جده من الصحابة عرض على رسول الله (صلعم) يوم احد قال فاستصغره وجنبة امه وابوه بجير بن معاوية ويكني يعقوب ابا يوسف القاضي وهو صاحب ابي حنيفة • سمع ابا اسحق الشيباني وسليمان التيمى ويحيى بن سعيد والاعمش وهشام بن عروة وابن اسحق وروى عنه محمد بن الحسن وعلى بن الجعد واحمد بن حنبل ويحيى بن معين وسكن بغداد وولاه الهادي القضاء ثم الرشيد وهو اول من دعي بقاضي القضاة في الاسلام • وكان يتردد الى ابي حنيفة وهو فقير فنهاه ابوه عن ذلك فانقطع فلما رآه ابو حنيفة سأله عن انقطاعه فاخبره فاعطاه مائة درهم فقال استنفع بهذه فاذافنيت فاخبرني فكان يتعاهده • وروى ان اباه مات وخلفه طفلا وان امه هي التي انكرت عليه ملازمة ابي حنيفة • قال يعقوب توفي والدي وخلفني صغيراً في حجر امي فاسلمتني الى قصار اخدمه فكنت ادع القصار وامضي الى حلقة ابي حنيفة فاجلس وكانت امي تجىء خلفي فتأخذ بيدي وتذهب بي الى القصاروكان ابو حنيفة يعنى بي لما يرى من حرصى على التعلم فلما كثر ذلك على امي قالت لابي حنيفة ما لهذا الصبي فساد غيرك هذا صبي يتيم لاشيء له وانا اطعمه من مغزلي وامل ان يكسب دانقا يعود به على نفسه فقال لها ابو حنيفة مري يارعناء ها هوذا يتعلم اكل الفالوذج بدهن الفستق فانصرفت وقالت له انت شيخ قد خرفت وذهب عقلك ثم لزمته فنفعني الله بالعلم ورفعنى حتى تقلدت القضاء وكنت اجالس الرشيد اكل معه على مائدته • فلما كان فى بعض الايام قدم الى الرشيد فالوذجة بدهن الفستق فضحكت فقال لي مم تضحك قلت خيرا ابقا الله امير المؤمنين • فقال لتخبرني والح علي

فاخبرته بالقصة من اولها الى اخرها فتعجب من ذلك وقال لعمري ان العلم ينفع ويرفع دنيا وآخرة وترحم على ابي حنيفة وقال كان ينظر بعين عقله ما لا يراه بعين رأسه وكان سبب اتصال ابي يوسف بالرشيد انه قدم بغداد بعد موت ابى حنيفة فحنث بعض القواد فى يمين وطلب فقهياً فجيء بابى يوسف فأفتاه انه لم يحنث فوهب له دنانير واخذ له دارا بالقرب منه واتصل به فدخل القائد يوما على الرشيد فوجده مغموما فسأله عن سبب غمه فقال شيء من امر الدين قد احزنني فاطلب لي فقيها استفتيه فجاء بابي يوسف قال ابو يوسف فلما دخلت الى ممر من الدور رأيت فتى حسنا عليه اثر الملك وهو في حجرة محبوس فاومأ الي باصبعه مستغيثا فلم افهم عنه ارادته . فادخلت الى الرشيد فلما مثلت بين يديه وسلمت عليه ووقفت وقال لي ما اسمك قلت يعقوب اصلح الله امير المؤمنين فقال ما تقول فى امام شاهد رجلا يزني . ايحده قلت لايجب ذلك . فحين قلتها سجد الرشيد . فوقع لي انه قد رأى بعض اهله على ذلك وان الذى اشار الي بالاستغاثة هو الزانى . ثم قال لي الرشيد من اين قلت هذا . قلت لان النبي (صلعم) قال ادرؤا الحدود بالشبهات وهذه شبهة يسقط الحد معها فقال واي شبهة مع المعاينة . قلت ليس توجب المعاينة لذلك اكثر من العلم بما جرى والحدود لاتكون بالعلم وليس لاحد اخذ حقه بعلمه . فسجد مرة اخرى وامر لي بمال جزيل وان الزم الدار . فما خرجت حتى جاءتني هدية الفتى وهدية امه واسبابه فصار ذلك اصلا للنعمة ولزمت الدار فكان الخادم يستفتيني وهذا يشاورني وصلاتهم تصل الي . ثم بعد ذلك استدعاني الخليفة فاستفتاني في خواص امره . فلم تزل حالي تقوى حتى قلدني قضاء القضاة . ولما مات ابو يوسف خلف مائتي سراويل من اصناف السراويلات وكل سراويل بتكة ارمني تساوي دينارا وبلغ من محله عند الرشيد انه طلبه يوماً فجاء وعليه بردة فقال الرشيد

جاءت به متعجرا ببرده   سفواء تمشي بنسيج وحده

قال ابو يوسف العلم شيء لايعطيك بعضه حتى تعطيه كلك وانت اذا اعطيته كلك فأنت من عطائه البعض علىغرر وكان ابو حنيفة يشهد لابي يوسف انه اعلم الناس • وقال المزني ابو يوسف اتبعهم للحديث • فقال ابو يوسف سألني الاعمش عن مسألة فاجبته فيها • فقال لي من اين قلت هذا فقلت لحديثك الذى حدثتنا انت • ثم ذكرت الحديث •فقال لي يا يعقوب اني لاحفظ هذا الحديث قبل ان يخرج ابوك فما عرفت تأويله حتى الان

واخبار ابى يوسف القاضى كثيرة لا يحصى استقصاؤها في امور الدين والقضاء • فمنها ما حكاه بنفسه قال لما وليت القضاء وانغمست فيه وليس فى قلبي منه شيء • وارجو ان لا يسألني الله عن جور ولا ميل مني الى احد • الا يوماً واحداً فانه يقع في قلبي منه شيء • قالوا وما هو قال جاءني رجل فقال ان لي بستانا قد اغتصبني اياه امير المؤمنين فقلت في يدمن هو الان فقال فى يدامير المؤمنين فقلت ومن يقوم بعمارته ومصلحته قال امير المؤمنين فاخذت قصته ودخلت • فقلت يا امير المؤمنين ان لك خصما بالباب قد ادعى كيت وكيت • فقال هذا البستان اشتراه لي المهدي • قلت يا امير المؤمنين ان رأيت ان ندعو بخصمك حتى اسمع منكما • قال فدعي به فادخل فادعى فقلت يا امير المؤمنين ما تقول فيما يدعي فقال البستان لي وفي يدي اشتراه لي المهدي قلت يا رجل •ما تشاء • قال خذ لي يمينه • قلت اتحلف يا امير المؤمنين قال لا • قلت يا امير المؤمنين اعرض عليك ثلاثا فان حلفت والا حكمت عليك بهذا البستان فان رأيت ان تأمر بتسليمه اليه • قال لا اسلم قلت يا رجل تعود عليه فى مجلس اخر • قال افعل • قلت يا امير المؤمنين بالحبس يعرض فامر له به فاخرج • فقال الفضل بن الربيع والله ما رأيت مجلسا قط الا وهذا احسن منه • فقلت يا امير المؤمنن ان رأيت ان يتم حسن هذا المجلس برد هذا البستان • قيل له فاي شيء فى قلبك • قال جعلت احتال فى صرف الخصومة والقضية عن امير

المؤمنين ولم اسأل ان يقعد مع خصمه او يأذن لخصمه ان يقعد معه على السرير . قال حماد بن اسحق الموصلي حدثني ابي قال حدثني بشر بن الوليد وسألته من اين جاء قال كنت عند ابي يوسف القاضي وكنا فى حديث ظريف فقلت له حدثني به فقال لي يعقوب بينا انا البارحة قداويت الى فراشي فاذا داق يدق الباب دقا شديدا . فاخذت علي ازاري وخرجت فاذا هرثمة بن اعين . فسلمت عليه فقال اجب امير المؤمنين فقلت يا ابا حاتم لي بك حرمة وهذا وقت كما ترى فان امكنك ان تدفع ذلك الى الغد . فقال مالي الى ذلك من سبيل . قلت كيف كان السبب قال خرج الي مسرور الخادم فامرني ان اتي بك امير المؤمنين . فقلت اتأذن لي ان اصب على ماء واتحنط فان كان امرا كنت قد احكمت شأني وان رزق الله العافية فلن يضر . فاذن لي فدخلت فلبست ثيابا جددا وتطيبت بما امكن من الطيب . ثم خرجنا فمضينا حتى اتينا دار الرشيد فاذا مسرور الخادم فقال له هرثمة قدجئت به فقلت لمسرور ياابا هاشم . خدمتي وهذا وقت ضيق فتدري لم طلبني امير المؤمنين قال لا . قلت فمن عنده قال عيسى بن جعفر . قلت ومن قال ماعندهما ثالث فقال مر فاذا صرت فى صحن الحجرة فانه في الرواق فحرك رجلك . بالارض فانه سيسألك فقل انا مجيب . ففعلت فقال من هذا قلت يعقوب . قال ادخل فدخلت فاذا هو جالس وعن يمينه عيسى ابن جعفر فسلمت فرد السلام وقال اظننا روعناك قلت اي والله . وكذلك من خلفي . قال اجلس فجلست حتى سكن روعي . ثم التفت الي فقال يايعقوب تدري لم دعوتك فقلت لا . قال دعوتك لاشهدك على هذا . ان عنده جارية سألته ان يهبها لي فامتنع وسألته ان يبيعها فامتنع والله لئن لم يفعل لاقتلنه . فالتفت الى عيسى وقلت . وما بلغ الله بجارية تمنعها امير المؤمنين وتنزل نفسك هذه المنزلة . فقال لي عجلت في القول قبل ان تعرف ما عندي . فقلت وما في هذا من الجواب فقال ان علي يمينا بالطلاق والعتاق وصدقة ما املك ان لا ابيع هذه الجارية ولا اهبها .

فالتفت الي الرشيد فقال هل لك في ذلك من مخـــرج • قلت نعـــم يهبك نصفها ويبيعك نصفها فيكون لم يبع ولم يهب قال ويجوز ذلك قلت نعم قال فأشهدك ان قد وهبته نصفها وبعته نصفها الباقي بمائـــة ألف دينار فقـــال علي بالجارية وبالمـــال • فأتي بالجارية وبالمال • فقـــال خـذها بارك الله لك فيها • ثم قال الرشيد يا أبا يوسف بقيت واحدة قلت وما هي قال هي مملوكة ولا بـد أن تستبرأ • ووالله لئن لم أبت ليلتي معهـــا اني لاظن أن نفسـي ستخرج • قلت يا أمير المؤمنين تعتقها فتتزوجها فان الحرة لا تستبرأ قـــال اشـهدوا اني قـد أعتقتها فمن يزوجنيها • قلت أنا فدعى بمسرور وحسن • فخطبت وحمدت الله ثم زوجته على عشرين ألف دينار ودعي بالمال فدفعـــه اليها • ثم قال لي يا أبا يوسف انصرف ورفـــع رأسه الى مسرور فقـــال يا مسرور قال لبيك يا أمير المؤمنـين قال احمـــل الى يعقـوب مائتي ألف درهم وعشرين تختا ثيابا فحمل ذلك معي فقال بشر بن الوليـــد فالتفت الي يعقوب فقال هل رأيت بأسا بما فعلت قلت لا قال فخذ منها حقك قلت ومـــا حقي قال العشر • قال فشكرته ودعـوت له فذهبت لاقوم فاذا بعجوز قـــد دخلت فقالت يا أبا يوسف بنتك تقريك الســـلام وتقـول لك والله ما وصل الي في ليلتي هذه من أمير المؤمنين الا المهر الذي قـــد عرفت وقـد حملت اليك النصف منه وخليت الباقي لما أحتاج اليه فقال رديـه فوالله لا أقبـــله أخرجتها من الرق وزوجتها من أمير المؤمنين وترضى لي بهذا فلم نـــزل به أنا وعمومتي حتي قبل وأمر لي بألف دينار •

وفي هذه السنة مات يعقوب بن داود بن طهمان أبو عبدالله مولى عبدالله ابن خازم السلمي استوزره المهدي وقرب من قلبه وغلب عـــلى أمره ثم انه أمره بقتل بعض العلويين فقال قد فعلت ولم يفعـــل فحبسه الى أن أخـرجه الرشيد • قال عبدالله بن يعقوب بن داود قال لي أبي حبسني المهدي في بئـر وبنيت علي قبة فمكثت فيها خمس عشرة سنة حتي مضى صدر من خلافـــة الرشيد • وكان يدلى الي في كل يوم رغيف خبز وكوز من المـــاء واوذن

بأوقات الصلوات فلما كان في رأس ثالث عشرة سنة أتاني آت في منـــامي فقـــال :

حنا على يوسف المولى فأخرجه   من قعر جب ببيت حوله غمم

قال فحمدت الله وقلت أتى الفـــرج فمكثت حولا لا أرى شـــيئا ثـم أتاني ذلك الاتي بعد الحول فقال :

عسى فـــرج يأتي به الله انه   له كل يـــوم في خليقته أمـــر

قال ثم أقمت حولا لا أرى شيئا • ثم أتاني ذلك الاتي بعـــد الحـــول فقـــال :

عسى الكرب الذي أمسيت فيـــه   يكون وراءه فـــرج قـــريب

فيأمـــن خائف ويفـــك عـــان   ويأتي أهلـــه النائي الغـــريب

فلما أصبحت نوديت وظننت اني اوذن بالصـــلاة • فدلي لي حبل أسود وقيل اشدد به وسطك ففعلت فأخرجوني فلما قابلت الضـــوء عشي بصري فانطلقوا بي فأدخلوني على الرشيد فقيـــل لي ســـلم على أمـــير المؤمنين فقلت السلام عليك يا أمير المؤمنين المهدي ورحمـــة الله وبركاته • فقـــال لست به • فقلت السلام عليك يا أمـــير المؤمنين الهادي ورحمة الله وبركاته فقال لست به فقلت السلام عليك يا أمير المؤمنين الرشيد ورحمة الله وبركاته فقـــال لي يا يعقـــوب والله ما شفع فيك الي أحد غـــير اني حملت الليلـــة صبية لي على عنقي فذكرت حملك اياي على عنقك فرثيت لك من المحـــل الذي كنت فيه فأخرجتك • قال وأكرمني وقـــرب مجلسي ثم ان يحيي بن خالد تنكر لي كأنه خـــاف أن أغلب عـــلى أمير المؤمنين دونـــه فخفتـــه فاستأذنت بالحج فأذن لي ولـــم يزل مقيمـــا بمكة ومـــات بهـــا في هـــذه الســـنة •

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائة فيها مات محمـــد بن صبيح أبـــو العباس المذكـــر الواعظ المعروف بابن السماك • ســـمع هشـــام بن عروة واسماعيل بن أبي خالـــد والاعمش وسفيان الثوري وغيرهم وروى عنـــه حسين الجعفي وأحمد بن حنبل وله مواعظ حســـان كثـــيرة ومقامـــات

عظيمة • قال المغيرة بن شعيب حضرت يحيي بن خالد وهو يقول لابن السماك اذا دخلت على أمير المؤمنين الرشيد فاوجز ولا تكثر عليه • فلما دخل عليه قام بين يديه وقال يا أمير المؤمنين ان لك بين يدي الله تعالى مقاما وان لك من مقامك منصرفا فانظر الى أين تنصرف الى الجنة أم الى النار • قال فبكي هرون الرشيد بكاء شديدا حتي أغمي عليه • وفيها مات ابن السماك بالكوفة • وفيها مات الامام موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عم ويكني بأبي الحسن الهاشمي ولد بالمدينة سنة ثمان وعشرين ومائة وولد له أربعون ولدا من ذكر وانثي وكان كثير التبعد جوادا فاذا بلغه عن رجل يؤذيه بعث اليه بألف دينار وخرج الى الصلح • وأهدى له بعض العبيد عصيدة فاشترى الضيعة التي فيها العبد بألف دينار وأعتقه ووهبه الضيعة وأقدمه المهدي بغداد ثم رده الى المدينة لمنام رآه • فقال الربيع لما حبس المهدي موسى بن جعفر عم رأى المهدي في النوم علي بن أبي طالب وهو يقول يا محمد هل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم قال الربيع فأرسل الي ليلا فراعني ذلك فجئته فاذا هو يقرأ هذه الآية وكان أحسن الناس صوتا وقال علي بموسى بن جعفر فجئته به فأجلسه الى جانبه وقال يا أبا الحسن رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في النوم فقرأ علي كذا فتؤمنني من أن تخرج علي أو على أحد من ولدي قال والله لا فعلت ذلك ولا هو من شأني قال صدقت • يا ربيع اعطه ثلاثة آلاف دينار ورده الى أهله في المدينة • قال الربيع فأحكمت أمره ليلا فما أصبح الا وهو في الطريق خوفا من العوائق • ثم ما زال مقيما بالمدينة الى أيام الرشيد • فحج الرشيد فاجتمعا عند قبر النبي (صلعم) فسمع منه الرشيد كلمات غيرته عليه •

قال عبدالرحمن بن صالح الازدي حج هارون الرشيد فأتى قبر النبي (صلعم) زائرا له وحوله قريش وافناء القبائل ومعه موسى بن جعفر فلما انتهي الى القبر قال السلام عليك يا ابن عم افتخارا على من حوله

فدنا موسي بن جعفر من القبر فقال السلام عليك يا أبتا فتغير وجـــه هارون وقال هذا الفخر يا أبا الحسن حقا • ثم اعتمر الرشيد في رمضان سنة تسـع وسبعين وحمل موسى بن جعفر معه الى بغداد فحبسه بها فتوفي في حبســـه فلما طال حبسه كتب الى الرشيد : انه لن ينقضي عني يـوم من البـــلاء الا انقضى عنك معه يوم من الرخاء حتى نفضي جميعا الى يوم ليس له انقضـاء يخسر فيه المبطلون • وتوفي موسى بن جعفر لخمس بقـين من رجب هـذه السنة • قال القاضي أبو محمـد الحسن بن الحسين الخلال ما أهمني أمـــر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به الا سهل الله لي ما أحب • وفيهـــا مات هشيم بن بشير بن أبي حازم واسم أبي حازم القاسم بن دينار وكنيـــة هشيم أبو معوية السلمي الواسطي بخاري الاصـل ولد سنة أربع ومائـــة وكان أبوه طباخ الحجاج بن يوسف سمع هشيم من عمر بن دينار والزهري ويونس بن عبيـــد وأيوب وابن عـون وخلق كثـــير وروى عنـــه مالك والثوري وشعبة وابن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهم • وكان من العلمـــاء الحفاظ الثقات قال أبو اسحق الحربي كن هشيم رجلا يحب العلـــم والحديث وكان أبوه صاحب صحناة وكواميخ يقال له بشير وطلب ابنه هشيم الحـــديث واشتهاه وكان أبوه يمنعه فكتب الحديث حتي جالس أبا شيبة بالفقـه فمرض هيثم فقال أبو شيبة ما فعل ذلك الفتي الذي يجيء الينا فقالوا عليل فقال قوموا بنا حتي نعوده فقام أهل المجلس يعودونه حتي صاروا الى منزل بشير ويده في الصحناة (أي الكواميخ) فقيل له الحق ابنك قـد جاء القاضي اليه يعـــوده فجاء بشير والقاضي في داره فلما خرج قال لابنه يا بني قد كنت أمنعك من طلب الحديث فأما اليوم فلا • فقد صار القاضي يجيء الى بابي فمتي أملت أنـــا هذا • ومكث هشيم يصلي الفجر بوضوء عشاء الاخرة قبل أن يموت بعشـــر سنين وتوفي ببغداد في هذه السنة في شعبان •

ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائة • فيها مات أحمـــد بن هـــارون الرشيد المسمى بالسبتي قال عبـــدالله ابن أبي الفــــرج خرجت يوما أطلب

رجلا يرم لي شيئا في الدار فذهبت فأشير الي الى رجل حسن الوجه بين يديه مر وزنبيل فقلت تعمل لي فقال بدرهم ودانق فقلت قم فعمل لي عملا بدرهم ودانق خمسة أيام فأتيت يوما آخر فسألت عنه فقيل ذاك رجل لا يرى في يوم الجمعة وانما يرى في يوم كذا فجئت في ذلك اليوم فقلت تعمل لي قال نعم بدرهم ودانق قلت بل بدرهم ولم يكن بي الدانق ولكن أحببت أن أستعلم ما عنده فلما كان المساء وزنت له درهما فقال لي ما هذا قلت درهم قال ألم أقل لك درهم ودانق اف أفسدت علي فقلت وأنا ألم أقل لك بدرهم فقال لست أخذ منه شيئا فوزنت درهما ودانقا فقلت خذ فأبى أن يأخذه وقال سبحان الله أقول لك لا أخذ فتلح علي وأبى أن يأخذه ومضى • قال فأقبلت علي أهلي وقالت فعل الله بك ما أردت ان الرجل عمل لك عملا بدراهم فأفسدت عليه • قال فجئت يوما فسألت عنه فقيل لي هو مريض فاستدللت على بيته فأتيته فاستأذنت ودخلت عليه وهو مبطون وليس في بيته شيء الا ذلك المر والزنبيل فسلمت عليه وقلت له لي اليك حاجة وتعرف ادخال السرور على قلب المؤمن وأنا أحب أن تجيء الى بيتي أداريك حتي تنصلح حالك قال وتحب ذلك قلت نعم • قال بشرائط ثلاث قلت نعم قال أن لا تعرض علي طعاما حتي أسألك واذا أنا مت تدفنني في كسائي وجبتي هذه قلت نعم قال والثالثة أشد منهما وهي شديدة قلت رضيت فحملته الى منزلي عند الظهر فلما أصبحت من الغد ناداني يا عبدالله فقلت ما شأنك قال قد احتضرت فافتح صرة على كمي قال ففتحها فاذا خاتم عليه فص أحمر فقال اذا أنا مت فخذ هذا الخاتم ثم ادفعه الى هارون الرشيد أمير المؤمنين وقل له يقول لك صاحب هذا الخاتم ويحك لا تمت على سكرتك هذه فانك ان مت على سكرتك هذه ندمت • قال فلما دفنته سألت يوم خروج هارون أمير المؤمنين وكتبت قصة وتعرضت له قال فرفعتها اليه فاوذيت أذى كثيرا شديدا فلما دخل قصره وقرأ القصة قال علي بصاحب هذه القصة قال فأدخلت عليه

وهو مغضب يقول يتعرضون لنا ويفعلون فلما رأيت غضبه أخرجت الخاتم فلما نظر الى الخاتم قال من أين لك هذا قلت دفعه الي رجل طيان فقال لي طيان وقربني منه فقلت يا أمير المؤمنين انه أوصاني بوصية اذا أوصلت اليك هذا الخاتم أن أقول يقريك صاحب هذا الخاتم السلام ويقول ويحك لا تموتن على سكرتك هذه فانك ان مت عليها ندمت • فقام على رجليه قائما وضرب بنفسه على البساط وجعل يتقلب ويقول يا بني نصحت أباك • فقلت في نفسي كأنه ابنه ثم جلس وجاءوا بالماء فمسحوا وجهه فقال كيف عرفته قال فقصصت عليه قصته من أولها الى أخرها قال فبكى وقال هذا أول مولود لي وان أبي المهدي ذكر لي زبيدة ابنة جعفر أن يزوجني بها فبصرت بامرأة فوقعت في قلبي وكانت خسيسة فتزوجتها سرا من أبي وأولدتها هذا المولود وأخذتهما الى البصرة وأعطيتها هذا الخاتم وأشياء وقلت اكتمي نفسك واذا بلغك اني قد قعدت في الخلافة فأتيني فلما قعدت في الخلافة سألت عنهما فقيل لي أنهما ماتا ولم أدر أنه باق وأين دفنته قلت يا أمير المؤمنين دفنته في مقبرة عبدالله بن مالك فقال لي اليك حاجة اذا كان بعد المغرب فقف لي بالباب حتى أنزل اليك فأخرج متنكرا الى قبره فوقفت له فخرج متنكرا والخدم حوله حتي وضع يده بيدي وصاح بالخدم فتنحوا وجئت به الى قبره فما زال ليلته يبكي الى أن أصبح ويده ورأسه ولحيته على قبره وجعل يقول يا بني لقد نصحت أباك قال فجعلت أبكي لبكائه رحمة مني له • ثم سمع كلاما فقال كأني أسمع كلاما قلت أجل أصبحت يا أمير المؤمنين قد طلع الفجر فقال لي قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم واكتب عيالك مع عيالي فان لك علي حقا بدفنك ولدي وان أنا مت أوصيت من يكون من بعدي أن يجري عليك وعلى عقبك ثم أخذ بيدي حتي اذا بلغ قريبا من القصر قال لي انظر ما أوصيتك به اذا طلعت الشمس فقف حتي أنظر اليك فأدعو بك فحدثني حديثه فقلت ان شاء الله فلم أعد اليه • وفيها مات المعافى بن عمران أبو مسعود الازدي الموصلي رحل في طلب العلم والحديث الى البلاد البغيدة وجالس العلماء

ولازم سفيان الثوري فتفقه به وتأدب بآدابه وكان يسميه الياقوتة فيقول جاء ياقوتة العلماء وصنف كتباوروى عنه ابن المبارك وبشر الحافي وكان زاهدا فاضلا عارفا عاقلا صاحب فقه وحديث • وفي هذه السنة مات يعقوب بن الربيع حاجب المنصور وهو أخو الفضل بن الربيع كان أديبا شاعرا فصيحا بليغا وأخذ من العلوم أوفى نصيب وكانت له جارية طلبها سبع سنين وبذل فيها حتى ملكها وأعطي بها مائة ألف دينار فلم يبعها ولم تمكث عنده الا ستة أشهر حتي ماتت فرثاها بمراث منها ما أنشده الاخفش :

أضحوا يصيدون الظباء وانني   لأرى تصيدها علي حراما
اشبهن منك سوالفا ومدامعا   فأري بذاك لها علي ذماما
اعزز علي بأن أروع شبهها   أو أن يذوق على يدي حماما

ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائة وفيها مات عبدالصمد بن علي بن عبدالله بن عباس ولد سنة أربع ومائة وكان عظيم الخلق وكانت فيه عجائب منها أنه حج يزيد بن معاوية ـ سنة خمسين وحج عبدالصمد سنة خمسين ومائة وكان بين حجيهما مائة سنة وهما في النسب الى عبد مناف سواء لان يزيد هو يزيد بن معاوية بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف • وعبد الصمد بن علي بن عبدالله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف والى غير ذلك من مثل هذه التواريخ في الاعمار التي تتقارب ولا حاجة في اثباتها في هذا المختصر •

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائة • قال الحسن بن الصباح الزعفراني لما قدم الشافعي الى بغداد وافق عقد الرشيد للامين والمأمون على العهد وبكر لناس ليهنوا الرشيد فجلسوا في دار العامة ينتظرون الاذن فجعل الناس يقولون كيف ندعو لهما فانا ان فعلنا ذلك كان دعاء على الخليفة وان لم ندع لهما كان تقصيرا • فدخل الشافعي فجلس فقيل له في ذلك فقال الله الموفق فلما أذن دخل الناس فكان أول متكلم الشافعي فقال :

لا قصرا عنهـا ولا بلغتهما حتى يطول على يديك طوالها

وكان القاسم بن الرشيد في حجر عبدالملك بن صالح فلما بايع الرشيد للامين والمأمون كتب اليه عبدالملك يقول :

يا أيهـا الملك الـذي لـو كان نجما كان سـعدا
اعقـد لقاسـم بيعـة واقدح له في الملك زنـدا
الله فـرد واحـد فاجعل ولاة العهـد فردا

وكان ذلك أول ما حض الرشيد على البيعة للقاسم فبايع له وسماه المؤتمن وولاه الجزيرة والثغور والعواصم • فلما قسم الارض بين أولاده الثلاثة قال بعض الناس قدأحكم أمير المؤمنين [الامر لبنيه بعده] قال بعضهم بل ألقى بأسهم بينهم وعاقبة ما صنع مخوفة على الرعية • وحج الرشيد ومعه أبناؤه ووزراؤه وقواده وقضاته في سنة ست وثمانين ومائة فلما قضى مناسكه كتب للمأمون كتابين أجهد الفقهاء والقضاة آراءهم فيهما أحدهما على محمد بما اشترط عليه من تسليم ما ولي عبدالله من الاعمال وصير اليه من الضياع والغلات والجواهر والاموال والآخر نسخة البيعة التي أخذها على الخاصة والعامة والشروط لعبدالله المأمون على محمد الامين وعليهم وحضر في الكعبة وأحضر وجوه بني هاشم والقواد والفقهاء وقـرأ الكتاب على الامين والمأمون وأشهد عليهما جميع من حضر من سائر ولده وأهل بيته ومواليه ووزرائه وقواده وكتابه ثم رأى أن يعلق الكتاب في الكعبة وتقدم الى الحجبة بحفظ الكتاب ومنع من أراد اخراجه •

ذكر تلخيص نسخة الكتاب

هـذا كتاب لعبدالله هـارون أمير المؤمنين كتبه محمد بن هـارون أمير المؤمنين في صحة من عقلـه وجـواز من أمـره طائعا غـير مكـره • ان أمـير المـؤمنين ولاني العهـد من بعـده وصير

البيعة لي فى رقاب المسلمين وولى عبدالله بن هرون امير المؤمنين العهد والخلافة وجميع امور المسلمين بعدي برضى مني وتسليم طائعا غير مكره وولاه خراسان وثغورها وحربها وجندها وخراجها وبيـوت اموالهـا وصدقاتها وعشرها وجميع اموالها في حياته وبعده ٠ وشرطت لعبدالله هرون امير المؤمنين برضى مني وطيب نفس ان لاخي عبدالله بن هرون علي الوفاء بما عقد له هرون امير المؤمنين من العهد والولاية والخلافة وامور المسلمين جميعا بعدي وتسليم ذلك له وما جعل له من ولايـة خراسان واعمالها كلها وما اقطعه امير المؤمنين من قطيعة او جعل له من عقدة او ضيعة وما اعطاه في حياته وصحته من مال او حلي او جوهر او اقطاع فهو لعبدالله بن هرون امير المؤمنين موفرا مسلما اليه وقـد عرفت ذلك كله شيئا فشيئا ٠ فان حدث بامير المؤمين حدث فعلى محمد في خلافته انفاذ ما امر به هرون امير المؤمنين فى توليه عبدالله بن هـرون امير المؤمنين خراسان وثغورها من لدن الري الى اقصى خراسان ليس لمحمد بن امير المؤمنين هرون ان يحول عنه قائداً ولا رجلا ممن ضم اليه من اصحابه ٠ فعليكم معـشر المسلمين انفاذ ما كتب به امير المؤمنين في كتابه هذا وشرط عليكم من السمع والطاعة لامير المؤمنين وعهدالله وذمته وذمة رسله وذمة المسلمين من العهود والمواثيق التى اخذها الله على الملائكة المقربين والنبيين اجمعين ٠ ووكدها فى اعناق المسلمين ليقرر لعبد الله بن امير المؤمنين بما سمي وكتب فى كتابه هذا واشترط عليكم فبرئت منكم وذمة الله وذمة محمد صلعم وذمم المسلمين ٠ وكل مال هو اليوم لكل رجل منكم او يستفيده الى خمسين سنة فهو صـدقة على المسلمين وعلى كل رجل منكم المشي الى بيت الله الحرام الذي بمكـة خمسين حجة نذراً واجباً لايقبل الله منه الا الوفاء بذلك ٠ وكل مملوك له حر وكل امرأة فهي طالقة ثلاثا البتة طلاق الحرج لامثنوية فيـه والله عليكم بذلك كفيل وكفى بالله حسيبا ٠ وكتب عبدالله بن امير المؤمنين بخط يده فى الكعبة ٠ هذا كتاب لعبد الله هرون امير المؤمنين كتبه له

عبدالله بن هرون امير المؤمنين فى صحة من عقله وجواز من امره وصدق نيته فيما كتبه فى كتابه هذا ومعرفة بما فيهمن القصد والصلاح له ولاهل بيته وجماعة المسلمين ان امير المؤمنين هرون ولاني العهد والخلافة وجميع امور المسلمين بعد اخي محمد بن هرون امير المؤمنين وولاني في حياته ثغور خراسان وكورها وجميع اعمالها وشرط على محمد بن هرون الوفاء بما عقد لي من الخلافة وولاية العهد وولاية العباد والبلاد وولاية خراسان ولايعرض لي في شيء مما اقطعني امير المؤمنين ولا لاحد من عمالي او كتابي يبث محاسبة ولايدخل علي ولا عليهم ولا على من كان معي ممن استعنت به من جميع الناس مكروها فى نفس ولادم ولا شعر ولا بشر ولا مال ولا صغير ولا كبير فاجابه الى ذلك واقربه وكتب له كتاباً اكد فيه على نفسه واوصى به امير المؤمنين هرون وقبله • فشرطت لامير المؤمنين وجعلت له ان اسمع واطيع لمحمد ولا اعصيه وانصحه ولا اغشه واوفي بيعته ولا اغدر ولا انكث وانفذ كتبه واوامره واحسن موازرته فى جهاد عدوه فى ناحيتي ما وفي لي بما شرط لامير المؤمنين هرون في امري وان محمدا ان اراد ان يولي رجلا ولاية العهد والخلافة بعدي فذلك له ما وفى لي بما جعله امير المؤمنين واشترط لي عليه وعلي انفاذ ذلك والوفاء له ولاا نقض ذلك ولا ابدله ولا اقدم قبله احداً من ولدي ولا قريبا ولا بعيدا من الناس اجمعين • وان انا نقضت شيا مما شرطت وسميت في كتابي وغدرت فبرئت من الله ومن ولايته ودينه ومحمد رسوله صلعم ولقيت الله يوم القيمة كافرا مشركا وكل امرأة هى لي اليوم طالقة وتزوجتها الى ثلثين سنة طالق ثلاثاً البتة طلاق الحرج وكل مملوك هو لي اليوم او املكه الى ثلثين سنة احرار لوجه الله وعلي المشي الى بيت الله الحرام الذى بمكة راجلا حافيا نذرا واجبا علي في عنقي لايقبل الله مني الا الوفاء بذلك وكلما شرطت في كتابي هذا لازم لي لا اضمر غيره ولاانوى سواه شهد سليمان بن امير المؤمنين • وفلان وفلان وفلان وكتب فى الحجة سنة سبع وثمانين ومائة •

وكتب ايضا الرشيد كتابا الى العمال في توكيد ما شرط لمحمد وعبدالله من بعده بجمع الكلمة ولم الشعث والحسم لكيد الاعداء والنقمة من أهل الفكر والنفاق وترك الغل والتقاطع وقد نسخ امير المؤمنين ذينك الشرطين اللذين كتبهما محمد وعبدالله في اسفل كتابه هذا . وكتب اسمعيل بن صبيح يوم السبت لليال بقين من المحرم سنة ثمان وثمانين ومائة . وامر الرشيد للمأمون بمائة الف درهم فحملت له الى بغداد من الرقة . وفيها مات اصبغ بن عبدالعزيز بن مسرور بن الحكم وحكي عنه انه قال . لان يخطيء الامام في العفو خير له من ان يخطىء فى العقوبة . وفيها مات سلم الخاسر الشاعر وهو سلم بن عمرو ابن حماد بن عطاء يقال انه مولى ابي بكر بن ابي قحافة وقيل مولى المهدي بن العباس واختلفوا لم سمي الخاسر . فقال اليزيدى ورث من ابيه مائة الف درهم واصاب من مدائح الملوك مثلها . فانفقها كلها على الادب . وحكي الاصفهاني ابو الفرج صاحب الاغاني انه ورث من ابيه مصحفا فباعه واشترى بثمنه طنبوراً . وذكر الصولي ان الرشيد قال له لم سميت الخاسر قال بعت وأناصبي مصحفا واشتريت بثمنه شعر امرىء القيس وقد رزقني الله حفظ القرآن بعد ذلك الحال فقال له انت الان الرابح وكان مقتدر على الشعر بلغ من اقتداره انه اخترع شعرا على حرف واحد لم يسبق الى مثله واقل شعر العرب على حرفين نحو قول دريد بن الصمة

يا ليتني فيكها جذع اخب فيها وأقع

فقال سلم الخاسر لموسى الهادي شعراً على ضرب واحد منه

موسى لمطر غيث بكر ثم انهمر لما اعتكر
ثم اقتسر لما قدر ثم غفر عدل السير
باقي الاثر خير البشر فرع مضر بدر بدر
لمن نظر هو الوزر لمن حضر والمفتخر

وذكر الخطيب انه كان على طريقة غير مرضية من المجون والخلاعة

والفسق تم تقرا وترك ذلك فرقت حاله فاغتم لذلك • ورجع الى شر ما كان عليه وباع مصحفا واشترى بثمنه دفترا فيه شعر فشاع في الناس وسموه سلم الخاسر وصار يقول ارق من شعر بشار بن برد فغضب بشار وكان بشار قد قال

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

وقال سلم

من راقب الناس مات غماً وفاز باللذة الجسور

فغضب بشار وقال والله نهب بيتي باخذ المعاني التى قد تعبت فيها فيكسوها الفاظاً اخف من الفاظي لا ارضى عنه فما زالوا يسألونه حتى رضي عنه • وكان سلم قد كسب مالا كثيراً بقصيدته التي مدح بها المهدي • فمن القصيدة قوله

حضر الرحيل وشدت الاحداج وحدا بهن مشمر مزعاج
شربت بمكة من ذرى بطحائها ماء النبوة ليس فيه مزاج

وكان المهدي قد اعطي مروان بن ابي حفصة مائة الف درهم بقصيدته التي اولها • طرقتك زائرة فحي خيالها • فاراد ان ينقص سلما فحلف سلم لا ياخذ الا مائة الف درهم والف درهم وقال نطرح القصيدتين الى اهل العلم حتى يختبروا بتقدم قصيدتي فانفذ له المهدي مائة الف والف درهم فلما بلغ زمان الرشيد قال قصيدته التى يقول فيها

قل للمنازل بالكثيب الاعفر سقيت غادية السحاب الممطر
قد بايع الثقلان مهدي الهدى لمحمد بن زبيدة ابنة جعفر

فحشت زبيدة فاه درا فباعه بعشرة الاف دينار • وهذا حين بايع الرشيد لمحمد الامين بن زبيدة بنت جعفر • ومات سلم فى ايام الرشيد وقد اجتمع عنده من المال ستة وثلاثون الف دينار وقيل خمسون الف دينار ولما مات اودعها عند ابي السمراء الغساني فبقيت عنده • واتى ابراهيم الموصلي يوما لعند الرشيد فغناه فاطربه فقال ياابراهيم سل

ماشئت • قال نعم يا سيدي اسأل شيئاً لايرزوك قال ما هو قال مات سلم الخاسر وليس له وارث وخلف ستة وثلاثين الف دينار عند ابي السمراء الغساني تأمره بدفعها الي فبعث اليه ان ادفعها الى ابرهيم فدفعها اليه وكان الجماز بعد ذلك قدم هو وابوه يطلبان ميراث سلم بانهما من قرابته فقيل ان تركته كانت خمسين الف دينار وذكروا انه قال فيه ابو العتاهية •

تعالى الله يا سالم بن عمرو　　اذل الحرص اعناق الرجال

فغضب سلم وقال يزعم اني حريص وقال يرد عليه

ماقبح التزهيد من واعظ　　يزهد الناس ولا يزهد
لو كان في تزهيده صادقاً　　اضحى وامسى بيته المسجد
ويرفض الدنيا واسبابها　　ولم يكن يسعى ويسترفد
يخاف ان تنفد ارزاقه　　والرزق عند الله لا ينفد
والرزق مقسوم على من ترى　　يناله الابيض والاسود
كل يوفى رزقه كاملا　　من كف عن جهد ومن يجهد

قال ابو هفان وصل الى سلم الخاسر من البرامكة عشرون[1] الف درهم ومن الرشيد مثلها

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائة • فيها قتل الرشيد جعفر بن يحيى واوقع بالبرامكة واما سبب عتبه على جعفر الذى قتله لاجله فقد اختلف فيه وفي سبب تغيره على البرامكة • قال بختيشوع اني فى مجلس هرون الرشيد اذ طلع يحيى بن خالد وكان يدخل بلا اذن فلما صار بالقرب من الرشيد وسلم رد عليه رداً ضعيفاً ولم يدر يحيى ان امرهم تغير • ـ ثم اقبل علي الرشيد فقال يابختيشوع يدخل عليك في منزلك احد بلا اذن قلت لا ولايطمع في ذلك فقال ما لنا يدخل علينا بلا اذن فقام يحيى فقال يا امير المؤمنين قدمني الله قبلك والله ما ابتدأت ذلك الساعة وانما هو شيء خصني به امير المؤمنين ورفع به ذكرى حتى

(١) ينبغى ان الواصل اليه من البرامكة مبلغ عشرين ألف دينار ومن الرشيد مثله اذ لاينوه بهذا المقدار من الدراهم

ان كنت لادخل وهو في فراشه وما علمت ان امير المؤمنين كره ما كان يحب واذ علمت فاني اكون فى الطبقة الثانية من اهل الاذن والثالثة ان امرنى سيدي قال فاستحيا الرشيد وكان من ارق الخلفاء وجها وعيناه فى الارض ما يرفع طرفه حياء • ثم قال ما اردت ما تكره انما الناس يقولون وخرج يحيى • وقد كثرت الاقوال فى سبب قتل جعفر ابن يحيى • وروى ابو جعفر بن جرير الطبرى شيئا عجيبا فى هلاك جعفر • قال كان الرشيد لا يصبر عن جعفر وعن اخته عباسة بنت المهدي • وقال لجعفر ازوجكها ليحل لك النظر اليها ولا تمسها فزوجها منه وكانا يحضران مجلسه ثم يقوم عن مجلسه فيثملان من الشراب وهما شابان فيقوم اليها جعفر فيجامعها وولدت غلاما منه وخافت الرشيد فوجهت المولود مع خواص لها من مماليكها الى مكة شرفها الله تعالى فلم يزل الامر مستوراً عن هرون حتى وقع بين عباسة وبعض جواريها شر فانهت امرها وامر الصبي واخبرت بمكانه ومع من هو من جواريها وما معه من الحلي الذي كانت زينته به امه فلما حج هرون هذه السنة ارسل الى الموضع من يأتيه بالصبى وحواضنه فلما حضرن سأل اللواتي معهن الصبي فاخبرته بمثل القصة التى اخبرت بها الرافعة على عباسة فكان ذلك سبب ما نزل بهم •

وذكر ابو بكر الصولي ان علية بنت المهدي قالت للرشيد ما رأيت لك سروراً منذ قتلت جعفراً فلاي شيء قتلته فقال لو علمت ان قميصى يعلم السبب الذى قتلت جعفرا به لاحرقته وقيل ارادت البرامكة اظهار الزندقة وافساد الملك فقتلهم لذلك

قالت علماء السير فلما انصرف الرشيد عن الحج فى سنة ست وثمانين ومائة وافي الحيرة فى المحرم من سنة سبع وثمانين ومائة • قال مسرور الخادم سمعت الرشيد يقول فى الطواف اللهم انك تعلم ان جعفر بن يحيى قد وجب عليه القتل وانا استخيرك في قتله فخرلي • قالوا ثم عاد الى الانبار وبعث اليه بمسرور وحماد بن سالم وابو زكار الاعمى عنده يغنيه •

فلا تبعد فكل فتى سياتي اليه الموت يطرق او يغادي

قال مسرور الذي جئت به من ذلك قد والله طرقك اجب امير المؤمنين . قال فوقع على رجلي يقبلها ويقول حتى ادخل فاوصي فقلت اما الدخول فلا سبيل اليه ولكن اوص بما شئت فتقدم فى وصيته بما اراد وقال كل مال لي فهو صدقة وكل عبد لي حر وكل من لي عنده وديعة او حق فهو فى حل ثم اتت رسل الرشيد تستحث مسرورا فاخرجه اخراجا عنيفا حتى اتى به المنزل الذي فيه الرشيد فحبسه وقيده بقيد حمار واخبر الرشيد فقال اتنى برأسه فجاء الى جعفر فاخبره فقال الله الله ما امرك بما امرك الا وهو سكران فدافع بامرى حتى يصبح او وآمره فى ثانية فعاد ليؤامره فقال ياماص بظر امه اتنى برأس جعفر فرجع اليه فقال عاوده ثالثة فاتاه فحذفه بعمود ثم قال نفيت من المهدي ان جئتني ولم تاتني برأسه لارسلن اليك من ياتيني برأسك فاتاه برأسه . وكان قتله ليلة السبت اول ليلة من صفر سنة سبع وثمانين ومائة بارض الانبار وهو ابن سبع وثلاثين سنة ثم امر بنصب رأسه على الجسر وتقطيع جسده وصلب كل قطعة على جسر فلم يزل كذلك حتى مر عليه الرشيد حين خروجه الى خراسان فقال ينبغي ان يحرق هذا المحروق ووجه الرشيد تلك الليلة من احاط بيحيى بن خالد وجميع ولده ومواليه ومن كان منهم بسبيل فلم يفلت منهم احد كان حاضرا وحول الفضل بن يحيى ليلا فحبسه ناحية من منازل الرشيد وحبس يحيى بن خالد فى منزله واخذ ما وجد لهم من مال وضياع ومتاع وغير ذلك ومنع اهل العسكر من ان يخرج منه خارج الى مدينة السلام او الى غيرها ووجه ليلته رجال الخدم الى الرقة فى قبض اموالهم واخذ وكلائهم فلما اصبح كتب الى السندي بتوجيه جثة جعفر الى مدينة السلام ونصب رأسه على الجسر الاوسط وقطع جثته وصلب كل قطعة على الجسر الاعلى والجسر الاسفل ففعل السندي ذلك وامر بالنداء فى جميع البرامكة الا امان لهم الا لمحمد بن خالد وولده واهله وحشمه فانه

استثناهم لما ظهر له من نصيحة محمد له وعرف براءته مما دخل فيه غيره من البرامكة وخلى سبيل محمد بن خالد قبل شخوصه الى العمر ووكل بالفضل ومحمد وموسى بنى يحيي وبابى المهدي صهرهم حفظة من قبل هرثمة بن اعين الى ان وافى بهم الرقة واتي بانس بن ابي شيخ صبيحة الليلة التى قتل فيها جعفر فامر بقتله وكان من اصحاب البرامكة وكان قد رفع اليه عنه انه دلهم على الزندقة وقيل ليحيى بن خالد ان الرشيد قد قتل ابنك فقال كذلك يقتل ابنه . قال الفضل بن مروان كنت اعمل في ابواب حساب ضياع الرشيد فنظرت فى حساب السنة التى نكب فيها البرامكة فوجدت ثمن هدية دفعتين من مال الرشيد اهداها الى جعفر بن يحيى بصندوق عشرة الاف دينار . وفي السنة نفسها بعد شهور من هذه الهدية قد جاء فى الحساب ثمن نفط وحب قطن ابتيع فاحرقت به جثته اربعة عشر قيراطا ذهبا . وقد ذكر الصولى ان الرشيد كان يقول . لا آمن الله من اغراني بقتل البرامكة ما رأيت رخاء بعدهم ولا وجدت لذة ولا راحة . وقال الرشيد بعد البرامكة وددت والله اني شوطرت عمري وغرمت نصف مالي وملكى واني تركت البرامكة على امرهم . لما صلب الرشيد جعفر وقف الرقاشي الشاعر فقال

اما والله لولا خوف واش وعين للخليفة لاتنام
لطفنا حول جذعك واستلمنا كما للناس بالحجر استلام
فما ابصرت قبلك يا ابن يحيى حساما فله السيف الحسام
على اللذات والدنيا جميعاً ودولة آل برمك السلام

فقيل للرشيد فامر به فاحضر فقال له ما حملك على ما فعلت قال تحركت نعمته فى قلبي فلم اصبر قال كم اعطاك قال كان يعطيني فى كل سنة الف دينار قال فامر له فى كل سنة بالف دينار . ولما قتل جعفر بن يحيى وصلب وقفت امرأة على حمار فاره فنظرت الى رأسه فقالت بلسان فصيح . والله لئن صرت اليوم اية لقد كنت فى المكارم غاية ثم انشأت تقول

ولما رأيت السيف خالط جعفراً		ونادى مناد للخليفة في يحيى
بكيت على الدنيا وايقنت انما		قصارى الفتى يوماً مفارقة الدنيا
وما هي الا دولة بعد دولـة		تخول ذا نعمى وتعقب ذا بلوي
اذا انزلت هذا منازل رفعـة		من الملك دلت ذا الى الغاية القصوى

ثم انها حركت الحمار تحتها فكأنها كانـت ريحاً لا يعـرف لها خبر .

ذكر اخبار

جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ابو الفضل

كانت له بلاغة وفصاحة وكرم زائد وكان ابوه يحيى بن خالد ضمه الى ابي يوسف القاضي ففقهه وصار له اختصاص بالرشيد .وقيل انه وقع ليلة بحضرة الرشيد زيادة على الف توقيع فنظر فى جميعها فلم يخرج شىء منها عن موجب الفقه .

قال احمد بن الجنيد الاسكافي وكان اخص الناس بجعفر البرمكي فكان الناس يقصدونه في حوائجهم الى جعفر .وان رقاع الناس كثرت فى خف احمد بن الجنيد فلم تزل الى ان تهيأ له الخلوة بجعفر فقال له جعلني الله فداك قد كثرت رقاع الناس معي واشغالك كثيرة وانت اليوم خال فان رأيت ان تنظر فيها . قال له جعفر على ان تقيم عندي اليوم فقال نعم وصرف دوابه واقام عنده فلما تغدوا جاءه بالـرقاع فقال له جعفر هذا وقت راحة فدعنا اليوم فامسك عنه وانصرف فلم ينظـر في الرقاع .فلما كان بعد خلابه فاذكره فقال نعم على ان تقيم عندي اليوم فاقام عنده ففعل به مثل الفعل الاول حتى فعل به ذلك ثلاثا . فلما كان فى آخر يوم اذكره قال دعني الساعة وناما . فانتبه جعفر قبل احمد بن الجنيد فقال لخادم له اذهب الى خف احمد فجئني بكل رقعة فيه ولا يعلم احمد فذهب الغلام وجاء بالرقاع فوقع جعفر فيها عن آخرها بخطه بما

احب اصحابها ووكد ذلك ثم امر الغـلام ان يردها الى الخـف فردها فاتبه احمد فلم يقل له فيها شيئا وانصرف بها اياما . قال احمد بن الجنيد لكاتبه ويحك هذه الرقاع قد اخلقت خفي وهذا ليس ينظرها فتصفحها وجدد ما اخلق منها فاخذها الكاتب فنظر فيها فوجد الرقاع موقعا عليها بما سأل اصحابها واكثر فتعجب من كرمه ونبل اخلاقـه ومن انه قضى حاجته ولم يعلمه بها لئلا يظن انه اعتد بها عليه . ولما غضب الرشيد على البرامكة اصيب فى خزانة لجعفر جرة فيها الف دينار ونيف كل دينار منها وزنه مائة مثقال ومثقال على احد جانبي كل دينار منها مكتوب .

واصفر من ضـرب دار الملوك   يلـوح على وجهـه جعفر
يزيـد علـى مائـة واحـداً   متى تعطـه معسـراً يوسر

وكان ابـو زكار الاعمـى عند جعفـر لمـا حضـر مسرور ليأخذ رأسه وابو زكار يغني هذا الصوت

فلا تبعـد فكل فتى سـيأتي   اليه الموت يطـرق او يغادي
وكل ذخـيرة لا بد يـوماً   وان بقيت تصـير الى نفاد
فلو فديت من حـدث الليالي   فديتك بالطرائف والتـلاد

قال له ممن اخذت هذا الصوت قال اخذته من احسـن الناس شعرا حكم الوادي . فما قام من موضعه حتى جاء مسرور غلام الرشيد قال ابو يزيد الرياحي كنت قاعداً عند خشبة جعفر بن يحيى بن خالـد البرمكي افكر في زوال ملكه وحاله التي صار اليها . اذ اقبلت امرأة لها هيئة حسنة فوقفت على جعفر وبكت واحترقت وتكلمت فابلغـت وقالت اما والله لئن اصبحت للناس آية لقد بلغت بالكرم الغاية . ولئن زال ملكك وخانك دهرك ولم يطل به عمرك لقد كنت المغبـوط الناعم بالا يحسن بك الملك فاستعظم الناس فقدك اذ لم يستخـلفوا ملكا بعدك فنسأل الله الصبر على عظيم الفجيعة وجليل الرزيئـة الذي لايستعاض بغيرك والسلام عليك وداع غير قال ولاناس لذكرك ثم انشأت تقول

العيش بعدك مرغير محبوب ومذ صلبت ومقناكل مصلوب
ارجو لك الله ذا الاحسان انله فضلا علينا وعفواً غير محسوب

ثم سكتت ساعة وتأملته ثم انشأت تقول

عليك من الاحبة كل يوم سلام الله ما ذكر السلام
لئن امسى صداك برأي عين على خشب حباك به الامام
فمن ملك الى ملك برغم من الاملاك آن لك الحمام

قال اسمعيل بن محمد لما بلغ سفيان بن عيينة قتل جعفر وما نزل بالبرامكة حول وجهه الى القبلة وقال اللهم انه قد كان كفاني مؤنة الدنيا فاكفه مؤنة الاخرة وكان جعفر بن يحيى يجرى على سفيان بن عيينة في كل شهر ما يقوم باوده فكان سفيان يقول اللهم انه كفاني امر دنياي فاكفه امر آخرته فلما مات رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال ادركتني دعوة العبد الصالح فغفر لي وادخلني الجنة • وقال بعض الشعراء فى صلب جعفر ابياتا وتروي فى غيره

علو في الحياة وفي الممات بحق انت احدى المعجزات
كان الناس حولك حين قاموا وفود نداك ايام الصلات
مددت يديك نحوهم احتفاء كمدكها اليهم بالهبات
وتشعل حولك النيران ليلا كذلك كنت ايام الحياة
لعظمك في النفوس تبيت ترعى بحفاظ وحراس ثقات
ولما ضاق بطن الارض عن ان يضم علاك من بعد الممات
اصاروا الجو قبرك واستعاضوا عن الاكفان ثوب السافيات
فلم ار قبل جذعك قط جذعا تمكن من عناق المكرمات
أسأت الى النوائب فاستثارت فانت قتيل ثار النائبات
ولو اني قدرت على قضاء لفضلك والحقوق الواجبات
ملات الارض من غرر القوافي ونحت بها خلاف النائحات

---

(١) هذه القصيدة لابي الحسن الانبارى في رثاء ابن بقية وزير عز الدولة ابن مفر ألدولة البويهي

ولكني اصبر عنك نفسي مخافة ان اعد من الجناة
عليك تحية الرحمن تترى برحمات غواد رائحات

قال محمد بن عبد الرحمن الهاشمي دخلت على امي في يوم اضحى وعندها امرأة في ثوب دنس فقالت لي اتعرف هذه قلت لا قالت عبادة ام جعفر فقلت لها حدثيني ببعض امركم قالت لقد هجم على مثل هذا اليوم وعلى رأسي اربعمائة وصيفة لبوس كل واحدة منهن خلاف لبوس الاخرى وقد اتيتكم اليوم اسألكم جلد شاتين اجعل احدهما شعاراً والاخر دثارا •

قال مسرور الكبير استدعاني المأمون وقال قد اكثرعلى اصحاب الخبربان شيخاً يأتى خرابات البرامكة فيبكي وينتحب طويلا ثم ينشد شعرا يرثيهم به وينصرف فاركب انت ودينار بن عبدالله واستترا بالجدران فاذا جاء وشاهد وما فعل وسمعتماه فاتيانى به فركبنا مغلسين • لئلا يرانا احد فاتينا الموضع فاختفينا فيه وابعدنا الدواب فلما اصبحنا اذا بخادم اسود قد جاء ومعه كرسي حديد فطرحه وجاء على اثره كهل فجلس على الكرسي وتلفت فلم ير احدا فبكى وانتحب حتى قلت قد فارق الدنيا وانشد يقول الابيات المتقدم ذكرها

ولما رأيت السيفخالطا جعفراً ونادى مناد للخليفة في يحيى

فلما قام ليذهب قبضنا عليه قال ماتريدان قلت هذا دينار بن عبدالله وانا مسرور خادم امير المؤمنين وهو يستدعيك فابلس ثم قال اني لا آمنه على نفسي فامهلني حتى اوصى قلت شأنك فسرنا معهفوقف على دكان رجل واستدعاه دواة وبيضاء فكتب فيها وصيته ودفعها الى خادمه وسرنا به فلما مثل بين يدي الخليفة زبره وقال من انت وبم استحق البرامكة منك ما تصنع فقال غير هائب ولا محتشم يا امير المؤمنين ان للبرامكة عندي اياد خضرة فان امر امير المؤمنين حدثته ببعضها فقال هات • قال انا المنذر بن المغيرة الدمشقي نشأت في نعمة فزالت حتى وصلت الى بيع داري واملقت الى غاية فاشير على بقصد

البرامكة فخرجت الى بغداد ومعي نيف وعشرون امرأة وصبياً فدخلت بهم الى مسجد ببغداذ ثم خرجت وتركتهم جياعا لانفقة لهم فمررت بمسجد فيه جماعة عليهم احسن زى فجلست معهم اردد في صدري ما اخاطبهم به فتحيد نفسي عن ذل المسألة واذا خادم قد ازعج القوم فقاموا فقمت معهم ودخلوا دارا كبيرة فدخلت فاذا يحيى بن خالد على دكة وسط بستان فجلسوا وجلست وكنا مائة رجل ورجل فخرج مائةخادم وخادم في يد كل خادم منهم مجمرة ذهب فيها قطعة عنبر فبخروا واقبل يحيى على القاضي وقال زوج ابن عمي هذا بابنتي عائشة فخطب وعقد النكاح واخذنا النثار من فتات المسك وبنادق العنبر وتماثيل الند فالتقط الناس والتقطت ثم جاءنا الخدم في يد كل واحد منهم صينية فضة فيها الف دينار مخلوطة بالمسك فوضع بين يدى كل واحد منهم فاقبل كل واحد ياخذ الدنانير في كمه والصينية تحت ابطه ويخرج فبقيت وحدي لااجسر افعل ذلك فغمزني بعض الخدم وقال خذها وقم فاخذتها وقمت وجعلت امشي والتفت خوفاً من ان تؤخذ مني ويحيى يلاحظني من حيث لاافطن • فلما قاربت الستر رددت فيئست من الصينية فجئته فامرني بالجلوس فجلست فسألني عن حالي فحدثته عن قصتى فبكى ثم قال علي بموسى فجاءه فقال يا بني هذا رجل من اولاد النعم قد رمته الايام بصرفها فخذه اليك فاخلطه بنفسك فاخذني وخلع علي وامرني بحفظ الصينية لي فكنت في الذ عيش يومي وليلتى • ثم استدعى اخاه العباس وقال ان الوزير قد سلم الي هذا واريد الركوب الى دار امير المؤمنين فليكن عندك اليوم فكان يومي مثل امس فاقبلوا يتداولوني وانا قلق بامر عيالي ولا اتجاسر ان اذكرهم فلما كان في العاشر ادخلت على الفضل بن يحيى فاقمت عنده يومي وليلتي فلما اصبحت جاءني خادم فقال قم الى عيالك وصبيانك فقلت انا لله ذهبت الصينية وما فيها فليت هذا كان من اول يوم وقمت والخادم يمشي بين يدي فاخرجني من الدار فازداد ما بي ثم ادخلني الى دار كأن الشمس تطلع

فى جوانبها وفيها من صنوف الالات والفرش فلما توسطتها رايت عيالي يرتعون فى الديباج والستور وقد حمل اليهم مائة الف درهم وعشرة الاف دينار وسلم الي الخادم صكا باسم ضيعتين جليلتين وقال هذه الدار وما فيها والضياع لك فاقمت مع البرامكة فى اخفض عيش الى الان • ثم قصدنى عمرو بن مسعدة فى الضيعتين والزمني من خراجهما مالا يفي به دخلهما فكلما لحقتني نائبة قصدت دورهم فبكيت فاستدعى المامون عمرو بن مسعدة وامره ان يرد على الرجل ما استخرج منه ويقرر خراجه على ما كان فى ايام البرامكة فبكى الشيخ بكاءاً شديدا فقال له المأمون الم استانف بك جميلا فقال بلى ولكن هذا من بركة البرامكة فقال امض مصاحبا فان الوفاء مبارك وحسن العهد من الايمان

وفيها مات الفضيل بن عباس ابو علي التميمى ولد بخراسان وقدم الكوفة وهو كبير وسمع الاعمش ومنصور بن المعتمر وعطاء وابن السائب وحصن بن عبد الرحمن ثم تعبد وانتقل الى مكة شرفها الله تعالى فمات فيها وكان ثقة فاضلا زاهدا عابدا عارفا وله اخبار كثيرة وفتاوى حسنة يطول شرحها في هذا المختصر •

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائة وفيها مدح ابو الشيص الرشيد عند ورود الخبر بهزيمة نقفور وفتح بلد الروم من قصيدة قالها

فريت بسيف الله هام عداته ... وطأطأت بالاسلام ناصية الشرك
فاصبحت مسرورا بما كان ضاحكا ... واصبح نكفور على ملكه يبكي

و فيها حج الرشيد وهي اخر حجاته ولقيه البهلول فى الطريق ووعظه قال الفضل بن الربيع حججت مع هرون الرشيد فمررنا بالكوفة فاذا ببهلول المجنون يهذي فقلت اسكت فقد اقبل امير المؤمنين فسكت فلما حاذاه الهودج قال يا امير المؤمنين حدثني ايمن بن نائل قال انبأنا قدامة بن عبدالله العامري قال رأيت رسول الله (صلعم) يمشي على جمل وتحته رحل رث فلم يكن ثم طرد ولا ضرب ولا اليك اليك •

فقلت يا امير المؤمنين انه بهلول المجنون قال قد عرفته قل يا بهلول فقال يا امير المؤمنين

هب انك قدملكت الارض طرا ودان لك العباد فكان ماذا
اليس غدا مصيرك جوف قبـر ويحثو الترب هذا ثم هذا

قال: اجدت يابهلول فهل غيره قال نعم ياامير المؤمنين من رزقه الله مالا وجمالا فعف في جماله وواسى في ماله كتب في ديوان الابرار • قال فظن انه يريد شيئاً قال فانا قد امرنا بقضاء دينك قال لاينفعك يا امير المؤمنين لاتقض دينا بدين اردد الحق الى اهله واقض دين نفسك • قال انا قد امرنا ان تجرى عليك جراية قال لاتفعل يا امير المؤمنين لايعطيك وينساني اجر على الذي اجرى عليك لاحاجة لي في جرايتك

وفيها مات ابرهيم بن ماهان بن بهمن ابو اسـحق المعروف بالموصلي وهو من ارجان نسب الى ولاء الحنظليين واصله من الفرس خرج ابوه بامه من ارجان وهي حامل فقدم الكوفة فولدته سنة خمس وعشرين ومائة فصحب في الكوفة فتيانا في طلب الغناء واشتدت عليه اخواله في ذلك فخرج الى الموصل ثم عاد الى الكوفة فقال له اخواله مرحبا بالفتى الموصلي فوقع الاسم عليه • ونظر الادب وقال الشـعر واتصل بالملوك والخلفاء • قال الزبير بن بكار حدثني اسحق الموصلى عن ابيه ابراهيم • قال جاءني غلامي فقال بالباب رجل حائك يطلب الاذن عليك قلت ويلك مالي وللحائك قال لا ادري غير انه قد حلف بالطلاق انه لاينصرف حتى يكلمك بحاجة فقلت ائذن له فدخل قلت ما حاجتك قال جعلني الله فداك انا رجل حائك كان عنـدي بالامس جماعة مـن اصحابي وانا لنتذاكر بالغناء والمقدمين فيه فاجمع من حضر انك رأس القوم وبندارهم وسيدهم في هذه الصنعة فحلفت بالطلاق مـن ابنة عمي واعز الخلق علي ثقة مني بكرمك على ان تشرب عندي غداوتغنيني فان رأيت جعلني الله فداك ان تمن على عبدك بذلك فعلت • فقلت اين منزلك قال في دور الصحابة • قلت فصف للغلام موضعك وانصـرف

فاننى رائح اليك فوصف للغلام موضعه • فلماصليت الظهر مضيت اليه فلما دخلت قام الحائك والحاكة فاكبوا علي يقبلون اطرافي وعرضوا علي الطعام فقلت قد تقدمت فى الاكل وقلت اقترح • فقال الحائك غن بحياتي •

يقولون لي لو كان بالرمل لم تمت بثنية والطراق يكذب قبلها

فغنيت فقال احسنت جعلنى الله فداك فقلت اقترح فقال غن بحياتي

وخطا باطراف الاسنة مضجعى وردا على عيني فضل ردائيا

فغنيت فقال احسنت والله جعلنى فداك فقلت اقترح فقال غن

احقا عباد الله ان لست واردا ولا صادرا الا علي رقيب

فقلت يا ابن اللخناء انت بابن سريج اشبه منك بالحاكة فغنيت ثم قلت والله انك ان عدت ثانية حلت امرأتك لغلامي قبل ان تحل لك ثم انصرفت وجاء رسول الرشيد يطلبني فمضيت من فوري ذلك فدخلت على الرشيد فقال اين كنت يا ابرهيم قلت ولي الامان فقال ولك الامان فحدثته فضحك وقال هذا انبل حائك على وجه الارض والله لقد كرمت في امره واحسنت فى اجابته وبعث الى الحائك فاستنطقه وسائله فاستطابه واستظرفه وامر له بثلاثة الاف درهم • وقال ابرهيم فى مرضه عند وفاته

مل والله طبيبي من مقاساة الذي بي

سوف انعى عن قريب لعدو وحبيب

ولما توفي وجد له من المال اربعة وعشرون الف الف درهم

ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائة وفيها مات اسحق عزيز بن عبد الرحمن بن المغيرة بن جميل الزهرى من اهل المدينة وسكن بغداد وكان له قدر كبير عند الخلفاء وكان موصوفا بالسخاء والجود حتى قال الشاعر له ولاخيه يعقوب

نفى الجوع من بغداد اسحق ذو الندى كماقد نفى جوع الحجاز اخوه

ومابك من خير اتوه فانما فعال عزيز قبلهم فعلوه

هو البحر بل لو حل بالبحر وفده　　ومن يجتديه ساعة نزفـوه

وانشد الزبير لمكنف وهو من ولد زهـير بن ابي سـلمى يرثى اسحق بن عزيز

ولئن بكتجزعاعليك لقدبكت　　جزعا عليك مكارم الاخلاق
ياخـير من بكت المكـارم فقده　　لم يبق بعـدك للمـكارم باق
لو طاف في شـرق البلاد وغربها　　لم يلـق الا ماجـداً لك لاق
بخلت بما حوت الا كف وانمـا　　خـلق الاله يـديك للانـفاق
ما بت مـن كـرم الطبائع ليلة　　الا لعرضـك من نوالك واق

وفيها مات على بن حمـزة بن عبدالله ابو الحسن الاسـدي النحوي المعروف بالكسائي احد ايمة القراء من اهل الكوفة استوطـن بغداد وعلم الرشيد ثم الامين ولده بعده وكان قد قرأ على حمزةالزيات واقرأ ببغداد زمانا بقراءة حمزة ثم اختار لنفسه قراءة فاقرأ بها الناس وقد سمع الحديث من ابي بكر بن ابي عياش وسفيان بن عيينة واخرين روى عنه الفراء وابو عبيدة　قال الشافعى من اراد ان يتجر فى النحو فهـو عيـال عـلى الكسـائي قـال الفـراء انمـا تعلـم الكسـائي النحـو على كبـر • وكان سبب تعلمـه انـه جـاء يوما وقد مشى حتى اعيا فجلس الى الهباريين وقال قد عييت فقالـوا تجالسنا وانت تلحن فقال كيف لحنت فقالوا له ان كنت اردت مـن التعـب فقل اعييت وان كنـت اردت من انقطاع الحيلة والتحير فى الامر فقل عييت مخففة فأنف من هذه الكلمة وقام من فوره وسـأل عمن يعلم النحو فارشدوه الى معاذ الهراء فلزمه حتى انفد ما عنده ثم خرج الى الخليل بن احمد قال له من اين اخذت علمك فقال من بوادي الحجاز ونجد وتهامة فخرج فرجع وقد انفد خمس عشرة قنينة حبـر فى الكتابة عن العرب سوى ماحفظه ولم يكن له همةغير الخليلووجد الخليل قد مات وقد جلس موضعه يونس النحوي • فمرت بينهمـا مسائل اقر له يونس فيها وصدره موضعه • وفى تسميتـه الكسائى قولان احدهما انه احرم فى كساء • والقول الثاني قال خلف بن هشام

انما سمي الكسائي كسائيا لانه دخل الكوفة الى مسجد السبيع وكان حمزة بن حبيب الزيات فيه فتقدم الكسائي مع اذان الفجر فجلس وهو ملتف بكساء فرمقه القوم بابصارهم • فقالوا ان كان حائكا فسيقرأ سورة يوسف وان كان ملاحا فسيقرأ سورة طه فسمعهم فابتدأ بسورة يوسف فلما بلغ الى قصة الذئب قرأ • فاكله الذيب بغير همز فقال له حمزة الذئب بالهمزة فقال له الكسائي وكذلك اهمز الحوت فالتقمه الحوت قال لا • فلم همزت الذئب وماهمزت الحوت وهذا فاكله الذئب وهذا فالتقمه الحوت فرفع حمزة بصره الى خلاد الاحول وكان احد غلمانه فتقدم اليه في جماعة اهل المجلس فناظروه فلم يصنعوا شيئا فقالوا افدنا يرحمك الله • فقال لهم الكساءي تفهموا عن الحائك • تقول اذا نسبت الى الذئب قد استذأب الرجل فلو قلت استذاب بغير همز كنت انما نسبته الى الهزال تقول استذاب الرجل اذا استذاب شحمه بغير همزة واذا نسبته للحوت قلت قد استحات الرجل اى اكثر اكله لان الحوت ياكل كثيرا فلا يجوز فيه الهمز فلتلك العلة همز الذئب ولم يهمز الحوت وفيه معنى اخر لاتسقط الهمزة من مفرده ولامن جمعه وانشدهم

ايها الذئب وابنه وابوه ‏ ‏ ‏ انت عندي من اذؤب ضاريات

فسمى الكسائي من ذلك اليوم

قال الكسائي صليت بهرون الرشيد فاعجبته قراءتى فغلطت في آية ما اخطأ فيها صبي فاردت ان اقول • لعلهم يرجعون • فقلت لعلهم لايرجعون • فوالله ما اجترىء هرون ان يقول اخطأت ولكني لما سلمت قال يا كسائي اي لغة هذه • قلت يا امير المؤمنين قد يعثر الجواد • فقال اما هذا فنعم

قال الكسائي حلفت ان لا اكلم عاميا الا بما يوافقه ويشبه كلامه • فوقفت على نجار فقلت بكم هذان البابان فقال بسلحتان يا مصفعان • فحلفت ان لا اكلم عاميا الا بما يصلح قال مسلمة كان عند

المهدي مؤدب يؤدب الرشيد فدعاه يوما وهو يستاك فقال كيف تأمر من السواك فقال استك فقال امير المؤمنين انا لله وانا اليه راجعون . ثم قال التمسوا لنا من هو افهم من هذا فقالوا رجل يقال له على بن حمزة الكسائي من اهل الكوفة قدم من البادية قريبا فكتب بازعاجه من الكوفة . فساعة دخل عليه قال له يا علي قال لبيك يا امير المؤمنين قال كيف تأمر من السواك فقال سك فقال احسنت واصبت وامر له بعشرة الاف درهم .

قال الكسائي وحضرت عند الرشيد فاخرج الى محمد الامين وعبدالله المأمون كانهما بدران فقال لي كيف تراهما فقلت

ارى قمري افق وفرعي بشامة ... يزينهما عرق كريم ومحتد
سليلي امير المؤمنين وحائزي ... مواريث ما ابقى النبي محمد
يسدان انفاق النفاق بهمة ... يؤيدها حزم ورأي وسودد
حياة وخصب للولي ورحمة ... وحرب لاعداء وسيف مهند

ثم قلت فرع زكا اصله وطاب مغرسه تمكنت فروعه وعذبت مشاربه اداهما ملك اغر نافذ الامر واسع العلم عظيم الحكم . اعلاهما فعلوا وسما بهمافسموا فهما يتطاولان بطوله ويستضيئان بنوره وينطقان ببيانه . فامتع اللهامير المؤمنين بهماوبلغه الامل فيهما فكنت اختلف اليهما . وللكسائي اشعار كثيرة منها يمدح علم العربية قوله

انما النحو قياس يتبع ... وبه فى كل امر ينتفع
فاذا ما ابصر النحو الفتى ... مر فى المنطق مرا فاتسع
فاتقاه كل من جالسه ... من جليس ناطق او مستمع
واذا لم يبصر النحو الفتى ... هاب ان ينطق عيا فانقطع
فتراه يرفع النصب وما ... كان من خفض ومن نصب رفع
يقرأ القرآن لا يعرف ما ... صرف الاعراب فيه وصنع
والذي يعرفه يقرأه ... فاذا ماشك فى حرف رجع
ناظرا فيه وفى اعرابه ... فاذا ما عرف اللحن صدع

كم وضيع رفع النحو وكم ... من شريف قد رأيناه وضع
فهما فيه سواء عندكم ... ليست السنة فينا كالبدع

ومات الكسائي بالري سنة تسع وثمانين ومائة وسنه سبعون سنة • وفيها مات محمد بن الحسن بن يزيد ابو عبدالله الشيباني مولاهم صاحب ابي حنيفة اصله دمشقي من قرية هناك قدم ابوه العراق فولد محمد بواسط فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة ونشأ بالكوفة وسمع العلم بها من ابي حنيفة ومسعر والثوري وعمرو بن دينار ومالك بن معول وكتب عن مالك وانس والاوزاعي وابي يوسف القاضى وسكن بها وغلب عليه الرأي وتقدم فيه وروى عنه الشافعي وابو عبيدة وجماعة وخرج الى الرقة والرشيد بها فولاه قضاء الرقة ثم عزله فقدم بغدادفلما خرج الرشيد الى الرى خرج معه فمات بالرى وكان يقول ترك لي ابي ثلاثين الف درهم فانفقت خمسة عشر الفا على الحديث والفقه وخمسة عشر الفا على النحو والشعر وكان يقول لاهله لاتسألوني حاجة من حوائج الدنيا فتشغلوا بها قلبى عن الذكر والاشتغال وخذوا ما تحتاجون اليه من وكيلي فانه اقل لهمي وافرغ لقلبي • وقال الشافعي ما رأيت سمينا اخف روحا من محمد بن الحسن وما رأيت افصح منه كنت اذا رأيته يقرأ كان القرآن نزل بلغته • وقال رجل للشافعي خالفك الفقهاء فقال الشافعي وهل رأيت فقيها قط الا ان يكون محمد بن الحسن فانه كان يملا العين والقلب • وقال الطحاوي كان الشافعي قد طلب من محمد بن الحسن كتاب السير فلم يجبه الى الاعارة فكتب اليه

قل للذي لم ترعين من رآه مثله
حتى كأن من رآ ... ه قد رأى من قبله
العلم ينهى اهله ... ان يمنعوه اهله
لعله يبذله ... لاهله لعله

فوجه به فى الحال هدية لا عارية

ودخلت سنة تسعين ومائة وفيها مات يحيى بن خالد البرمكي

قال ابو علي كان المهدي ضم اليه هرون الرشيد وجعله في حجره فلما استخلف هرون عرف ليحيى حقه وكان يعظمه فاذا ذكره قال ابى وجعل اصدار الامور وايرادها اليه الى ان نكب البرامكة فغضب عليه وخلده فى الحبس الى ان مات فيه وكان له الكلام الحسن والكرم الواسع فمن كلامه حاجب الرجل عامله على عرضه • وقال من بلغ رتبة فتاه بها اخبر ان محله دونها • وقال يدل على كرم الرجل سوء ادب غلمانه • وقال لابنه خذ من كل علم طرفا فان من جهل شيئاً عاداه • وقال ثلاثة اشياء تدل على عقول اربابها الهدية والكتاب والرسول • وكان يقول لولده اكتبوا احسن ما تسمعون واحفظوا احسن ما تكتبون وتحدثوا باحسن ما تحفظون • وكان يقول اذا اقبلت الدنيا فانفق فانها لاتفنى واذا ولت فانفق فانها لاتبقى واليه اشار الشاعر

اذا جادت الدنيا عليك فجد بها على الناس طراً قبل ان تتفلت
فلا الجد يفنيها اذا هي اقبلت ولا البخل يبقيها اذا هي ولت

وكانت صلات يحيى اذا ركب لمن يعرض له في طريقه مائتين درهم فركب ذات يوم فعرض له اديب شاعر فقال له

باسمي الحصور يحيى اتيحت لك من فضل ربنا جنتان
كل من مر في الطريق عليكم فله من نوالكم مائتان
مائتا درهم لمثلى قليل هى منكم للعابر العجلان

قال يحيى صدقت فامر بحمله الى داره فلما رجع من دار الخليفة سأله عن حاله • فذكر له انه تزوج وحلف بواحدة من ثلاث اما ان يؤدي المهر وهو اربعة الاف واما ان يطلق واما ان يقيم مجريا للمرأة ما يكفيها الى ان يتهيأ له نقلها • فأمر له يحيى باربعة الاف للمهر واربعة الاف ثمن منزل واربعة الاف للبنية واربعة الاف لما يحتاج اليه واربعة الاف ليستظهر بها فاخذ عشرين الف درهم

وبلغنا ان الرشيد بن المهدي بعث صالحا صاحب المصلى الى منصور بن زياد يقول له قد وجبت عليك عشرة الاف الف درهم

فاحملها الي اليوم فان فعل قبل غروب الشمس والا فخذ رأسه وآتني به ولا تراجعني • قال صالح فخرجت الى منصور فعرفته فقال ذهبت والله نفسي والله ما اتمكن من ثلثمائة الف درهم فضلا عن عشرة الاف الف فقال له صالح فخذ فيما هو اعود عليك من هذا القول فقال تحملني الى اهلي حتى اوصى فلما دخل اليهم ارتفع صياح الحرم والجواري فقال لصالح امض بنا الى يحيى بن خالد البرمكي لعل الله ان ياتي بالفرج على يديه فمضى معه فدخل عليه وهو يبكي • فقال مالك فقص عليه القصة فاطرق مفكراً ثم دعا خازنه فقال ما عندك من المال قال خمسة الاف الف فقال ايت بها ثم وجه الى الفضل ولده فقال يابني كنت عرفتني انك تريد ان تشتري ضيعة بالفي الف درهم وقد وجدت لك ضيعة تغل الشكر وتبقى الدهر فانفذ الي بالمال فانفذه وارسل الى جعفر وقال يا بني الى بالفي الف درهم لحق قد لزمني فبعث اليه ثم تفكر ساعة ثم قال لخادم على رأسه ادخل الى دنانير فقل لها هات العقد الذي وهبه لك امير المؤمنين • فقال هذا عقد ابتعته لامير المؤمنين بمائة وعشرين الف دينار فوهبه لدنانير وقدقومناه عليك بالف الف درهم ليتم المال فخل عن صاحبنا فاخذت المال ورددت منصورا معي فلما صرنا بالباب تمثل منصور بقول الشاعر

فما بقيا على تركتماني ولكن خفتما صرد النبال

قال صالح فقلت في نفسي ما اجد اكرم من يحيى ولا اردأ طبعا من هذا النبطي اذ لم يشكر من احيا نفسه • وصرت الى الرشيد فعرفته بما جرى الا انشاده البيت المقدم ذكره خوفا عليه من ان يقتله فقال الرشيد قد علمت انه لا يسلم الا باهل هذا البيت فاقبض المال واردد العقد فما كنت لاهب هبة ثم ارتجعها قال صالح وحملني غيظي من منصور ان عرفت يحيى ماانشد فاقبل يحيى يجمل له العذر ويقول ان الخائف لا يبقى له لب وربما نطق بما لايعتقده فقلت والله

ما ادرى من اي فعليك اعجب من فعلك معه او من اعتذارك عنه• لكني اعلم ان الزمان لاياتي بمثلك ابدا •

وكان يحيى بن خالد يجرى على سفيان بن عيينة كل شهر الف درهم فلما مات يحيى كان سفيان يقول فى سجوده اللهم ان يحيى بن خالد كفاني امر دنياي فاكفه امر آخرته

ولما مات يحيى راه بعض اخوانه فى المنام فقال ما صنع الله بك قال غفر لي بدعوة سفيان بن عيينة •

قال محمد بن جعفر[1] قال ابي لابيه يحيى بن خالد وهم فى القيود ولبس الصوف والحبس يا ابتاه بعد الامر والنهي والاموال العظيمة اصارنا الدهر الى القيود ولبس الصوف والحبس فقال له ابوه يابني دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها ثم انشأ يقول

رب اقوام غدوا في نعمة زمناً والدهر ريان غدق
سكت الدهر زمانا عنهم ثم ابكاهم دما حين نطق

وتوفي يحيى بن خالد فى حبس الرشيد بالرقة وهو ابن سبعين سنة وصلى عليه ابنه الفضل ودفن على شاطي الفرات فى ربض هرثمة ووجد فى جبته حين مات رقعة فيها مكتوب بخطه قد تقدم الخصم والمدعي عليه بالاثر والقاضي هو الحكم العدل الذي لايجور ولايحتاج الى بينة فحملت الرقعة الى الرشيد فلم يزل يبكي يومه وبقي يومين يتبين الاسى فى وجهه •

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ومائة فيها مات اسمعيل بن جامع ابن عبدالله بن المطلب بن ابي وداعة ابو القاسم وكان يحفظ القرآن الا انه اشتهر بالغناء • قال ابو الفرج الاصفهاني قال ابن جامع انتقلت من مكة الى المدينة لشدة لحقتني فاصبحت يوماً وما املك الا ثلاثة دراهم فى كمي فاذا بجارية على كتفها جرة تريد الركي تسعى بين يدي وتترنم بصوت شجي وتقول

---

(١) كيف هذا ، وقد قتل جعفر فى بدء النكبة .

شكونا الى احبابنا طول ليلنا   فقالوا لنا ما اقصر الليل عندنا
وذاك لان النوم يغشى عيونهم   سراعاً ولايغشى لناالنوم اعينا
اذا مادناالليل المضر بذي الهوى   جزعنا وهم يستبشرون اذادنا
فلو انهم كانوا يلاقون مثلما   نلاقي لكانوافي المضاجع مثلنا

قال فاخذ الغناء بقلبى ولم يدر لي منه حرف فقلت يا جارية ما ادرى اوجهك احسن ام غناؤك ٠ فلو شئت اعدت قالت حبا وكرامة ثم اسندت ظهرها الى جدار ثم انبعثت تغنيه فما دار لي منه حرف فقلت لها لو تفضلت مرة اخرى فقطبت وكلحت وقالت ما اعجب احدكم يجيء الى الجارية عليها الضريبة فيشغلها فضربت يدي الى الدراهم الثلاثة فدفعتها اليها فاخذتها وقالت تريد مني صوتا احسبك تاخذ به الف دينار والف دينار والف دينار ثم غنت ففهمته ثم سافرت الى بغداد فال الامر الى ان غنيت الرشيد بهذا الصوت فرمى لي بثلاثة اكياس فتبسمت فقال مم تبسمت فاخبرته خبر الجارية فعجب من اصابتها

وفيها مات بكر بن النطاح أبو وائل الحنفي الشاعروهوبصرى نزل بغداد في زمن الرشيد فكان يعاشر ابا العتاهية واصحابه وكان ابو هفان يقول اشعرشعراء الغزل من المحدثين اربعة اولهم بكر بن النطاح ٠ قال النصر بن حديد كنا في مجلس فيه ابو العتاهية والعباس بن الاحنف وبكر بن النطاح ومنصور النميري والعتابي فقالوا لمنصور انشدنا فانشد مدائح الرشيد فقال ابو العتاهية لابن الاحنف اطرفنا بملحك فانشد

تعلمت الوان الرضى خوف عتبه   وعلمه حبي له كيف يغضب
ولي الف وجه عرفت مكانه   ولكن بلا قلب الى اين اذهب

قال ابو العتاهية القلوب من عتابك على خطر فكيف الجيوب وفي رواية اخرى الجيوب من هذا الشعر على خطر ولا سيما ان سبح بين حلق ووتر فقال بكر بن النطاح قد حضر لي شيء فى هذاالمعنى وانشد

اراNا معشر الشعراء قــومـاً بألسننا تنعمــت القلــوب
اذا أنبعثت قرائحــنا اتينــا بالفاظ تشق لها الجيــوب

قال العــتابي

ولا ســيما اذا ما هيجتنـــا بنات قد تجيب وتستجيب

قال النضر فما زلت معهم فى سرور وبلغ اسحق الموصلى خبرنا فقال اجتماع هولاء القوم من طرف الدهر

قال المبرد سمعت الحسن بن رجاء يقول حضرت بكر بن النطاح ومعه جماعة من الشعراء يتناشدون فلما فرغوا من طوالهم انشدهم

ما ضرها لو كتبــت بالرضــى فجفجفن العــين او اغمضا
شفاعــة مــردودة عنـــدها في عاشق تندم لو قد قضى
يا نفس صبرا فاعلــمي اننا نأمل منها مــثل ما قد مضى
لم تمرض الاجفان مــن قاتلي بلحظــه الا لان امرضـــا

قال فابتدروا يقبلون رأسه • ولما مات بكر بن النطاح رثاه ابو العتاهية فقال

مات ابن نطاح ابــو وائــل بكر وامسى الشعر قــد بانا

وفيها مات العباس بن الاحنف بن الاسود ابو الفضل الشاعــر كان من عرب خراسان وبغـــداد وكان ظريفا مقبولا حسن الشــعر قال عبدالله بن المعتز بالله لو قيل لي ما احسن شعر تعرفه لقلت شــعر العباس بن الاحنف •

قد سحب الناس اذيال الظنون بنا وفرق الناس فينا قولهم فرقــا
فكاذب قد رمى بالظــن غــيركم وصادق ليس يدري انه صدقا

قال عبدالله بن الربيع قال هرون الرشيد فى الليل بيتاً واراد ان يشفعه باخر فامتنع القول عليه فقال علي بالعباس بن الاحنـف فلـما طرق ذعر ففزع اهله فلما وقف بين يدي الرشيد قال وجهت اليك لبيت قلته ورمت ان اشفعه فامتنع القول على فقال ياامير المؤمنين دعنى حتى ترجع نفسي الي فاني قد تركت عيالي على حال من القلق عظيمة ونالني من

الخوف ما يتجاوز الحد والوصف فانتظر هنيهة ثم انشد الرشيد

جنان قد رايناها فلم نر مثلها بشرا

فقال العباس

يزيدك وجهها حسنا اذا ما زدتها نظرا

فقال الرشيد زدني فقال

اذا ما الليل مال عليك بالاظلام واعتكرا

وجى فما يرى قمر فابرزها تر القمرا

فقال له الرشيد قد ازعجناك وافزعناك واقل الواجب ان نعطيك ديتك فامر له بعشرة الاف درهم وصرفه

قال الاصمعى بنا انا ذات يوم قاعد فى مجلس بالبصرة اذا بغلام احسن الناس وجهاً ونوراً على رأسي فقال ان مولاى يريد ان يوصى اليك فقمت معه فاخذ بيدي حتى اخرجني الى الصحراء فاذا انا بالعباس بن الاحنف ملقى يجود بنفسه وهو يقول

يا بعيد الدار عن وطنه مفردا يبكي على شجنه

كلما جد النحيب به زادت الاسقام في بدنه

ثم اغمي عليه فانتبه بصوت طائر على شجرة وهو يقول

ولقد زاد الفؤاد شجا هاتف يبكى على فننه

شاقني ما شاقه فبكى كلنا يبكي على سكنه

ثم اغمي عليه فظننتها مثل الاولى فاذا هو ميت

وفيها مات الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي اخو جعفر ولد بالمدينة سنة سبع واربعين ومائة وأمه زبيدة بنت منير وارضعته الخيزران ام الرشيد اياما وارضعت امه الرشيد فصارا رضيعين فى ذلك • قال مروان بن ابي حفصة يمدحه

كفى لك فضلا ان افضل حرة غذتك بثدي والخليفة واحد

لقد زنت يحيى فى المشاهد كلها كما زان يحيى خالداً فى المشاهد

وكان الفضل اجود من اخيه جعفر وأندى راحة الا انه كان فيه

كبر شديد وكان جعفر اطلق وجهاً واظهر بشرا . وكان الناس يؤثرون لقاء الفضل . وهب الفضل لطباخه مائة الف درهم فعاتبه ابوه في هذا . فقال ان هذا صحبني وانا لا املك شيئاً واجتهد في حفظ صحتي وقال الشاعر

ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن

ووهب لبعض الادباء عشرة الاف دينار فبكى الاديب فقال اتبكي استقلالا لها قال لا والله ولكن اسفاً على الارض كيف تواري مثلك وولي للرشيد اعمالا جليلة بخراسان وغيرها فلما غضب الرشيد على البرامكة وقتل جعفراً خلد الفضل مع ابيه يحيى فى الحبس فلم يزالا محبوسين حتى ماتا فى حبسهما مات يحيى سنة تسعين ومائة ومات الفضل سنة اثنتين وتسعين ومائة قبل موت الرشيد بشهور وقيل مات فى سنة ثلاث وتسعين

قال علي بن الجهم عن ابيه قال اصبحت يوماً وانا فى غاية الضيقة ما اهتدى الى دينار ولا درهم ولا املك الا دابة عجفاء وخادما خلقا وطلبت الخادم فلم اجده ثم جاء فقلت اين كنت قال فى اجتهاد شيء لك وعلف لدابتك فوالله ما قدرت عليه فقلت اسرج لي دابتي فاسرجها فركبت فلما صرت في سوق يحيى اذا انا بموكب عظيم واذا الفضل بن يحيى فلما ابصرني قال سر فسرنا قليلا وحجز بيني وبينه غلام يحمل طبقاً على باب ينادي جارية فوقف الفضل طويلا . ثم قال سر فسرت ثم قال تدري ما سبب وقفتي قلت ان رأيت ان تعلمني . قال كانت لاختي جارية وكنت احبها حباً شديداً واستحي من اختي ان اطلبها منها ففطنت اختي لذلك فلما كان هذا اليوم البستها وزينتها وبعثت بها الي فما كان من عمري يوم اطيب من يومي هذا فلما كان هذا الوقت جاءني رسول امير المؤمنين فازعجني وقطع لذتي ولما صرت الى هذا المكان دعا هذا الغلام صاحب الطبق باسم تلك الجارية فارتحت الى ندائه فقلت اصابك ما اصاب اخا بني عامر حيث يقول .

وداع دعى اذ نحن بالخيف من منى فهيج احزان الفؤاد وما يدري
دعى باسم ليلى غيرها فكأنما اطار بليلى طائراً كان فى صدري

فقال اكتب لي هذين البيتين فعدلت لاطلب ورقة اكتب له هذين البيتين فيها فلم اجد فرهنت خاتمى عند بقال واخذت ورقة وكتبتهما وادركته بها فقال لي ارجع الى منزلك فرجعت ونزلت فقال لي الخادم اعطنى خاتمك ارهنه على قوتنا فقلت قد رهنته فما امسيت حتى بعث لي بثلاثين الف درهم جائزة وعشرة الاف سلفا عن شهر برزق اجراه لي فى كل شهر

قال عبدالله بن الحسن العلوي اتيت الفضل بن يحيى فاكرمني واجلسني معه على فراشه فكلمته فى ديني ليكلم امير المؤمنين في قضائه عني قال وكم دينك قلت ثلاثمائة الف درهم قال نعم فخرجت من عنده وانا مغموم لضعف رده علي فمررت ببعض اخواني مستريحا اليه ثم صرت الى منزلى فوجدت المال قد سبقني من ماله خاصة

وفيها مات محمد بن امية بن عمرو مولى بني امية وكان اصله من البصرة وكان شاعراً كاتباً وله اقارب كلهم شعراء وله اخبار حسنة كثيرة فى الشعر والبلاغة ٠

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائة وفيها كان خروج الرشيد الى ناحية خراسان قال صباح الطبري مولى علي بن جعفر الهاشمي ٠ شيعت الرشيد حين مضى الى خراسان فقال لي يا صباح ما احسبك تراني بعد هذا ابداً فقلت اعيذك بالله ياامير المؤمنين ان تقول هذا والله اني لارجو ان يبقيك الله لامة نبيه (صلعم) مائة سنة فتبسم وقال يا صباح انا والله ميت بعد قريب فقلت يا امير المؤمنين جعلني الله فداك والله اني ارى دما ظاهرا ووجها ناصعا وشبابا زائدا ومنة قوية وروحا طيبة ٠ فعمرك الله اكثر ما عمر من ملك على الارض وفتح لك ما فتح على ذي القرنين ولا ارى رعيتك فيك سوءا ٠ فالتفت الى جميعة كانت وراءه فقال تنحوا ثم قال مل بنا نحو تلك الشجرة حتى اسر اليك سرا ٠ قال فسرت معه

منحرفا عن الجادة نحوا من ثلاثمائة ذراع • فوقف فى ظل حائط ثم قال امانة في عنقك ان تخبر بما القى اليك احدا فقلت يا سيدى هذه مخاطبة الاخ اخاه وانا عبد يخاطبني مولاي مثل هذا • فقال والله لتقولن اني لا اقولها لاحد فانها امانة حتى اوديها اليك عند الله فقلت ذلك وكشف عن بطنه فاذا حرير قد عصب به بطنه وظهره ثم حول الي قفاه واخذ ثيابه عن ظهره فاذا قروح وتقابات قد واراها يخرق وادوية وقال منذكم هذا في قلت لاأدري قال ظهرت فى اوان سنة تسع وثمانين ومائة • ووالله ما اطلع عليها احد من الناس الا ابن بختيشوع ومسرور ورجاء • فاما ابن بختيشوع فانه بلغني انه اخبر المأمون ووالله لئن بقيت لابن الفاعلة لاتركنه يهيم فى طلب الخبز حتى يشغله ذلك عن اذاعة السر واما مسرور فانه اخبر الامين بعلتي وما منهم احد الاله عين علي فاي حياة تصفو لي واعز ولدي يحصي انفاسى ويستحث علتي ولقد بلغ من تبرمهم بي وبحياتي اذا اردت الركوب جاءوني ببرذون قطوف ليزيد فى علتي ويفسد علي جروحي فاكره ان اظهر هذا لهم فيستوحشون مني ومتى استوحشوا اظهروا من العداوة ما كان باطنا والعامة لهم ارجى والخاصة اليهم أميل وانا كالخائف بينهم اصبح فلا اطمع فى المساء وامسي فلا اطمع فى الصباح • فقلت يا سيدى ما احسن الجواب عن هذا ولكن اقول من ارادك بكيد فاراه الله ذلك الكيد في نفسه واراه الله تعالى فيك ما يسوءه وكبت عداك حيث كانوا فقال سمع الله دعاءك وقال انصرف ان اشغالك ببغداد كثيرة فرجعت وكان اخر عهدي به

ذكر وفاته

قيل دخل عليه مسرور يوماً وهو يبكي وبيده قرطاس يقرأ فقال له لا ابكى الله لك عينا ياامير المؤمنين ما سبب هذا البكاء فقال يامسرور بكائي والله اني غنيت بهذه الابيات ورمي الي بقرطاس فاذا فيه شعر لابي العتاهية

هل انت معتبر بمن خربت   يوما قضى فيه دساكره

وبمن اذل الدهر مصرعه فتبرأت منه عساكره
وبمن خلت منه اسرته فغدا وقد عطلت منابره
اين الملوك واين جندهم صاروا مصيراً انت صائره
يا جامع الدنيا للذته والمستعد لمن يكابره
نل ما بدا للك ان تنال من الدنيا فان الموت اخره

ثم قال يا مسرور هذه عظة من الله تعالى من حقها القبول واخرج مالا عظيما في الصدقة ووجوه البر واعتق عددا كثيرا من العبيد والاماء ثم خرج الى الحج فحج وقصد بلاد الروم فغزا وفتح. ثم عاد الى طوس فمرض مرضا شديدا وجمع الاطباء يعالجونه ثم قال

ان الطبيب بطبه ودوائه لا يستطيع دفاع محذور اتى
ما للطبيب يموت بالداء الذي قد كان يبرىء مثله فيما مضي
هلك المداوي والمداوى والذي جلب الدواء وباعه ومن اشترى

ثم توفي الرشيد فى جمادي الاولى من سنة ثلاث وتسعين ومائة عن خمس واربعين سنة وشهرين وستة عشر يوما ودفن هناك بطوس وخلافته ثلاث وعشرون سنة

ذكر اولاده

وهم محمد الامين وعبدالله المأمون ومحمد المعتصم وكلهم ولوا الخلافة وابو سليمان وابو على وابو ايوب محمد وكان فاضلا وله شعر حسن وابو احمد محمد وابو عيسى محمد وابو جعفر محمد وابو احمد محمد السبتي الزاهد الذي يزار وقد ذكرنا اخباره اولا . وصالح ولاه اخوه المأمون البصرة وحج بالناس والقاسم وابو محمد . واروى وام سلمة وخديجة وام جعفر . وام القاسم وريطة وحمدونة وسكينة وام محمد وام علي وام الحسن وام عرابة[1] وهي زوجة محمد بن علي بن موسى الرضى عم . وام ابيها وام الفضل وام حبيب وماردة وفاطمة وغالية وابو اسحق وحج بالناس وولاه اخوه المأمون الشام

(١) زوجة محمد بن علي الرضا هي ام حبيب بنت المأمون

وعلي وحج بالناس وقريب • وكل واحدة من بناته تعد عشرة من الخلفاء كلهم لها محرم • هرون ابوها والهادي عمها والمهدي جدها والمنصور جد ابيها والسفاح عم جدها والامين والمأمون والمعتصم اخوتها والواثق والمتوكل ابنا اخيها

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزر له يحيى بن خالد البرمكي وابناه الفضل وجعفر وعزلهم واستوزر الفضل بن الربيع الى آخر ايامه • واستقضى ابا يوسف يعقوب صاحب ابي حنيفة والواقدي واستحجب بشر بن ميمون مولاه ومحمد بن خالد بن برمك •

ذكر خلافة

الامين

هو ابو عبدالله محمد بن هرون الرشيد ولد بالرصافة شرقي مدينة السلام في شوال سنة سبعين ومائة امه زبيدة بنت جعفر بن المنصور • ولم يل الخلافة هاشمي من هاشميين سوى ثلاثة وهم علي بن ابى طالب وابنه الحسن (عم) ومحمد الامين هذا اتته الخلافة فى تاسع عشر من جمادي الاخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة وعمره ثلاث وعشرون سنة وأتاه الخبر بوفاة ابيه من طوس مع رجاء الخادم على البريد وكان المأمون اذ ذاك مرو فنادى فى الناس • ثم رقى المنبر وحمدالله واثنى عليه وصلى على النبي صلعم • ثم قال ايها الناس احسن الله عزائي وعزاءكم فى الخليفة الماضى وبارك الله لي ولكم فى خليفتنا الحادث (اي اخيه) ومد الله في عمره • ثم خنقته العبرة • فقال يا اهل خراسان جددوا البيعة لامامكم الامين فبايعه الناس جميعا • واما الامين فانه رقي المنبر بجامع الرصافة وحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلعم • ثم قال يا ايها الناس خصوصا يابنى العباس ان المنون بمرصد لذوي الانفاس حتم من الله لايدفع حلوله ولا ينكر نزوله •

فارتجعوا قلوبكم من الحزن على الماضى الى السرور بالباقى تحوزوا ثواب الصابرين وتعطوا اجر الشاكرين • فعجب الناس من جرأته • وكان ابيض طويلا سمينا صغير العينين به اثر جدرى • نقش خاتمه حسبي القادر • وكان كريما يعطى الصلات الكثيرة سوى الرسوم الراتبة وكان يقرب ابا نواس ويصله بالجوائز ومدحه باشعار كثيرة فمن ذلك قوله

واذا المطي بنا بلغن محمداً فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطيء الثرى فلها علينا حرمة وذمام
رفع الحجاب لنا فبان لناظر قمر تقطع دونه الاوهام
ملك اغر اذا نظرت بوجهه لم يروك التبجيل والاعظام

واول هذه القصيدة

يا دار ما صنعت بك الايام لم تبق فيك بشاشة تستام
عرم الزمان على الذين عهدتهم بك قاطنين وللزمان عرام
ايام لا اغشى لزينب منزلا الا مخالسة علي لمام
ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم وأسمت سرح اللهو حيث اساموا
وبلغت ما بلغ امروء بشبابه فاذا عصارة كل ذاك اثام

وهي قصيدة جيدة حذا ابو تمام حذوه فيها فقال

قصر عليه تحية وسلام خلعت عليه شبابها الايام(١)

ذكر قتله وسببه

وكان حسن له خلع اخيه المأمون من ولاية العهد وتولية ولده موسى فكاتبه يستدعيه الى بغداد • فعرف السبب واستدعاءه فامتنع ونفذ عسكراً صحبة طاهر بن الحسين ونفذ الامين ايضاً عسكراً فالتقوا فانكسر عسكر الامين وغنمت اموالهم ونزل عسكر طاهر بن الحسين على بغداد محاصراً لها وكان الامين متشاغلا بلهوه ولعبه وذاك

---

(١) قصيدة ابي تمام التى على هذا الروي مطلعها دمن الم بها فقال سلام كم حل عقدة صبرة الالمام اما هذه القصيدة فهي لاشجع السلمي راجع ص ٣١ من ج ٧ الاغانى طبعة ساسى .

مجد في القتال وفي الحصار واستمالة العساكر والوجوه الى ان ظفر بالامين فقتله ليلة الاحد خامس المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة بالجانب(١) الشرقي وقد عبر في سفينة فأمسك • ومن كلامه لما ظفر به • اذا لم تساعد المقادير ضعفت التدابير وحمل راسه الى المأمون وهو بخراسان ودفن جسده في مقابر قريش

ذكر اولاده

وهم عبدالله وكان جميلا فاضلا وله شعر لطيف فمن ذلك قوله

جار على وجنته مدمعه ... وزال عمن قد رجا مطمعه
في حب ظبي لك من وجهه ... اذا تجلي قمر يطلعه
قد اعطي الحسن مليا فما ... اصبح عنه احد يمنعه
في خده من صدغه عقرب ... تلسع من شاء ولا تلسعه

ثم موسى ولقبه الناطق بالحق وولاه العهد وخلع اخاه المأمون والقاسم وابراهيم

ذكر وزرائه وقضاته

وزر له الفضل بن الربيع الى اخر ايامه وأقر ابا يوسف صاحب ابي حنيفة على قضاء القضاة (هو اول من سمي قاضي القضاة) واستحجب العباس بن الفضل بن الربيع وكانت خلافته اربع سنين واربعة اشهر وليس له عقب فى الخلافة والخلفاء من ولد اخيه المعتصم

ذكر الحوادث التي جرت في ايام خلافته

لما تولى الخلافة كان نازلا ببغداد فى الخلد فتحول الى قصر المنصور بالمدينة ووعد الناس بالخير وبسط الامال للاسود والابيض وبايعه جملة اهل بيته وخواص مواليه وقواده وأمر للجند بمدينة السلام

(١) المعروف انه حاول العبور الى الجانب الشرقى فقبض قبل ان يصل اليه

برزق سنتين ورتب اسمعيل بن صبيح ومعه علي بن صالح على ديوان التوقيعات والرسائل وجعل علي بن عيسى بن ماهان على الشرط وقتل عبدالله بن خازم ودخل عليه ابو نواس فهناه بالخلافة وعزاه فى الرشيد فى بيت واحد انشأ يقول

جرت جوار بالسعد والنحس فنحن في وحشة وفي انس
العين تبكي والسن ضاحكة فنحن في مأتم وفي عرس
يضحكها القائم الامين ويبـ ـكيها وفاة الرشيد بالامس
بدران بدر اضحى ببغداد فى الـ خلد وبدر بطوس في الرمس

ثم قدم القادم بالبردة والقضيب والخاتم وقدم عليه حسين الخادم بالخزائن التى كانت مع الرشيد • وقدمت زبيدة من الرقة في اخر شهر رجب بخزائن الرشيد فتلقاها محمد بالانبار

ولما ولي الخلافة استبطأ الناس جلوسه وقالوا قد تشاغل باللهو فجلس وأمضى الامور وقال اتراني لاعرف الاصدار والايراد • ولكن شرب كاس وشم آس واستلقاء من غيره نعاس اجب الي من مداراة الناس •

وفيها مات اسمعيل بن ابراهيم بن مقسم بن بشر الاسدى مولاهم ويعرف بابن علية من اهل البصرة واصله كوفي سمع من ابي الفياج الضبعي حديثاً واحداً وروى الكثير عن عبد العزيز بن صهيب وايوب السختياني وابن عون وسليمان التيمي وحميد الطويل وحدث عنه ابن جريج وشعبة وحماد بن زيد وعبد الرحمن بن مهدي واحمد ويحيى وغيرهم وكان حافظا نفسه مأمونا ورعا ثبتا وكان يقرأ فى الليل ثلث القران وكانت اخباره فى الزهد والورع مشهورة غير منكرة اختصرنا بذكره عنها • وفيها مات محمد بن جعفر ابو عبدالله ويلقب غندر وهو مولى لهذيل بصرى صاحب سعيد ابن ابى عروبة وجالس شعبة نحواً من عشرين سنة وسمع جماعة غيره وكان اماما ثقة اخرج عنه في الصحيحين وكانت فيه سلامة صدر قيل يا غندر ان الناس يعظمون امر

السلامة التى بك قال يكذبون قلت فحدثني عنها بشيء صحيح • قال صمت يوما ثم نسيت ثم نسيت ثم ثنيت فثلثت واتممت صيامي • واشترى غندر سمكا وقال لاهله اصلحوه ونام فاكله عياله ولطخوا يده فلما انتبه قال قدموا السمك قالوا قد اكلت قال لا قالوا فشم يدك ففعل فقال صدقتم ولكن ما شبعت • وكان بعده ثلاثة نفر اسم كل واحد منهم محمد بن جعفر فلقب هو غندر

ثم دخلت سنة اربع وتسعين ومائة • فيها عزل محمد اخاه القاسم عن جميع ما كان ابوه هرون ولاه من عمل الشام وولاه خزيمة بن حازم وامره بالمقام بمدينة السلام • وفيها بدأ الفساد بين الامين والمأمون • وكان السبب فى ذلك ان الفضل بن الربيع فكر بعد مقدمه العراق على محمد منصرفا عن طوس وناكثا للعهود التي كان الرشيد اخذها عليه لابنه عبدالله وعلم ان الخلافة ان افضت الى المأمون يوما من الدهر وهو حي لم يبق عليه فسعى في اغراء محمد به وحثه على خلعه وصرف ولاية العهد من بعده الى ابنه موسى ولم يكن ذاك من رأى محمد الامين ولا فى عزمه بل كان فى الوفاء بما ضمن فلم يزل الفضل يصغر عنده شأن المأمون ويزين له خلعه فادخل معه فى ذلك علي بن عيسى بن ماهان والسندى وغيرهما فازاله عن رأيه فأول ما بدأ به محمد الامين عن رأي الفضل بن الربيع فيما دبر من ذلك ان كتب الى جميع العمال فى الامصار كلها بالدعاء لابنه موسى بالامرة بعد الدعاء له وللمأمون فلما بلغ المأمون وعرف عزل القاسم واقدامه على التدبير على خلعه قطع البريد عن محمد واسقط اسمه من الطراز والضرب وحث الفضل بن الربيع وعلي بن عيسى بن ماهان الامين في البيعة لابنه موسى وخلع المامون • وكان الامين يشاور في خلع المأمون فينهاه القواد وقال له خزيمة بن حازم لاتجرء القواد على الخلع فيخلعوك ولاتحملهم على نكث العهد فينكثوا عهدك • فبايع

لابنه موسى واحضنه على بن عسى بن ماهان وولاه العراق ووجه الى مكة كتابا مع رسول من حجبة البيت فى اخذ الكتابين الذين كانهرون كتبهما وجعلهما فى الكعبة فقدم بهما عليه وتكلم فى ذلك بقية الحجبة فلم يحفل بهم فلما اتاه بهما اجازة عظيمة ومزقهما

ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائة فيها امر الامين باسقاط الدنانير والدراهم التي ضربت لاخيه المأمون بخراسان وسبب ذلك ان المامون كان امر الا يثبت فيها اسم محمد وكانت تجوز حينا • وفيها نهى الامين عن الدعاء على المنابر فى عمله كله للمامون والقاسم وامر بالدعاء لنفسه ثم لابنه موسى • وفيها شخص علي بن عيسى بن ماهان الى الري لحرب المامون • وفيها طرد طاهر بن الحسين عمال محمد الامين عن قزوين وسائر كور الجبل • وفيها ظهر السفياني بالشام واسمه علي بن عبدالله بن خالد بن يزيد بن معوية • فدعا الى نفسه وذلك في ذي الحجة وطرد عنها سليمان بن ابي جعفر بعد ان حصره بدمشق • وفيها مات الحسن بن هاني بن جناح بن عبدالله بن الجراح ابو علي الشاعر المعروف بابي نواس ويقال له الحكمى وفى ذلك قولان احدهما انه نسبة الى جده الاعلا وهو حكم بن سعد العشيرة والثاني انه مولى الجراح ولد بالاهواز ونشأ بالبصرة وقرأ القرآن على يعقوب الحضرمي واختلف الى ابي زيد النحوى وكتب عنه الغريب والالفاظ وحفظ عن ابي عبيدة ايام العرب ونظر فى نحو سيبويه • قال الجاحظ ما رايت احدا كان اعلم باللغة من ابي نواس ولا افصح لهجة مع حلاوة ومجانبة استكراه • وسمع الحديث من حماد بن زيد ومعتمد بن سليمان وعبدالواحد بن زيد وغيرهم واسند الحديث وروى عن حماد بن زيد عن يزيد الرقاشي عن انس بن مالك قال • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم • لايموت احدكم حتى يحسن الظن بالله فان حسن الظن بالله من الخير • قال ابن كثير دخلنا على ابي نواس نعوده فى مرضه الذي مات فيه فقال له عيسي بن موسى الهاشمي يا ابا علي انت في اخر يوم من

أيام الدنيا وأول يوم من أيام الاخرة وبينك وبين الله هنات فتب الى الله فقال أبو نواس أسندوني فلما استوي جالسا فقال اياي تخوف بالله وقد حدثني حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله (صلعم) لكل نبي شفاعة واني اختبأت شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي يوم القيامة فترى لا أكون منهم • قال أبو عبيدة كان أبو نواس للمحدثين مثل امرىء القيس للمتقدمين • قال أبو نواس ما قلت من الشعر شيئا حتى رويت لستين امرأة من العرب • منهن الخنساء وليلى فما ظنك بالرجال وله أشعار فى مدائح الخلفاء • قال ابن مناذر الشاعر دخل سليمان بن المنصور على محمد الامين فرفع اليه أن أبا نواس هجاه وأنه زنديق حلال الدم وأنشده من أشعاره المنكرة أبياتا فقال يا عم أقتله بعد قوله :

صدق الثناء على الامين محمد ومن الثناء تكذب وتخرص
قد ينقص القمر المنير اذا استوى وبهاء وجه محمد لا ينقص
واذا بنو العباس عد حصاهم فمحمد يا قوتها المتخلص

فغضب سليمان وقال والله لو شكوت من عبدالله يعني ابن الامين ما شكوت من هذا الكافر لرجوت أن تعاقبه فكيف منه • فقال يا عم كيف بقوله :

قد أصبح الملك بالمنى ظفرا كأنما كان عاشقا قدرا
حسبك وجه الامين من قمر اذا طوى الليل دونك القمرا
خليفة يعتنى بأمته وان أتته ذنوبها غفرا
حتى لو استطاع من تحننه دافع عنها القضاء والقدرا

فازداد سليمان غيظا فقال يا عم كيف أعمل بقوله :

يا كثير النوح فى الدمن لا عليها بل على السكن
سنة العشاق واحدة فاذا أحببت فاستكن

ظن بی من قــد كلفت بــه — فهو يجفــونی عــلی الظنن
بــات لا يعنيــه مــا لقيت — عــين ممنوع مــن الوســن
رشــا لــولا محاســنه — خلت الدنيــا من الفتــن
تضــحك الدنيــا الی ملك — قــام بالاحــكام والســنن
يــا أمــين الله عش أبــدا — دم عــلی الايــام والزمن[١]
أنت تبقــی والفنــاء لنــا — فــاذا أفنيتنــا فــكن

قال فانقطع سليمان عن الركوب فأمر الامين بحبس أبی نواس فلما طــال حبسه كتب اليه بهــذه الابيات :

تذكــر أمين الله والعهــد يذكر — مقامي وانشاديك والنــاس حضر
ونثري عليك الــدر يا در هاشم — فيا من رأى درا عــلى الدر ينثــر
أبــوك الذي لم يملك الارض مثله — وعمك موسى عــدله المتخــير
ومن مثل منصور يك منصور هاشم — ومنصور قحطــان اذا عــد مفخر
وجدك مهــدي الهــدى وشقيقه — أبو أمك الادنى أبو الفضل جعفــر
فمن ذا الذي يرمي بسهميك في العلا — وعبــد مناف والــداك وحمــير
تحسنت الدنيــا بحسن خليفــة — هــو الصبح الا أنه الدهــر مسفر
يشب اليــه الجــود من وجناتــه — وينظر من أعطافه حــين ينظــر[٢]
مضت لي شــهور مذ حبست ثلاثة — كأني قــد أذنبت ما ليس يغفــر
فان أك لم أذنب ففيــم[٣] عقوبتي — وان كنت ذا ذنب فعفــوك أكبــر

فلما قرأ محمد الابيات قال اخرجوه وأجيزوه ولو غضب ولد المنصور كلهم • وكان أبو نواس قد غلب عليه حب اللهو واللعب وحب المعاصی ولا

---

(١) فی الديوان عجز البيت الرابع هو عجز البيت الثالث وليس فيــه عجز الثالث •
(٢) فی الديوان : « يشير اليه الجود من وجناته » •
(٣) رواية الديوان : « حبستنی » •

يجوز أن نذكر أفعاله المذمومة فان الله غفور رحيم وقد تاب في أخر عمره وأقلع عن الذنوب • ووردت الاخبار عنه بذلك في أخر عمـره وانما كان استهتاره في أول العمر • قال أبو العتاهية لقيت أبا نواس فيالمسجد الجامع بالبصرة فعذلته وقلت له أما آن لك أن تزدجر • فرفعرأسه الي وهو يقول:

أترانـــي يـــا عتـــاهي تاركـــا تلك الملاهـــي
أتـــرانى مفســـدا بالنـ ـسك عنـد القـوم جاهي

قال فلما ألححت عليه بالعذل أنشأ يقـــول :

لن ترجـــع الانفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجـر

قال فوددت اني قلت هذا البيت بكل شيء قلت • قال علي بن محمد ابن زكريا • دخلت على أبي نواس وهو يجود بنفسه فقال لي أتكتب قلت نعم فأنشأ يقـــول :

دب في الفنـاء سـفلا وعلـوا وأراني أمـوت عضوا فعضـوا
ذهبت[1] شرتي بجدة نفســـي وتذكـــرت طاعـــة الله نضـوا
ليس من ســاعة مضت لي الا نقصتني بمـــرها بي جـــزوا
لهف نفسي عـلى ليـــال وأيـا م تمليتهن لعبـــا ولهـــــوا
قد[2] أسأنا كل الاســـاءة يا ر ب فصفحا عنـــا الهي وعفـــوا

ولما احتضر أبو نواس قال اكتبوا هذه الابيات على قبري :

وعظتك[3] أجداث صـــمت ونعتـــك أزمنـــــة خلت
وارتك قبـــرك في القبـــو ر وأنـــت حي لـــم تمت
وتكلـــمت عـــن أوجـــه تبـلى وعن صـور سـبت

---

(١) في الديوان : ذهبت جدتي بطاعة نفسي •

(٢) الذى في الديوان : قد أسأنا كل الاساءة فاللهم صفحا عنا وغفـــرا وعفوا •

(٣) لم ترد هذه المقطعة في الديوان من طبعة دار صادر •

توفي أبو نواس في سنة خمس وتسعين ومائة وكان عمره تسعا وخمسين سنةودفن بمقابر الشونيزي في تلاليهود • قال محمد بنرافع كان أبو نواس لي صديقا فوقعت بيني وبينههجرة في آخر عمره ثم بلغتني وفاته فتضاعف علي الحزن • فبينما أنا بين النائم واليقظان • اذ انا به فقلت أبا نواس فقال لات حين كنية قلت الحسن بن هانىء قال نعم • قلت ما فعل الله بك • قال غفر لى بابيات قلتها هي تحتوسادتي فأتيتأهله فلما أحسوا بي أجهشوا بالبكاء فقلت لهمهل قال أخي شعرا قبل موته قالوا لا نعلم الا أنه دعا بدواة وقرطاس وكتب شيئا لا ندرى ما هو قلت ايذنو لى أدخل قال فدخلت الى مرقده فاذا ثيابه لم تحرك بعد فرفعت وسادة فلم ار شيئا ثم رفعت أخرى فاذا برقعة فيها مكتوب •

يارب ان عظمت ذنوبى كثرة　　فلقد علمت بان عفوك أعظم
ان كان لا يرجوك الا محسن　　فبمن يلوذ ويستجير المجرم
أدعوك رب كما أمرت تضرعا　　فاذا رددت يدي فمن ذا يرحم
مالى اليك وسيلة الا الرجا　　وجميل عفوك ثم انى مسلم

وفيها مات محمد بن حازم أبو معاوية الضرير التميمي مولى سعد بن زيد مناة ولد سنة ثلاث عشرة ومائة وعمى بعد اربع سنين لازم الاعمش عشرين سنة وكان أثبت أصحابه وكان يقدم علي الثوري وشعبة وكان حافظا للقرآن ثقة لكنه كان يرى رأي المرجئة• روى عنه أحمد ويحيى وخلق كثير قالأبو معاوية حججت مع جدي أبي أمي وأنا غلام فرآني أعرابي فقال لجدي ما يكون هذا منك قال ابني قال ليس بابنك قال ابن ابنتى قال ليكونن لهذا شأن وليطأن برجليه هاتين بسط الملوك فلما قدم الرشيد بعث الي فلما دخلت عليه ذكرت حديث الاعرابي فأخذت ألتمس برجلي البساط فقال يا أبا معاوية ما هذا ولم تلتمس البساط فحدثته حديث الاعرابى فعجب منه • قال وحركنى شيء فقلت يا أمير المؤمنين أحتاج الى الخلاء فقال للامين والمأمون خذا بيد عمكما فأرياه الموضع فأخذا بيدي فأدخلاني الموضع فشممت منه رائحة طيبة فقالا لي هذا

الموضع فشأنك فقضيت حاجتي • وأكل أبو معاوية مع الرشيد فصب على يديه فقال يا أبا معاوية من يصب عليك قال لا أدري قال أمير المؤمنين قال انما أجللت العلم فأكرمك الله وأجلك ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائة وفيها وجه محمد الامين الى عبدالله المأمون احمد بن مزيد فى عشرين الفا وعبدالرحمن بن حميد ابن قحطبة في عشرين ألفا وأمرهما أن يدفعا طاهرا عن حلوان •

وفيها رفع المأمون منزلة الفضل بن سهل وقدره • وفيها تولى الحسن بن سهل ديوان الخراج وفيها خلع محمد بن هارون الرشيد وأخذت عليه البيعة للمأمون ببغداد وحبس فى قصر ابى جعفر مع أم جعفر وسبب ذلك ان عبدالملك ابن صالح لما جمع الناس ثم تفرقوا مات بالرقة فرد الجند الحسين بن على بن ماهان الى بغداد[1] • وفيها مات محمد بن زيد بن سليمان أبو الشيص الشاعر وكان ابو الشيص سريع الخاطر ، الشعر عليه أهون من شرب الماء • عن أبي عبيد قال اجتمع مسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو الشيص ودعبل بن علي الخزاعي في مجلس فقالوا لينشد كل واحد منكم أجود ما قال من الشعر فقال - قبل ان ينشدوا - رجل كان معهم أسمعوا اخبركم بما ينشد كل واحد منكم قالوا هات • قال لمسلم أما أنت فكأنى بك قد أنشدت قولك

اذا ما علت منا ذؤابة واحد — وان كان ذا حلم دعته الى الجهل
هل العيش الا أن تروح مع الصبا — وتغدو صريع الكأس والاعين النجل

قال وبهذا البيت لقب صريع الغوانى لقبه به الرشيد فقال له مسلم صدقت • ثم أقبل على أبى نواس فقال له كأنى بك قد أنشدت

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند — واشرب على الورد من حمراء كالورد
خمر اذا انحدرت فى حلق شاربها — اجدته حمرتها فى العين والخد
فالخمر ياقوتة والكأس لؤلؤة — من كف جارية ممشوقة القد
تسقيك من عينها خمرا ومن يدها — خمرا فما لك عن سكرين من بد

---

(١) لم يكمل ذكر السبب فى خلع الامين وحبسه •

فقال صدقت • ثم أقبل على دعبل بن عبدالله فقال كأنى بك تنشد

اين الشباب واية سلكا   لا اين يطلب ضل بل هلكا
لا تعجبى يا سلم من رجل   ضحك المشيب برأسه فبكى

فقال صدقت • ثم أقبل على ابى الشيص فقال كأنى بك قد انشدت

لا تنكري صدي ولا اعراضي   ليس المقل عن الزمان براضي

فقال لا ما هذا اردت ان انشد ولا هذا باجود شيء قلته قالوا فانشدنا ما بدا لك فانشدهم

وقف الهوى بى حيث انت فليس لى   متأخر عنه ولا متقدم
اجد الملامة فى هواك لذيذة   حبا لذكرك فليلمني اللوم
اشبهت اعدائى فصرت احبهم   اذ كان حظى منك حظى منهم
وأهنتنى فأهنت نفسى عامدا   مامن يهون عليك ممن تكرم

فقال أبو نواس أحسنت والله واجدت • وعمي أبو الشيص في آخر عمره واخذ ابو نواس المعنى الذى فى البيت فنقله الى المديح نقلا خفيا فى قصيدته التى مدح بها الخصيب فقال

وما جازه جود ولا حل دونه   ولكن يصير الجود حيث يصير

ونقل المعنى الفرزدق (١) الى باب المراثى فقال

ان الفصاحة والسماحة والحجى   في قبة ضربت على ابن الحشرج

ونقله غيره الى الهجاء فقال (٢)

انتم قرارة كل معدن سوءة   ولكل سائلة تسيل قرار

---

(١) كيف يأخذ الفرزدق من أبى الشيص وأبى نواس والبيت بعد لزياد الاعجم •

(٢) هذا البيت للفرزدق وهو على رأى المؤلف مأخوذ من بيت أبى الشيص والامر لله •

ونقله ابو منصور النمرى أيضا الى المديح فقال

خليفة الله ان الجـــود اودية   أحلّك الله منهـــا حيث تجتمـع

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائة فيها خرج القاسم بن الرشيد ومنصور ابن المهدى من العراق فلحقا بالمأمون • وفيها حاصر طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين وزهير بن المسيب محمد بن هارون ببغداد فنزل زهير قصر رقة كلواذى ونصب المجانيق والعرادات واحتفر الخنادق وجعل يخرج فى الايام عند أشتغال الناس بحرب طاهر فيرمى بالعرادات من أقبل ومن أدبر ويعشر أموال التجار وبلغ من الناس كل مبلغ • فشكوا منه الى طاهر ونزل هرثمة بنهر بين وجعـل عليه حائطا وخندقا واعد المجانيق والعرادات وانزل عبيد الله بن الوضـــاح الشماسية ونزل طاهر البستان بباب الانبار فانزعج لذلك محمد الامين ونفـد ما كان عنده وأمر ببيع ما في الخزائن من الامتعة وضرب آنية الفضة والذهب دنانير ودراهم وكثر الهدم والخراب حتى درست محاسن بغداد وارسل طاهر الى الارباض من طريق الانبار وباب الكوفة وما يليهما فكل ناحية اجابه اهلها خندق عليهم ووضع مسالحه ومن أبي قاتله وأحرق منزله فذلت الاجناد وتواكلت عن القتال وبقى اهل السجون والاوباش والرعاع والطرارين وكان حاتم بن الصقر قد اباحهم النهب وخرج من اصحاب طاهر رجل من أهل النجدة فنظر الى قوم عراة لاسلاح معهم فقال لاصحابه ما يقاتلنا الا من أرى استهانة بأمرهم فأوتر قوســه وتقـدم فقصده أحـدهم وفي يده مقـيرة وتحت ابطه مخـلاة فيها حجارة فجعل الخراسانى كلما رمى بسهم أستتر منه العيار فوقع فى باريته فيأخذه فيجعله فى موضع من البارية قد هيأه كالجعبة فانفد الخراسانى نشـابه ثم حمل على العيار ليضربه بالسيف فاخرج العيار حجرا من مخلاته فجعله فى مقلاع ورماه فما أخطأ به عينه ثم ثناه بآخر فكاد أن يصرعه عن فرسه فكر راجعا هو يقول ليس هؤلاء بانس وحدث طاهرا فضحك وأعفاه من القتال • وقال في هذا بعض شعراء بغداد

أخرجت هـذه الحروب رجـالا لا لقحطانهـــا ولا لنـــزار
معشرا فى جواشن الصوف يغدو ن الى الحرب كالاسود الضوارى
وعليهم مغافر الخـــوص تجزي هم عن البيض والتراس البوارى
ليس يدرون ما الفـرار اذا الاب طال عاذوا من القنا بالفـــرار
واحد منهم يشـــد على البـــا قين عـــريان ما له من ازار
ويقول الفتى اذا طعـــن الطع نـــة خـذها من الفتى العيـــار
كم شريف قد اخملته وكم قـد رفعت من مغامـــر طـــراد

ولم يزل طاهر يصابر محمد الامين وجنده حتي مل أهل بغداد ممـــا لقـــوا

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائة وفيها قتل محمد الامين • ولما تيقن محمد انه لا عدة له للحصار وخاف ان يظفر به وباصحابه صار اليه حاتم بن الصقر ومحمد بن ابراهيم وقواده وقالوا له قد آلت حالك وحالنا الى ما ترى وقد رأينا رأيا نعرضه عليك فانظر فيه فانا نرجو ان يكون صوابا قال ما هـو قالوا قد تفرق عنك الناس واحاط بك عدوك من كل جانب وقد بقى من خيلك معك الف فارس ونرى ان نختار من قد عرفناه بمحبتك من الابناء سبعمـائة رجل وتخرج ليلا من هذه الابواب حتى تلحق بالجزيرة والشـــام فتفرض وتجبى الخراج وتصير فى مملكة واسعة يسارع اليك الناس فقال نعم ما رأيتم واعتزم على ذلك • فخرج الخبر الى طاهر بن الحسين فكتب الى سليمان بن أبي جعفر والى محمد بن عيسى بن نهيك والى السندي بن شاهك : والله لئن لم تردوه عن هذا الرأي لا تركت لكم ضيعة الا قبضتها ولا يكون لي همة الا أنفسكم • فدخلوا على محمد فقـــالوا قـــد بلغنـــا ما عزمت عليـــه ولسنا نأمن من الذين تخرج معهم أن يأخذوك أسيرا أو يأخذوا رأسك • فاضرب عما كان عزم عليه ومال الى طلب الامان • فلما اشتد الحصار عليه فارقه سليمان ابن أبي جعفر وابراهيم بن المهدي ومحمد بن عيسى فلحقوا جميعا بعسكر

المهدي وناظر محمد أصحابه في طلب الامان فقال له السندي بادر بنا الى هرثمة واخرج ليلا • فغضب طاهر واراد ان يخرج اليه فقيل له يخرج الى هرثمة لانه يأنس به ويدفع اليك الخاتم والقضيب والبردة وذلك الخلافة فاجاب الى ذلك ثم قيل لطاهر هذا مكر منه وان الخاتم والقضيب والبردة تحمل معه الى هرثمة فاغتاظ وكمن حول القصر كمينا بالسلاح فلما اراد محمد الخروج أستسقى ماء فلم يوجد له فدعا بولديه وضمهما وقبلهما وقال استودعكما الله وجعل يمسح دموعه بكمه ولبس ثياب الخلافة وركب يريد هرثمة وبين يديه شمعة فلما انتهي الى دار الحرس قال لخادمه أسقني ماء من حباب الحرس فناوله كوزا فعافه لسهوكته فلم يشرب فلما ان صار الى الحراقة خرج أصحاب طاهر فرموا الحراقة بالسهام فغرق محمد ومن كان معه فيها فشق محمد ثيابه وسبح حتي صار في بستان موسى فعرفه محمد بن حميد الطاهري فصاح بأصحابه فنزلوا فبادر محمد الماء فاخذوا بساقه ثم حمل على برذون والقي عليه ازار من أزر الجند وحمل الى منزل ابراهيم بن جعفر البلخي وارتدف خلفه رجل يمسكه لئلا يسقط كما يفعل بالاسير وقيل انه عرض على الذين اخذوه مائة حبة قيمة كل واحدة الف درهم فأبوا ان يتركوه وجاء الخبر بذلك الى طاهر فدعى مولى له يقال له قريش الدنداني وامره بقتل محمد فلما انتصف الليل فتح باب الدار أقوام من العجم بأيديهم السيوف مسللة فلما رآهم قام وجعل يقول انا لله وانا اليه راجعون ذهبت والله نفسي في سبيل الله أما من حيلة أما من مغيث • فلما وصلوا اليه احجموا عن الاقدام وجعل بعضهم يقول لبعض تقدم فاخذ محمد بيده وسادة وجعل يقول ويحكم اني ابن عم رسول الله وابن هارون الرشيد واخو المأمون الله الله في دمي • فدخل عليه رجل يقال له خمارويه غلام لقريش الدنداني مولى طاهر فضربه بالسيف ضربة وقعت على مقدم رأسه وضرب محمد وجهه بالوسادة ودخل جماعة فنخسه واحد منهم بالسيف في خاصرته وركبوه وذبحوه ذبحا من قفاه واخذوا رأسه فمضوا به الى طاهر وتركوا جثته فنصب طاهر رأس محمد على رأس زج رمح على برج حائط

البستان وتلى : قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء الى اخر الآية وخرج من أهل بغداد مالا يحصى عددهم ينظرون اليه ثم بعث برأسه الى المأمون مع الخاتم والقضيب والبردة فأمر له بألف ألف دينار وأدخل الرأس ذو الرئاستين بيده الى المأمون يوم الجمعة فلما رآه سجد واعطى طاهر بعد قتل محمد للناس كلهم الامان وهدأ الناس ودخل طاهر المدينة وصلى بالناس وخطبهم وحض على الطاعة ولزوم الجماعة وانصرف الى معسكره • وفيها ورد الكتاب من المأمون بعد قتل الامين محمد بخلع القاسم بن هارون وفيها بويع المأمون البيعة العامة•

ذكر خلافة

المأمون

وهو أبو العباس عبدالله بن هارون الرشيد مولده كان بالياسرية في ليلة الجمعة للنصف من شهر ربيع الاول سنة ست وسبعين ومائة وصارت الخلافة اليه فى خامس عشر من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة وهو أذ ذاك بمرو فتوجه الى بغداد فوصلها يوم السبت سادس عشر صفر من سنة اربع ومائتين • واكتنى فى خلافته بابى جعفر تفاؤلا بكنية المنصور والرشيد فى طول العمر وكان مولده ليلة استخلف الرشيد وكان أبيض الوجه أجنا أعين جميلا طويل اللحية ضيق الجبهة بخده خال أسود تعلوه صفرة • ساقاه من بين سائر جسده صفراوان وأمه أمة أسمها مراجل ماتت بعد ولايته بقليل وكان ذكيا قال ابو محمد اليزيدي كنت أؤدب المأمون وهو صغير في حجر سعيد الجوهري قال فأتيته يوما وهو داخل الدار العامرة فوجهت اليه بعض خدمه يعلمه بمكاني فأبطأ علي ثم وجهت آخر فأبطأ فقلت لسعيد الجوهري ان هذا الفتى ربما تشاغل بالبطالة وتأخر قال اجل ومع هذا فانه أذا فارقك عرم على خدمه ولقوا منه أذى شديدا فقومه بالادب فلما خرج أمرت بحمله فضربته سبع درر قال فانه ليدلك عينيه من البكاء اذ قيل جعفر بن يحيى فأخذ منديلا فمسح عينيه من البكاء

ومسح ثيابه وقام الى فرشه فقعد عليها متربعا ثم قال ليدخل فدخل فقمت من المجلس وخفت ان يشكونى اليه فالقى منه ما أكره فاقبل عليه بوجهه وحدثه حتى أضحكه وضحك اليه فلما هم بالحركة دعا بدابته وأمر غلمانه فسعوا بين يديه • ثم سأل عني فجئت فقال خذ علي ما بقي من حزبي • فقلت أيها الامير أطال الله بقاءك لقد خفت ان تشكونى الى جعفر بن يحيى ولو فعلت ذلك لتنكر لى • فقال أترانى يا ابا محمد كنت أطلع الرشيد على هذا فكيف جعفر ابن يحيى حتى أطلعه اني أحتاج الى الادب يغفر الله لك بعد ظنك • خذ في أمرك فقد خطر ببالك ما لا تراه ابدا ولو عدت فى كل يوم مائة مرة • وقال الرشيد لابي معاوية الضرير وهشام اني أسمع من ابني هذا يعني المأمون كلاما لا أدري أمن تلقين القيم أم من قريحته فأدخلا عليه فدخلا عليه وهو في أثواب صباه فقالا ان أمير المؤمنين أمرنا بالدخول عليك نناظرك • فأي العلوم أحب اليك قال أمتعها لي قالا وما أمتعها قال أبينها عن قائلها وأقربها من فهم مستمعها فقال هشام جئناك لنعلمك فتعلمنا منك • ثم أخبرا الرشيد أن شيئا يكون هذا أوله لحقيق أن يرجى آخره • فأعتق عنه مائة عبد وأمة وألزمهما خدمته •

وبلغنا ان أم جعفر عاتبت الرشيد على تقريظه المأمون دون أبنها محمد فدعى خادما بحضرتها وقال له وجه الى محمد وعبدالله خادمين خصيين يقول لكل واحد منهما على الخلوة ما يفعل به اذا افضت الخلافة اليه • فاما محمد فقال للخادم الذي مضى اليه أقطعك وأوليك وابلغ بك وأما المأمون فرمى الخادم بالدواة وقال يا ابن اللخناء تسألني ما أفعل بك لموت أمير المؤمنين اني لارجو ان نكون جميعا فداء له فرجع بالخبر كل واحد منهما فقال الرشيد لام جعفر كيف ترين ما قدم ابنك الا متابعة لرأيك وتركا للحزم •

وقد كان المأمون يعنى بالعلوم قبل ولايته كثيرا حتى جعل لنفسه مجلس نظر •

قال يحيى بن أكثم كان المأمون قبل تقلده الخلافة يجلس للنظر فدخل يهودي حسن الوجه طيب الرائحة حسن الثوب فتكلم فأحسن الكلام فلما تقوض المجلس دعاه المأمون فقال أاسرائيلي قال نعم قال أسلم حتى أفعل بك وأصنع فقال ديني ودين آبائي فلا تكلفني تركه فلما كان بعد سنة جاءنا وهو مسلم فتكلم في الفقه فاحسن الكلام فلما تقوض المجلس دعاه المأمون فقال له الست صاحبنا بالامس وقد كنت عرضته عليك فأبيت • قال اني أحسن الخط فمضيت فكتبت ثلاث نسخ من التوراة فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الى الكنيس فبعتها فاشتريت فكتبت ثلاث نسخ من الانجيل فزدت ونقصت وأدخلتها الى البيعة فاشتريت قال وعمدت الى القرآن فكتبت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت وادخلتها الى الوراقين فعرضتها فكلما تصفحوها فرأوا الزيادة أو النقصان رموها فعلمت ان هذا كتاب محفوظ فكان سبب اسلامى • قال يحيى بن اكثم حججت فرأيت سفيان بن عيينة فحدثته بهذا الحديث فقال مصداق هذا فى كتاب الله عز وجل قلت فى أى موضع فقال فى قوله تعالى فى التوراة والانجيل بما أستحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فجعل حفظه اليهم فضاع وقال عز وجل انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فحفظه الله تعالى علينا فلم يضع •

ولما استوثق الامر للمأمون ولى الحسن بن سهل أعمال طاهر بن الحسين من كور العراق وفارس والاهواز والكوفة والبصرة والحجاز واليمن وكتب المأمون الى طاهر بتسليم جميع ما فى يده من أعمال فى البلدان كلها الى خلفاء الحسن بن سهل وولاه الموصل والجزيرة والشام والمغرب •

وكان المأمون يحفظ القرآن وقد سمع الحديث من مالك بن أنس وحماد بن زيد وهشيم وغيرهم وكان له حظ من علوم كثيرة ثم أسند الحديث ولم يحفظ القرآن احد من الخلفاء الا عثمان بن عفان والمأمون • قال ذو الرئاستين ختم المأمون فى رمضان ثلاثا وثلاثين ختمة •

روي المأمون باسناده عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلعم : من

عال ابنين أو ثلاثة وأختين أو ثلاثا حتي يمتن أو يموت عنهن كان معي في الجنة كهاتين واوما حماد بن سلمة بالوسطى والشاهدة •

قال ابن عيينة جمع المأمون العلماء وجلس للناس فجاءت امرأة فقالت يا أمير المؤمنين مات أخى فخلف ستمائة دينار فاعطونى دينارا واحدا وقالوا هذا نصيبك فحسب المأمون ثم قال هذا نصيبك رحمك الله فقال له العلماء كيف علمت يا أمير المؤمنين قال سمعت ان هذه القسمة قسمها أمير المؤمنين علي عليه السلام على هذا الحكم • وقد جرى ذكر شرحها آنفا •

قال المأمون لابن الاعرابى أخبرنى عن أحسن ما قيل فى الشراب فقال يا أمير المؤمنين قوله

تريك القذى من دونها وهى دونه اذا ذاقها من ذاقها يتمطق

قال أشعر منه الذى يقول يعنى أبا نواس

فتمشت فى مفاصلهم كتمشى البرء فى السقم
فعلت فى البيت اذ مزجت مثل فعل الصبح فى الظلم
فاهتدى ساري الظلام بها كاهتداء السفر بالعلم

فقلت فائدة يا أمير المؤمنين فقال اخبرنى عن قول هند بنت عتبة •

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

من طارق هذا فنظرت فى نسبها فلم أجده قلت يا أمير المؤمنين ما أعرف طارقا في نسبها • فقال أنما ارادت النجم فانتسبت اليه بحسنها من قوله تعالى والسماء والطارق • فقلت فائدتان يا أمير المؤمنين • فقال انا لؤلؤ هذا الامر وابن لؤلوئه • ثم رمى الي بعنبرة كان يقلبها في يده فبعتها بخمسة آلاف درهم •

قال يحيى بن اكثم كنت عند المأمون اذاكره واحدثه فغفا ثم أنتبه فقال يا يحيي انظر الى شيء عند رجلي فنظرت تحت فراشه الى حية بطوله فقتلوها •

فقلت انضاف الى كمال أمير المؤمنين علم الغيب فقال معاذ الله ولكن هتف بي هاتف الساعة وانا نائم فقال :

يا راقـد الليـل انتبـه ان الخطـوب لها سـرى
ثقـة الفتـى بزمانـه ثقـة محـللة العـرى

فانتبهت فزعا فعلمت ان قد حدث أمر ما قريب او بعيد قال فتأملت باقرب زمان فكان ما رأيت .

وقيل بكر احمد بن ابى خالد يقرأ على المأمون قصصا فجاع فمـرت به قصة عليها فلان بن فلان اليزيدي فقرأ الثريدي فقال المأمون يا غلام صحفة مملوة ثريدا لابي العباس فانه أصبح جائعا فاستحيا وقال ما أنا بجائع ولكـن صاحب القصة أحمق نقط على الياء ثلاث نقط فقال ماأنفع حمقه لك . فاحضرت صحفة مملوة ثريدا وعراقا وودكا فخجل أحمد فقال له المأمون بحياتى الا ملت اليها فأكلت فعدل فأكل حتى أكتفى ثم غسل يديه وعاود القراءة فمرت بهقصة عليها فلانابن فلان الحمصي فقرأ الخبيصي فقالالمأمون ياغلام جاما مملوا خبيصا لابي العباس فان طعامه كان مبتورا . فاسـتحيا وقال يا سـيدي صاحب القصة أحمق فتح سنتين فقال لولا حمق صاحبها مت اليوم من الجوع فأتى بجام مملوءٍ خبيصا فخجل فقال المأمـون بحياتي عليك الا ملت اليه فأكـل وغسل يديه وعاود القراءة فما ان أسقط حرفا حتي انقضى المجلس .

قال محمد بن الجهم دعاني المأمون فقـال أنشدني بيت مـدح نادر فأنشـدته :

يجـود بالنفس ان ضن الجـواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجـود

فقال قد وليتك همذان . فانشدنى بيت هجاء نادر فأنشدته :

قبحت مناظـره فحين خبرته حسنت مناظـره لقبح المخبـر

قال قد وليتك الدينور فانشدني بيت رثاء نادر فأنشدته :

أرادوا ليخفوا قبره عن عـدوه فطيب تراب القبر دل على القبر

فقال قد وليتك نهاوند فانشدني بيت غزل نادر فأنشدته :

حبٌ مجدٌ وحبيب يلعب والقلب ما بينهما معذب

ومن كلام المأمون قال علي بن هشام قال لي المأمون الملوك تحتمل لاصحابها كل شيء خلا ثلاث خصال قلت وما هي يا أمير المؤمنين قال القدح في الملك وافشاء السر والتعرض للحرم وبلغنا أن المأمون جمع ولده يوما فقال يا بني ليعلم الكبير منكم أنه انما عظم قدره بصغار عظموه وقويت قوته بضعاف أطاعوه وشرفت همته بعوام اتّضعو له فلا يدعونه تفخيم المفخم منهم اياه الى تصغيره وتعزيز أمره الى تذليله ولا يستأثرنّ بعائدة وارتفاق ولا يؤمنّ بتسمية عبدانكم تسمية الاعاجم وليا وأخا فان الشيء الذي هو من أجزاء خسيسة ومعان مذمومة هو أيضا خسيس مذموم وكل أمر من ذلك جزء من عدده وعماد من عماده فاذا أخلت أجزاؤه ومالت دعائمه مال العماد وتهدم الكل • وقد قيل من ملك أحرارا كان أشرف ممن ملك عبيدا مستكرهين • يا بني ارجعوا فيما أسببه عليكم من التدبير الى آراء الحزمة المجربين فانهم مرايا لكم يرونكم مالا ترون قد صحبوا لكم الدهر وكفوكم التجارب • وقد قيل ان من جرعك المرّ لتبرأ هو أشفق عليك ممن سقاك حلوا لتسقم ومن خوفك لتأمن أبرّ ممن أمّنك حتى تخاف وقال الاخوان ثلاث طبقات أخ كالغذاء الذى تحتاج اليه فى كل يوم وفى كل وقت وهو الاخ العاقل الاديب وأخ كالدواء تحتاج اليه عند الداء وهو الاخ الاريب • وأخ كالداء الذى لا تحتاج اليه وهو الاحمق • وكان يقول أعظم الناس سلطانا من تسلط على نفسه فوليها بحكم التدبير وملك هواه فحمله على محاسن الامور وأشرب معرفة الحق فانقاد للواجب فوقف عند الشبهة حتى استوضح مقر الصواب فتوخاه ورزق عظيم الصبر فهان عليه هجوم النوائب تأميلا لما بعدها من عواقب الرغائب وأعطي فضيلة التثبت فحبس غرب لسانه •

ومما ينبغى للملوك الاحتياط فيه اختيار الكفاة والاعوان وانزالهم منازلهم والاقتصار بهم على ما يطيقونه وأنشد :

من كان راعيه ذئبا في حضيرته فهو الذى نفسه فى أمره ظلما
يرجو كفايته والغدر عادته ومن ولايته يستشعر الندما

وقيل للمأمون أي المجالس أحسن قال ما نظر فيه الى الناس قال يحيى بن أكثم بت ليلة عند المأمون فعطشت فى الليل فقمت لاشرب ماء • فرآني المأمون فقال لي مالك ليس تنام يا يحيى قلت والله أنا عطشان • قال ارجع الى موضعك فقام والله الى البرادة فجاء بكوز ماء وقام على رأسى وقال اشرب يا يحيي فقلت يا أمير المؤمنين فهلا وصيف أو وصيفة • فقال انهم نيام • قلت فأنا كنت أقوم أشرب فقال لي لؤم بالرجل أن يستخدم ضيفه • ثم قال يا يحيي • قلت لبيك يا أمير المؤمنين • قال حدثني الرشيد قال حدثني المهدي قال حدثني المنصور عن أبيه عن جده عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلعم يقول سيد القوم خادمهم •

قال يحيى وكنت أمشي يوما في ميدان البستان والشمس علي وهو في الظل فلما رجعنا قال لي كن الآن في الظل فأبيت عليه فقال أول العدل أن يعدل الملك فى بطانته ثم الذين يلونهم حتى يبلغ الطبقة السفلى •

وقال يحيى بن أكثم بت عند المأمون بالشام فأخذ المأمون السعال فرأيته يسد فاه بكم قميصه حتى لا أنتبه •

وقال عبدالله بن البواب كان المأمون يحلم حتي يغيظنا • فجلس يوما على دجلة من وراء ستر ونحن قيام بين يديه فمر ملاح وهو يقول بأعلى صوته أتظنون أن هذا المأمون ينبل فى عيني وقد قتل أخاه قال فوالله ما زاد على أن تبسم وقال لنا ما الحيلة عندكم حتى أنبل في عين هذا الرجل الجليل •

وكان المأمون يقول حبب الي العفو حتى أظن أن لن أؤجر عليه ولو علم الناس حبي للعفو لتقربوا الي بالجرائم •

ولما ولد جعفر بن المأمون هناوه بصنوف من التهاني وكان فيمن دخل العباس بن الاحنف فمثل قائما بين يديه ثم أنشأ يقول :

مد لك الله الحياة مدا ... حتى ترى شبلك هذا جدا

ثم يفدى مثلما تفدى ... كأنه أنت اذا تبدا

أشبه منك قامة وقدا ... مؤزرا بمجده مردى

فأمر له بعشرة آلاف درهم • وكان نقش خاتم المأمون عبدالله يؤمن بالله مخلصا • وكان شهما أبي النفس أخذ من جميع العلوم بقسط وضرب فيها بسهم واستخرج كثيرا من كتب الطب وترجمت له • واستخرج اقليدس وترجم له وعقد المجالس للمناظرة بين أهل العلم فى الاديان والمقالات وغزا الروم وفتح فتوحات كثيرة وكان جوادا موصوفا بالحلم وعفوه عن ابراهيم بن المهدي عمه وقد نازعه رداء الملك بعد أن بويع له بالخلافة مشهور • وعفوه عن الفضل بن الربيع الذي جلب الحرب بينه وبين أخيه الامين معلوم ، وعن الحسين بن الضحاك وقد بالغ فى هجائه وأطنب فى تقبيح ذكره تعصبا لاخيه الامين مفهوم • وله أخبار كثيرة فى الحلم والكرم يستبعدها السامع •

قال القاضي أحمد بن أبي دؤاد سمعت المأمون يقول لرجل قد رفع عليه شيء وقد بدا يعتذر يا هذا انما هو عذر أومن" وقد وهبتهما لك فلا تزال تسيء وأحسن وتذنب وأعفو حتى يكون العفو هو الذى يصلحك •

وقال القاضي يحيي بن أكتم وقد رآه وقّع في يوم واحد بثلثمائة ألف دينار وعرض عليه من القصص ما يزيد عن الحد فوقع في الجميع ولم يضجر قال : فقلت يا أمير المؤمنين :

كأنك في الكتاب وجدت لاءً ... محرمة عليك فلا تحل

فما تدري اذا أعطيت مالا ... أيكثر من عطائك أم يقل"

فقال له يا قاضي انما تطلب الدنيا لتملك فاذا ملكت فلتوهب •

ذكر وفاته

توفي يوم الخميس عاشر شهر رجب سنة ثماني عشرة ومائتين بالقرب من طرسوس وهو متوجه يريد الغزو فحمل اليها ودفن في دار خاقان عن سبع وأربعين سنة وستة أشهر وعشرة أيام وخلافته احدى وعشرون سنة ولا عقب له فى الخلافة والخلفاء من ولد أخيه المعتصم .

ذكر أولاده

وهم أحمد وقد روى الحديث وكان فاضلا والعباس وولاه أبوه الجزيرة والثغر وقتل في خلافة عمه المعتصم وزينب وتكنى أم حبيب . وزوجها أبوها علي بن موسى الرضى ومحمد ويكني أبا القاسم وجعفر وأبو القاسم عبدالله وعلي والحسين وسليمان واسحق وهرون وعيسى .

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزر له بخراسان الفضل بن سهل وقتل فوزر له الحسن بن سهل وحظي عنده وتزوج ابنته بوران ومرض الحسن فلزم منزله فاستوزر أحمد ابن أبي خالد الاحول وتوفي فوزر له أحمد بن يوسف بن القاسم مولى بني عجل وتوفي فوزر له أبو عباد ثابت بن محمد وأصابه مرض" فعطله فوزر له محمد بن يزداد المروزي وقضاته قضاة أخيه ويحيي بن أكثم وحجابه عبد الحميد بن عيسى وحميد بن قحطبة وصالح صاحب المصلى وعلي بن صالح ثم اسماعيل بن محمد بن صالح ثم محمد بن عبّاد .

ذكر الحوادث التى جرت فى أيام خلافته

في سنة ثمان وتسعين ومائة مات سفيان بن عيينية بن أبي عمر أبو محمد مولى أبي هاشم بن دويبة وقيل مولى محمد بن مزاحم الهلالي ولد بالكوفة سنة سبع ومائة وكان أبوه من عمال خالد بن عبدالله القسري فلما

عزل خالد هرب عيينة فنزل مكة • وكان لسفيان تسعة اخوة حدث منهم محمد وآدم وعمران وابراهيم وكان سفيان مقدما على الكل وأدرك سفيان ستا وثمانين نفسا من التابعين وروى عنه من الكبار الاعمش وشعبة وابن المبارك ووكيع وابن مهدي والشافعي وأحمد ويحيي • وقال سفيان لما بلغت خمس عشرة سنة دعاني أبي فقال لي يا سفيان قد انقطعت شرائع الصبى فاحتفظ أن تكون من أهله لا يغرنّك من اغتر بالله عز وجل فمدحك بما تعلم خلافه منك فانه ما من أحد يقول في أحد من الخير اذا رضي عنه الا وهو يقول فيه من الشر مثل ذلك اذا سخط عليه • يا بني استأنس بالوحدة من جلساء السوء ولا تنقل حسن ظني بك الى غير ذلك ولن يسعد بالعلماء الا من أطاعهم • قال سفيان فجعلت وصية أبي قبلة أميل معها ولا أميل عنها • ودخل الى مجلس سفيان صبي فتهاونوا به لصغر سنه فقال سفيان كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم ثم قال يا نصر لو رأيتني ولي عشر سنين طولي خمسة أشبار ووجهي كالدينار وأنا كشعلة نار ثيابي صغار وأكمامي قصار وذيلي بمقدار ونعلي كآذان الفأر اختلف الي علماء الامصار مثل الزهري وعمرو بن دينار أجلس بينهم كالمسمار محبرتي كالجوزة ومقلمتي كالموزة وقلمي كاللوزة فاذا دخلت المجالس قالوا وسعوا للشيخ الصغير ثم تبسم سفيان وضحك •

قال بشر بن مطر كنا على باب سفيان بن عيينة فجاءت طائفة فدخلوا وأخرى فضججنا وصحنا وقلنا يجيء أصحاب الدراهم والدنانير ونحن الفقراء وأبناء السبيل نمنع الدخول فخرج الينا وهو يبكي ويقول ان أصبتم مقالا فقولوا هل رأيتم صاحب عيال أفلح • ثم قال اعلمكم اني كنت أوتيت منهم للقرآن فلما أخذت من جعفر امتنعت •

قال سفيان رأيت فى منامي كأن أسناني كلها سقطت فذكرت ذلك للزهري فقال يموت أصحابك وتبقى أنت فمات أصحابي وبقيت •

وذكر أحمد بن حنبل سفيان عيينة فقال ما رأينا مثله •

وقال سفيان حججت سبعين حجة أقول كل مرة اللهم لا تجعلها آخر العهد من هذا المكان واني قد استحييت من الله من كثرة ما أسأله ذلك فرجع فتوفي في السنة الداخلة وأخبر أنه ولد في سنة تسع ومائة ومات أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائة ودفن بالحجون .

وفيها مات محمد بن هرون وقد تقدم ذكره . وفيها مات محمد بن مناذر الشاعر يكنى أبا ذريح وقيل أبا جعفر مولى سليمان القهرماني سمع من شعبة وسفيان بن عيينة وكان شاعرا مجيدا ومدح المهدي وكان فصيحا عالما باللغة . قال الثوري سألت أبا عبيدة عن اليوم الثاني من النحر ما كانت العرب تسميه فقال لا أعلم فقلت لابن مناذر فقال اسقط مثل هذا عن أبي عبيدة هي أربعة أيام متواليات كلها على حرف الراء . الاول يوم النحر والثاني القر والثالث النفر والرابع الصدر فلقيت أبا عبيدة فحدثته فكتبه عني . وكان محمد بن مناذر يتعبد ويتنسك ويلازم المسجد . ثم هوي عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي فتهتك فيه وعدل عن النسك وأظهر الخلاعة وكان عبدالمجيد من أحسن الناس وجها وأكثرهم أدبا وأحسنهم لباسا وكان يحب الشيخ ابن مناذر أيضا وتزوج عبدالمجيد امرأة وأولموا عليها وليمة عظيمة مدة شهر فصعد بعد ذلك ذات يوم الى السطح فرأى طنبا من أطناب الستارة انحل فانكب عليه ليشده فتردى على رأسه فمات من سقطته فما كانت فى الزمان مصيبة تعادل تلك المصيبة ولا أعظم منها من مصيبة فرثاه ابن مناذر بأبيات يقول فيها :

كل حي لاقى الحمام فمودي ... ما لحي مؤمل من خلود
ما تهاب المنون شيئاً ولا تبـ ... ـقي على والد ولا مولود
كنت لي عصمة وكنت رجاء ... بك تحيا أرضي ويخضر عودي
ان عبد المجيد يوم تولى ... هد ركناً ما كان بالمهدود
ما درى نعشه ولا حاملوه ... ما على النعش من عفاف وجود
سأقيمن مأتما كنجوم الليل زهرا يلطمن حرّ الخدود

فاجعـات يبكـين للكبـد الحَـ ري دوامـا وللفـؤاد العميـد
ولعـين مطـرفة قال دمعي لا تملي من البكـاء وجـودي
كلمـا أعـوز البكـاء فافنيـ ت بعبـد المجيـد سجلا نعودي

فلما أنشد الابيات قالت أمـه والله لابرّن قسـم الشيخ وأخرجت اخواته يندبن معها ويقلن ويه ويه وهي أول ما ندب بهـا في عبـد المجيد قال يحيي بن معاذ كان ابن مناذر صاحب شعر وكان يتعشق ابن عبدالوهاب الثقفي ويقول فيه الشعر فخرج الى مكة شرفها الله فكان يرسل العقارب فى المجسد الحرام حتى تلسع الناس ويصب المداد بالليل فى الماء الذي يتوضـأ الناس فيه حتي تسود وجوههم فلا يروي رجل عنه خيرا يتولاه الله تعالى عليه •

ثم دخلت سنة تسع ومائة فيها قدم الحسن بن سهل بغداد من عنـد المأمون والياً على الحرب والخراج • وفيها مات عمارة بن حمزة مولى بنى هاشم وهو من ولد عكرمة مولى ابن عباس كان أحد الكتاب البلغاء وكان أتيه الناس حتي ضرب المثل بتيهه فقيل أتيه من عمارة وكان جوادا • اسـتأذن قوم على عمارة بن حمزة يشفعون اليه في بر قوم قد أصابتهم جائحة فأخبره حاجبه فأمر لهم بمائة ألف درهم • قال فاجتمعوا ليدخلوا اليه للشكر فقال لحاجبه أقرهم سلامي وقل لهم اني رفعت عنهم ذل المسئلة فلا أحملهم مؤنة الشـكر •

بعث أيوب(١) المكي بعض ولده الى عمارة بن حمزة فأدخـله الحاجب قال ثم دنا الى ستر مسبل فقال ادخل فدخلت فاذا عمارة مضجع محـول وجهه الى الحائط فقال لي الحاجب اذكر حاجتك فقلت لعله نائم قال لا فقلت جعلني الله فداك أخوك يقريك السلام ويذكر دينا عليه ويقـول بهظني وستر وجهي ولولاه كنت موضع رسولي تسأل أمير المؤمنين قضاءه عني فقال وكم دين أبيك قال ثلثمائة ألف درهم فقال وفي مثل هذا القدر أكلم أمير

(١) لعله أبو أيوب الموريانى وزير المنصور ولعل المسألة قبل استيزاره

المؤمنين يا غلام احملها معه • وما التفت الي ولا كلمني بغير هذا •

وقال الفضل بن الربيع كان أبي يأمرني بملازمة عمارة • قال فاعتل عمارة وكان المهدي سيء الرأي فيه • فقال له أبي يوما يا أمير المؤمنين ان مولاك عمارة عليل وقد أفضى الى بيع فرشه وكسوته • قال غفلت عنه وما كنت أظن أنه بلغ الى هذه الحالة احمل اليه خمسمائة ألف درهم يا ربيع واعلمه أن له عندي بعدها ما يحب • قال فحملها أبي من ساعته وقال لي اذهب بها الى عمك وقل له أخوك يقريك السلام ويقول اذكرت أمير المؤمنين أمرك فاعتذر عن غفلته عنك وأمر لك بهذه الدراهم وقال لك عندي بعدها ماتحب • قال فأتيته بالمال ووجهه الى الحائط فسلمت • فقال من أنت فقلت ابن أخيك الفضل بن الربيع فقال مرحبا بك وأبلغته الرسالة • فقال قد كان طال لزومك لنا وقد كنا نحب أن نكافيك على ذلك ولم يمكنا قبل هذا الوقت انصرف بها فهي لك • قال فهبته أن أردها عليه فتركت البغال على بابه وانصرفت الى أبي فأعلمته فقال يا بني خذها بارك الله لك فيها • عمارة ليس ممن يراد وكانت أول مال ملكته •

ثم دخلت سنة مائتين وفيها مات أيوب بن المتوكل المقريء من أهل البصرة سمع الحديث وكان عالما ثقة من القراء •

وفيها مات ابان بن عبدالحميد بن لاحق بن جعفر مولى بني رقاش من أهل البصرة شاعر مطبوع مقدم • قدم بغداد واتصل بالبرامكة وله قصائد ومدائح في الرشيد والفضل بن يحيي وعمل كتاب كليلة ودمنة شعرا ويقال ان كل كلام نقل الى الشعر فالكلام أفصح منه الا هذا وأول قصيدته هذه قوله :

هذا كتاب أدب ومحنه ... وهو الذي يدعى كليلة دمنه

وعددها أربعة عشر ألف بيت مزدوجة فى ثلاثة أشهر • قال فأعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار وأعطاه الفضل خمسة آلاف دينار • وقال له جعفر بن يحيى ألا ترضى أن أكون راويتك أنا ولم يعطه شيئاً • فتصدق

بثلث المال الذي أخذه وكان حسن السيرة حافظا للقرآن •

وفيها مات معروف بن الفيرزان أبو محفوظ المعروف بالكرخي نسبة الى كرخ بغداد كان أهله نصارى وكان صبيا فى المكتب يقول معلمهم أب وابن فيصيح أحد أحد وأسلم وروى عن بكر بن خنيس وعن الربيع وصبيح وغيرهما وهو من كبار الزهاد فى الدنيا العارفين بالله المنحبسين له وله كرامات كثيرة وأخبار مختلفة في الكرامات وكان ابن عيينة يقول لا يزال أهل بغداد بخير ما بقي فيهم معروف الكرخي • وكان يقال انه يكون ببغداد ويرى على جبل عرفات وله أخبار عظيمة فى هذا الباب يطول شرحها فى هذا الكتاب • وفيها مات وهب بن وهب بن منبه بن عبدالله بن زمعة بن المطلب أبو البختري القرشي وكان قاضي عسكر المهدي • وكان كثير العطاء وفيه يقول الشاعر :

فهلا فعلت هداك المليك فينا فعال أبي البختري
تتبع اخوانه فى البلاد فأغنى المقل عن المكثر

الا أنه كان يضع الاحاديث وأكثرها وضعها عن الله تعالى • وقد فاه بعض الشعراء بهذا المعني الفاحش •

ثم دخلت سنة احدى ومائتين فيها كانت مراودة أهل بغداد منصور بن المهدي على الخلافة فأبى ذلك فأرادوه على الامرة عليهم على أن يدعو للمأمون بالخلافة وقالوا لا نرضى بالمجوسى ابن المجوسى يعني الحسن بن سهل فأجابهم الى ذلك منصور وسمي بالمرتضى وفي هذه السنة جعل المأمون علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ولي عهد المسلمين والخليفة من بعده وسماه الرضا من آل محمد وأمر جنده بطرح السواد ولبس ثياب الخضرة كتب بذلك الى الافاق وذلك أنه نظر في بني العباس وبني علي فلم يجد أحداً أفضل ولا أعلم منه وانه سماه الرضا • وكتب بذلك الى بغداد فوصل الكتاب الى عيسى بن أبي خالد فدعا أهل بغداد

الى ذلك فاختلفوا فقال قوم نبايع وقال قوم لا نخرج الامر من ولد العباس انما هـــذا دسيس من قبل الفضـــل بن سهل وغضب ولـــد العباس من ذلك واجتمـــع بعضهم الى بعض وتكلموا فيـــه وقلوا نولي بعضنا ونخلـــع المأمـــون وكان المتكلـــم في هـــذا ابراهيـــم بن المهـــدي ومنصور أخـــوه • وفي هـــذه السنة بويـــع لابراهيـــم بن المهـــدي وكان السبب أن المأمون لما بايع لعلي بن موسى الرضا نفر العباسيون وأظهـــروا انهم قد خلعوا المأمون وبايعوا ابراهيم بن المهـــدي وضمنوا للجند أشـــياء يعطونهم وأمروا رجلا يقول يوم الجمعـــة حين يؤذن المـــؤذن انا نريد أن ندعوا للمأمون ومن بعده لابراهيم يكون خليفة ودسوا قـــوما فقالوا اذا قـــام من يتكلم بهذا الكلام قوموا وقولوا لا نرضى الا أن تبايعوا لابراهيـــم ومن بعده لاسحق وتخلعوا المأمون • فلما قام من يتكلم وأحسوا بهـــذا لم يصلوا فى ذلك اليوم الجمعة ولا خطب أحد وصلى الناس أربع ركعات •

وفيها توفى الحسين بن عطية بن جنادة أبو عبدالله العوفي من أهـــل الكوفة ولي قضاء الشرقية وكان ضعيفا فى الحـــديث ويصحف اذا روى وكانت لحيته الى ركبته وكان قصيرا وله حكايات عجيبة • منها أن جاءتـــه امرأة وكان قاضى هرون الرشيد ومعها صبي ورجل فقالت هـــذا زوجي وهذا ابني منه فقال له أهذه امرأتك قال نعم • قال وهذا الولد منك فقـــال أصلح الله القاضي أنا خصي قال فألزمه الولد فأخذ الصبي فوضعه على رقبتـــه وانصرف فلقيه خصي آخر وهو صديقه والصبي على عنقه فقال من هذا الصبي فقال القاضى العوفي يفرق أولاد الزنا على الخصيان اهرب •

وفيها مات علي بن موسى الرضا سـمع أباه وعمومته وغـــيرهم وكان يفتي فى مسجد رسول الله صلعم وهو ابن نيف وعشرين سنة وكان المأمون قد أمر باشخاصه الى بغداد فلما قدم نيسابور أقام بهـــا مـــدة فأمر المأمـــون باخراجه اليه فأقام بمرو وجعـــله ولي عهده كما سبق ذكره • فلما رأوا أن الخلافة قد خرجت الى أولاد علي سقوا علي بن موسى فتوفى بطوس فـــى

رمضان ومدحه أبو نواس فقال :

قيل لي أنت اوحد الناس طـرا	في فنـون من المقـال النبيـه
لك من جوهـر الكـلام نظـام	يثمر الـدر في يـدي مجتنيـه
فلمـاذا تركت مـدح ابن موسى	والخصـال التي تجمعـن فيـه
قلت لا أهتـدي لمـدح امـام	كان جبـريل خادمـا لابيـه

وفيها مات محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ويعـرف بالديباج لحسن وجهه وهو أخو اسحق وموسى وعلي أبناء جعفر حدث عن أبيه وروى عنه جماعة وكان هذا محمد قد أقام بمكة في أيام المأمون ودعـا الى نفسه فبايعه أهل الحجاز وتهامة بالخلافة يوم الجمعة لثلاث خلون من ربيع الاخر سنة مائتين فلم يزل يسلّم عليه بالخلافة الى يوم الثلاثاء • وحج المعتصم بالناس وبعث اليه من حاربه وقبض عليه وأورده بغداد في صحبته والمأمون بخراسان فوجه به اليه فعفا عنه ولم يمكث الا يسيرا حتى توفي عنده • قيل انه جامع وافتصد ودخل الحمام في يوم واحد فكان ذلك سبب موته • وكان محمد شجاعا عاقلا فاضلا وكان يصوم يوما ويفطر يوما وكانت زوجته بنت عبدالملك بن الحسين تقول ما خرج من عندنا في ثـوب قط فرجع حتـى يكسوه • وركب المأمون لشهود جنازته فلقيهم قد خرجوا به فلما نظـر الى السرير ترجل ودخل بين العمودين فلم يزل حتى وضع فصلى عليه ثـم دخل قبره فلم يزل فيه حتى بني عليه • ثم خرج فقام على القبر فقال لـه عبدالله يا أمير المؤمنين انك قد تعبت فلو ركبت فقال المأمون هذه رحم قـد قطعت من مائة سنة •

وفيها مات النضر بن شميل المازني أبو الحسن سكن مرو وسمع من عوف وشعبة وغيرهم وكان راوية للشعر وله المعرفة بالنحو واللغـة وأيام الناس ومات بخراسان وكان من أهل البصرة روي أنه لما أضر به المقـام بالبصرة شرع فى الظعن عنها وتبعـه لوداعه سبعمائة رجل من أصحابـه وتلامذته يشيعونه وجعلوا يبكون توجعا لمفارقته فأظهر لهم مثل ذلك وبكى

وقال لو كان لي في كل يوم ربع مد من الباقلاء أتقوت به ما ظعنت عنكم فما كان فيهم من قال لك عندي ذلك • قال الراوي فعجبت من أنه لم يكن في هذا الجمع الكثير المتفجعين لفقده من يكفيه هذا القدر الحقير ويقوم له به • ثم انه أتى خراسان فاتصل بالمأمون فاستغنى بما فعله معه من الاحسان اليه • قال النضر دخلت ليلة على المأمون للمسامرة بمرو وعلي قميص مرقوع فقال يا نضر ما هذا التقشف قلت يا أمير المؤمنين أنا رجل كبير وضعيف وحرّ مرو شديد أتبرد بهذه الخلقان • قال لا ولكنك قشف ثم تجارينا في الحديث فأخذ المأمون في ذكر النساء فقال حدثني هشيم عن بشير عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال : قال رسول الله اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز قلت صدق فوك عن هشيم يا أمير المؤمنين • حدثني عوف بن أبي جميلة الاعرابي عن الحسن عن علي أن النبي صلعم قال اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز وكان المأمون متكئا فانتصب وقال كيف قلت يا نضر سداد بكسر السين قلت يا أمير المؤمنين السداد بفتح السين هنا لحن قال أو تلحنني يا نضر قلت لا يا أمير المؤمنين ولكن لحن هشيم وكان لحانا فتبع أمير المؤمنين لفظه وقد تتبع الفقهاء فقال ما الفرق بينهما قلت السداد القصد فى الدين والسبيل والسداد البلغة وكل شيء سددت به شيئا هو السداد • قال أو تعرف العرب هذا قلت نعم هذا العرجي يقول وهو من ولد عثمان بن عفان •

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فأطرق المأمون مليا ثم قال قبح الله من لا أدب له ثم قال أنشدني يا نضر أخلب بيت قالته العرب فقلت قول ابن بيض في الحكم بن أيوب :

تقول لي والعيون هاجمة أقم علينا يوما فلم أقم
أي الوجوه انتجعت قلت لها وأي وجه الا الى الحكم
متى يقل حاجبا سرادقه هذا ابن بيض بالباب يبتسم
قد كنت أسلمت فيك مقتبلا وها أنا ذا فاعطني سلمي

فقال المأمون لله درك فكأنما شــق لك عن قلبي انشدني أنصف بيت للعرب قلت قول ابن أبي عروبة المديني :

انـي وان كان ابن عمي عاتبـا　　لمزاحـم من خلفـه وورائـه
ومفيـده نصري وان كان امرءا　　متزحزحا فى أرضـه وسمائه
وأكون والي أمـره فأصونه　　حتى يحق عـلي وقت أدائـه
واذا الحوادث أجحفت بسوامه　　قرنت صحيحتنـا الى جربائـه
واذا دعا باسمي لاركب مركبا　　صعبا ركبت له عـلى سيسائه
واذا ارتدى ثوباً كريما لم أقل　　يا ليت ان علي فضـل ردائـه

فقال المأمون أحسنت يا نضر ما شئت انشدنى أقنع بيت قالته العـرب فانشـدته :

اني امروء لم أزل وذاك من الـ　　ـله أديبـا أعلـم الادبـا
أقسم بالله ما اطمأنتْ بي الدا　　ر وان كنت نازحـا طـربا
لا أجتوي خلّـة الصديق ولا　　أبغـي لنفسـي شيئاً اذا ذهبـا
أطلب ما يطلب الكـريم من الـ　　رزق بنفسـي وأجمل الطلبـا
وأحلب الثـرّة الصـفي ولا　　أجهد اخلاف غيرها حلبـا
اني رأيت الفتى الكـريم اذا　　رغبتـه في صـنيعة رغبـا
والعبـد لا يطلب العـلاء ولا　　يعطيك شيئاً الا اذا رهبـا
مثل الحمار الموقـع السـوء لا　　يحسـن مشياً الا اذا ضربـا
ولم أجـد عـروة الخلائق الـّ　　ـلا الدين لما اختبـرت والحسبا
قد يرزق الخافض المقيـم وما　　شـد لعنس رحـلا ولا قتبـا
ويحرم الرزق ذو المطيـة والر　　حل ومن لا يـزال مغتربـا

قال أحسنت يا نضر فعندك ضدها قلت نعـم أحسن منها قال هـات فأنشدته :

يد المعروف غنـم حيث كانت　　تحملهـا كفـور أو شـكور

قال أحسنت يا نضر • ما تملك قلت أريضة بمرو اتصابها واتمززها فقال أولا نزيدك مع ذلك مالا فقلت اني اليه لمحتاج فأخذ قرطاسا فكتب ولم أدر ما يكتب • ثم قال كيف تقول من التراب اذا أمرت أن يترب قلت أتربه • قال فمن الطين قلت طنه قال فهو ماذا قلت مترب ومطين فقال هذه أحسن من الاولى ثم قال للغلام اتربه وطنه ثم قام وصلى بنا العشاء فلما فرغ قال لخادمه تبلغ معه الفضل بن سهل فلما وصلنا اليه وقرأ الورقة فقال يا نضر ان أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين ألف درهم فما كان السبب فأخبرته ولم أكذب فقال ولحنت أمير المؤمنين قلت لا ولكن لحن هشيم وكان لحانا فتبع أمير المؤمنين لفظه وقد تتبع الفقهاء فأمر لي الفضل من عنده بثلاثين ألف درهم أخرى فقبضت ثمانين ألف بكلمة استفادها •

ثم دخلت سنة اثنتين ومائتين فيها خلع أهل العراق المأمون وبايعوا لابرهيم بن المهدي بالخلافة وسموه المبارك وصعد ابرهيم المنبر وكان أول من بايعه عبيدالله بن محمد الهاشمي ثم منصور بن المهدي ثم سائر بني هاشم ثم القواد وكان الموكل لاخذ البيعة المطلب بن عبدالله بن مالك وكان الذي سعى فى ذلك وقام به السندي وصالح صاحب المصلى • وفيها مات الفضل ابن سهل أبو العباس الملقب ذا الرئاستين وكان من أولاد ملوك العجم فأسلم في أيام الرشيد واتصل بيحيي بن خالد البرمكي واتصل هو والحسن أخوه بالفضل وجعفر ابني يحيي بن خالد فضم جعفر بن يحيي الفضل بن سهل الى المأمون وهو ولي عهد وقيل ان الفضل لما أراد أن يسلم كره أن يسلم على يد الرشيد والمأمون فسار وحده الى الجامع يوم الجمعة فأسلم واغتسل ولبس ثيابه ورجع مسلما وغلب على المأمون بخلاله الجميلة من الكرم والوقار والبلاغة والكتابة فلما استخلف المأمون فوض اليه أموره كلها وسماه ذا الرئاستين لتدبيره أمر السيف والقلم •

قال رجل للفضل بن سهل اسكتني عن وصفك تساوي أفعالك فى

السودد وحيرني فيها كثرة عددها فليس الى ذكـرها سبيل • واذا أردت وصف واحـدة عرضت أختها اذ كانت الاولى ليست أحق بالذكر فلست أصفها الا باظهار العجز عن وصفها :

لفضـل بن سـهل يـد تقاصـر عنهـا المثـل
فيبسـطها للغنـى ويسـطو بها للاجـل
وباطنهـا للنـدى وظاهـرها للقبـل

فأخذ ابن الرومي المعنى فقال للقاسم بن عبيدالله :

أصبحت بين خصاصة وتجمـل والحـر بينهما يمـوت هزيلا
فامـدد الي يدا تعـود بطنهـا بذل النـوال وظهـرها التقبيلا

وقال ابراهيم الصولي اعتل ذو الرئاستين علة بخراسان فلما أبـل جلس للناس فهنؤوه بالعافية وتصرفوا في الكلام فلما فرغوا أقبل على الناس فقال : ان في العلل لنعما ينبغي للعقـلاء أن يعرفوها • تمحيص ذنـوب وتعرض لثواب الصبر وايقاظ من الغفلة • وادّكار بالنعمـة في حـال الصحة • واستدعاء للتوبة • وحض على الصدقة •

قال أبو حسان الزنادي قتل الفضل بن سـهل ذو الرئاستين يـوم الخميس لليلتين خلت من شعبان بسرخس في الحمام اغتـاله خمس أنفس دخلوا عليه فقتلوه فقتلهم به المأمون • وهم عبدالعزيز بن عمران الطائي • ويونس بن عمران البصري • وخلف بن عمـر البصري • وعلي بن أبي سعيد • وسراج الخادم • قتلوه وهربوا فجعل المأمون لمن جـاء بهم عشرة آلاف دينار • فجاء بهم العباس بن القاسم • فقالوا للمأمون أنت أمرتنـا بقتله • فأمر بهم فضربت أعناقهم • وكان عمر الفضل احدى وأربعين سنة وخمسة أشهر •

وفيها مات يحيى بن المبارك بن المغيرة أبـو محمد اليزيدي العـدوي صاحب أبي عمرو بن العلاء أحد القراء حدث عن أبي عمرو وابن جريج وأخذ عن الخليل من اللغة أمرا عظيما • وجلس يوما الى جانب الخليـل

فقال أحسبني قد ضيقت عليك فقال الخليل ما ضاق شيء على صاحبين والدنيا لا تسع متباغضين • وهو عدوي وانما قيل اليزيدي لانقطاعه الى يزيد بن منصور الحميري خال المهدي يؤدب ولده فنسب اليه ثم اتصل بالرشيد فجعل المأمون في حجره يؤدبه وكان الكسائي يؤدب الامين • وكان اليزيدي عالما باللغة والنحو وأخبار الناس ولم يكن في النحو من طبقة الخليل وسيبويه •

وحكي ان الكسائي تكلم مع اليزيدي في حضرة الرشيد فظهر كلام اليزيدي على الكسائي فرمى اليزيدي قلنسوته فرحا بالغلبة فقال له الرشيد أدب الكسائي مع انقطاعه أحب الينا من سوء أدبك مع الغلبة •

وكان اليزيدي يعلم الامين والمأمون وهما صبيان بكلام يقصد به تعلم الفصاحة فأكلا يوما كمأة فقصرا فقال لهما شعرا :

كلا كلا كلاكما كمأً كلا لا تنبوا ان تنبوا لن تنبلا

وكان الرشيد قد وكل بهما خادما يؤدى اليه ما يجري منهما فمضى الى الرشيد فقال انه قد علمهما اليوم كلام الزنجية فدعاه الرشيد وقال : ما بنا حاجة الى كلام الزنجية فلم علمتهما اياه فقال يا أمير المؤمنين والله ما أحسنت الزنجية قط فقال كذا عرفني الخادم • فقال الخادم بلى قد كان ذلك في وقت أكل الكمأة • فقال أنا قلت ذلك لكوني أوثر ذكر الفصاحة بحضرتهما ليتفاصحا وأنا أفعله كثيرا • فقال الرشيد لا تلم الخادم فلولا التقدمة عنه لظننته أنا بالزنجية •

وكان اليزيدي أحد القراء الفصحاء الشعراء عالما بلغة العرب ثقة وكان يجلس أيام الرشيد مع الكسائي ببغداد يقرآن القرآن وكان الكسائي يؤدب الامين واليزيدي يؤدب المأمون فأمر الرشيد باحضار الكسائي وتقدم اليه أن يأخذ على الامين بحرف حمزة وأمر اليزيدي أن يعلم المأمون حرف أبي عمرو وأنشد اليزيدي :

اذا نكبات الدهر لم تعظ الفتى وأفزع منها لم تعظه عواذله
ومن لم يؤدبه أبوه وأمه تؤدبه روعات الردى وزلازله

فدع عنك مالا تستطيع ولا تطع   هواك ولا يغلب بحقك باطله

وسأل المأمون اليزيدي يوما عن شيء فقال لا وجعلني الله فداك يا أمير المؤمنين فقال لله درك ما وضعت واو موضعها أحسن منها في لفظ مثل هذا ووصله بعطية سنية • ومن شعره :

كنا نقيس النحو فيما مضى   على لسان العرب الاول
فجاء أقوام يقيسونه   على لغى أشياخ قطر بلي
فكلهم يعمل فى نقض ما   به يصاب الحق لا يأتلي
ان الكسائي وأصحابه   يرقون فى النحو الى أسفل

ثم دخلت سنة ثلاث ومائتين فيها غلبت السوداء على الحسن بن سهل فتغير بذلك المرض عقله وقيد حتى كتب بذلك القواد الى المأمون فكتب أن يكون على معسكره دينار بن عبدالله •

وفيها ركب ابراهيم بن المهدي في زي الخلافة فصلى بالناس صلاة الاضحى ومضى من يومه الى داره المعروفة فلم يزل فيها الى أخر النهار ثم خرج منها بالليل فاستتر وانقضى أمره وكانت مدة خلافته منذ بويع بمدينة السلام بغداد الى يوم استتاره سنة وأحد عشر شهرا وخمسة أيام ثم ظفر به المأمون وعفا عنه وأخباره فى قبضه والعفو عنه وأشعاره ومجاوباته للمأمون مشهورة لم نذكرها فى هذا المختصر واستبقاه المأمون ولم يزل ظاهرا مكرما الى أن توفي • وفيها مات الامام محمد(١) بن ادريس بن العباس ابن عثمان بن شافع بن السائب بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب أبو عبدالله الشافعي •

قال القاضي أبو الطيب الطبري شافع بن السائب ينسب الشافعي اليه قد لقي النبي صلعم وهو مترعرع وأسلم أبوه السائب يوم بدر فانه كان صاحب راية بني هاشم وأسر وفدى نفسه ثم أسلم فقيل له لم لم تسلم قبل

---

(١) مات الشافعي سنة أربع ومائتين لا كما يذكر المؤلف •

أن تؤذى فقال ما كنت لاحرم المسلمين طمعا لهم في • قال أبو الطيب القاضي وقد وصف بعض أهل العلم بالنسب الشافعي فقال شقيق رسول الله في نسبه وشريكه فى حسبه • وزوج المطلب ابنه هاشما الشفاء بنت هاشم بن عبد مناف فولدت له عبد يزيد جد الشافعي وكان يقال لعبد يزيد المحض فقد ولد الشافعي الهاشمان جميعا • هاشم بن المطلب وهاشم بن عبد مناف والشافعي ابن عم رسول الله صلعم وابن عمته لان عبدالمطلب عم رسول الله • والشفاء بنت هاشم أخت عبدالمطلب عمة رسول الله صلعم • وولد الشافعي بغزة فى بلاد الشام وقيل باليمن ونشأ بمكة شرفها الله تعالى وكتب العلم بها وبمدينة النبي صلعم • وكان خفيف العارضين يخضب بالحناء وقدم بغداد مرتين وحدث وسمي ناصر الحديث وخرج الى مصر فنزلها الى حين وفاته • وسمع مالك بن انس وابراهيم وسفيان بن عيينة وعبد العزيز الدراوردي ومسلم بن خالد الزنجي وخلقا كثيرا وروى عنه أحمد بن حنبل وغيره من الاكابر قال محمد بن عبدالله بن الحكم قال الشافعي ولدت بغزة سنة خمسين ومائة وحملت الى مكة شرفها الله تعالى وأنا ابن سنتين وأخبرني غيره عنه قال: قال: لم يكن لي مال وكنت أطلب العلم في الحداثة فأذهب الى الديوان أستوهب الطوامير أكتب فيها وقال الشافعي حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر سنين وما أفتيت حتى حفظت عشرة آلاف حديث • وكان الشافعي فى أول أمره قليل التلاوة للقرآن لاشتغاله بالعلم ثم أكثر في أخر عمره من القراءة فروى عنه الربيع أنه كان يختم فى كل ليلة فاذا كان رمضان ختم ستين ختمة • وكان حسن الصوت اذا سمعه الناس يقرأ يشتد بكاؤهم وكان في أول أمره ينام ثلث الليل ويصلي ثلث الليل ويكتب العلم ثلث الليل ثم صار يحيي الليل وأفتى وله خمس عشرة سنة •

وذكر أبو بكر بن نوران المعروف بخالويه فى كتاب فضائل الشافعي عن الربيع ان الشافعي كان عند مالك وعنده سفيان بن عيينة والزنجي فأقبل رجلان فقال أحدهما أنا رجل أبيع القماري وقد بعث هذا قمريا وحلفت له

بالطلاق انه لا يهدأ من الصياح فلما كان بعد ساعة أتاني فقال قد سكت فرد علي دراهمي وقد حنثت فقال مالك • بانت منك امرأتك • قال فتبعه الشافعي فقال للبائع أردت أن لا يهدأ أو أن صياحه أكثر من سكوته فقال قد علمت أنه ينام ويأكل ويشرب وانما أردت أن صياحه أكثر من سكوته فقال رد عليك امرأتك • فأخبر مالكا فقال للشافعي من أين قلت هذا فقال من حديث فاطمة بنت قيس قالت يا رسول الله ان معوية وأبا الجهم خطباني فقال ان معاوية صعلوك وأن أبا الجهم لا يضع عصاه عن عاتقه وقد كان ينام ويستريح وانما خرج كلامه على الاغلب فعجب مالك وقال الزنجي للشافعي أفت فقد آن لك أن تفتي وهو ابن خمس عشرة سنة وقال الشافعي بمكة سلوني عما شئتم أخبركم من كتاب الله وسنة نبيه فقيل له ما تقول في محرم قتل زنبورا • فقال قال الله تعالى ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا • وحدثنا سفيان بن عيينة عن عبدالملك بن عمير عن ربعي عن حذيفة قال • قال رسول الله صلعم اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر وحدثنا سفيان عن مسعد عن قيس بن اسلم عن طاوس عن ابن شهاب عن عمر أنه أمر المحرم بقتل الزنبور •

وقال الشافعي أشرف أعمال ثلاثة الجود من قلة والورع فى خلوة وكلمة الحق عند من يرتجى ويخاف • قال تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون • وقال الشافعي لوددت أن الخلق يتعلمون مني ولا ينسب الي منه شيء • وقال طلب العلم أفضل من صلوة النافلة وقال ما ناظرت أحدا فأحببت أن يخطيء بل أحب أن يوفق ويسدد وما ناظرت أحدا الا ولم أبال بين الله الحق على لساني أو على لسانه وقال الشافعي من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن نظر فى الفقه نبل مقداره ومن تعلم اللغة رق طبعه • ومن تعلم الحساب جزل رأيه ومن كتب الحديث قويت حجته ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه •

ذكر ما جرى للشافعي
مع أمير المؤمنين هارون الرشيد

حكى ابراهيم[1] المزني قال دخلت على الرشيد فقال لي كيف أحوالك فقلت بخير يا أمير المؤمنين غير أن الشافعي يذكر أنه للخلافة أهل ولست أنت لها بأهل • وحكي أنه جرى هذا بقول منه وهو في مجلس محمد بن الحسن على حد المداعبة قال فغضب الرشيد غضبا شديدا وقال علي بالشافعي قال فأتي بالشافعي فجثا بين يديه بالمكان الذي يراه ويسمع كلامه فقال الرشيد ايه يا محمد فقال الشافعى يا أمير المؤمنين أنت الداعي وأنا المدعو وأنت السائل وأنا المسئول المجيب فقال الرشيد بعد كلام طويل • كيف علمك بكتاب الله فهو أحرى أن نبدأ به • فقال يا أمير المؤمنين ان الله عز وجل جمعه فى صدري وجعل جنبي دفتيه وأنا أعتمد عليه فى كل أموري • ولكن أي علم تريد منه علم تنزيله أم علم مكيه أم علم مدنيه أم علم ليليه أم علم نهاريه • علم سفريه أم علم حضريه علم محكمه أم علم متشابهه ناسخه أم علم منسوخه علم خاصه أم علم عامه • علم تسمية سوره أم علم عدد آياته وحروفه فقال الرشيد هل يقدر أحد على ذلك فقال الشافعي وهل يسمى أحد حافظا لكتاب الله تعالى الا بعد معرفته بالقرآن هذه المعرفة فقال الرشيد كم حرف فاتحة الكتاب فقال أيعد أمير المؤمنين بسم الله الرحمن الرحيم آية منها قال لا • قال اذاً مائة وثمانية وعشرون حرفا فأطرق الرشيد وأدخل يده فى كمه كأنه عدها ثم قال كيف معرفتك بالاحكام قال في التجارات تريد أم في الديات أم في الطلاق أم في العتاق أم في الحكومات أم في الجراحات • فقال أمير المؤمنين كيف معرفتك بالشعر فقال يا أمير المؤمنين أعرف الشاذ منه وما كرم للمنابر ورويت منه القديم والحديث فى الجد والهزل • قال كيف علمك بالنجوم • قال انى أعرف القطب الدائر

---

(١) كيف يقع هذا من أبى ابراهيم : اسماعيل بن يحيى المزنى وهو صاحب الشافعى الصادق الصحبة •

ومنازل القمر والبروج كلها وما يهتدي به منها في البر والبحر • قال كيف بصرك في الطب قال أعرف منه ما قال حكماء الروم مثل أريسطوتاليس وجالينوس وما قال حكماء الفرس مثل بزرجمهر ومثل شاهمرد • وما قال فلاسفة الهند مثل منكه وهيليتها • قال كيف معرفتك بالعرب قال يا أمير المؤمنين أعرف وقائعهم وأنسابهم وأنساب الكرام منهم ومثالب الاراذل منهم وأنا عارف بنسب أمير المؤمنين ونسبي وكان الرشيد متكئا فاستوى جالسا فقال لقد ادعيت من الامور كبارها فعظني بموعظة على البديهة لتستبين لي فصاحة لسانك وأن لا يكون هذا منك معدا فقال يا أمير المؤمنين على شريطة فقال وما هي شريطتك فقال يا أمير المؤمنين قبول النصح والقاء رداء الكبر عن عاتقك وطرح الحشمة وترك الهيبة • فقال الرشيد لك ذلك يا محمد فأشار الشافعي اليه أن انزل عن سرير الملك فنزل وجلس الشافعي اليه وحسر عن ذراعيه وقرن السبابة قريبا من عينيه وقال يا ذا الرجل انه من أطال عنان الامن في العز طوى عذار الحذر في المهلة • ومن لم يعرج على طرق النجاة كان الى جانب طرق قلة الاكتراث بالرجوع الى الله مقيما • ومن أمن وأحسن الظن بالله كان في أمنه • وان أكيس الناس من بادر مطايا المراجعة الى دار المقامة لا يأمن عليها نفسها يحجز عن سببها الدهر الا ولو جرعها سم مخالفتها وبادرها سرق المراجعة بالتوبة الى دار المقامة • ان لو فعلت ذلك • يا ذا الرجل أن تزيد الندامة وبادرتك حسرات غد في عرصات القيمة • ولكن صرت حتى ضرب عليك الهوى رواق الحيرة فتركتك اذا خرجت يد موعظتك لم تكد تراها • ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور • وهذا جبريل عليه السلام قد نزل على النبي صلعم فقال يا محمد عش ما شئت فانك ميت واحبب من شئت فانك مفارقه واعمل ما شئت فانك مجزى به • واعلم يا أمير المؤمنين ان شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس وقد جعلك الله فوق الخلق وليس فوقك أحد الا الله • واعلم يا أمير المؤمنين انك صائر الى الله فاتق الله أيها الرجل تقوى من يعلم أن عليه من الله رقيبا ومن

يعلم أن الله في القيامة له حسيبا • قال فبكا الرشيد بكاءً شديدا حتى بل منديلا كان بين يديه • فقال الرزقاء (أحد خواص الرشيد) وكان قائما على رأسه حسبك فقد أبكيت أمير المؤمنين • فرفع الشافعي طرفه اليه فقال يا عبيد الرجعة أولستم الذين باعوا أنفسهم بمحبوب الدنيا • أما رأيتم من استدرج ممن كان قبلكم من الخلفاء والامم السالفة كيف فضح مستورهم واضطرب بواكير الهوان عليهم لتبديل ما غيروا وتلبيسهم وكتمانهم الحق فأصبحوا بعد خفض العيش والامن والرفاهية حصائد النقم ومدارج المثلات • فقال الرشيد لقد سللت علينا لسان الفصاحة بنصحك ولائمتك وهو أمضى سيفيك فقال الشافعي هو لك ان قبلته لا عليك • قال الرشيد أوصني بوصية كثبانية (أي مجموعة جامعة) فقال ان استقمت لله وعمرت الضياع وقطعت الطمع جمع الله لك خير الدنيا والاخرة • قال الرشيد زدني قال أوصيك بالقسمة بين المسلمين بالسوية وأن تحب أحباء الله وتعادي أعداء الله قال زدني قال اعمر قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانك ان عمرت بيته لزمك على ذلك مؤنة غليظة ولكن اعمر قبر رسول الله صلعم بالنظر الى أولاده وأولاد المهاجرين والانصار تفز مع العابدين وعليك السلام • فقال الرشيد فهل لك الي حاجة خاصة بعد العامة قال الشافعي يا أمير المؤمنين تأمرني أن أضع قدر موعظتي بالمسئلة • قال فأمر الرشيد له ببدرة فيها عشرة آلاف درهم فأخذها وخرج الى باب القصر وردها على الحاجب وكتب على البدرة :

ذل الحياة وهول الممات كلا أراه طعاما وبيلا

فان لم يكن غير احداهما فسيرا الى الموت سيرا جميلا

وروي عن عبدالله بن محمد العلوي قال لما جيء بمحمد بن ادريس الشافعي أدخل العراق على بغلة عليها قتب وعليه طيلسان مطبق وفي رجليه

حديد وكان من أصحاب محمد[1] بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وأدخل على الرشيد فسأله عن القرآن وعن السنة وعن الشعر وعن أيام العرب وعن الاحكام وعن الطب وعن النجوم وهو يقول فيها بفهم فازداد الرشيد منه تعجبا فوعظه وأمر له بجائزة فأبي أن يقبلها • وخرج محمد بن الحسن وأبو يوسف من مجلس الرشيد وكان أبو يوسف قاضي القضاة ومحمد على المظالم • فجردا عشرين مسئلة وبعثا بها الى الشافعي مع حدث من أصحاب الحديث فدخل بها على الشافعي فلما قرأ الدرج قال له من أعطاك هذا الدرج قال من أحب تفسيرها قال متعنت أو متعلم فسكت الحدث قال الشافعي هذا من عنت محمد ويعقوب • قال فنظر الشافعي فيها ثم انه دخل على أمير المؤمنين الرشيد فأخبره وأقرأه الدرج فعجب وبعث مولاه سراجا فأحضرهما وسألهما عن الدرج فاعترفا به فقال الرشيد للشافعي فسرها ولك الفضل • قال يا أمير المؤمنين أول مسألة سألاني عن رجل أبق له عبد فقال هو حر ان طعمت طعاما حتى أجده • فالجواب عن ذلك أن يهبه لبعض ولده •

وسألاني عن رجلين كانا فوق سطح فمال أحدهما فسقط فمات فحرمت على الآخر زوجته • فالجواب عن ذلك ان امرأة الحي كانت أمة للميت وكان الزوج بعض ورثته فصارت الأمة ميراثا فحرمت عليه •

وسألاني عن رجلين خطبا امرأة فحلت لاحدهما ولم تحل للاخر من غير مكروه • فالجواب فى ذلك ان أحد الرجلين كانت له أربع نسوة فحرمت عليه الخامسة والآخر لم يكن له امرأة فحلت له بالخطبة والنكاح •

وسألاني عن رجل ذبح شاة فى منزله ثم خرج لحاجة فرجع وقد حرمت الشاة عليه فقال لاهله كلوا فقد حرم الله علي الاكل منها قال له أهله

(١) ان محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن المعروف بالنفس الزكية ثار على المنصور فى سنة ١٤٥هـ على حين ولد الشافعى سنة ١٥٠هـ فكيف يكون من أصحابه •

ونحن أيضا قد حرم الله علينا الاكل منها • الجواب ان هـذا الرجـل كان مشركا فذبح شاة وخرج لحاجة فأسلم فى طريقه ورجع وقد قيل لاهلـه ان أباكم قد أسلم فأسلموا فقال لهم كلوا فقد حرم الله علي الاكل لاني قـد أسلمت قالوا ونحن قد حرمها الله علينا لانا قد أسلمنا أيضا •

وسألاني عن امـرأة تزوجت في شـهر واحـد ثلاثة أزواج كل كان حلالا غير حرام • فالجواب فى ذلك ان هذه المرأة طلقها زوجها وهي حبلى فولدت بعد عشرة أيام فعدتها ولادتها ثم خطبها رجل آخر وعقد عليها عقده فخلعت عنه قبل أن دخل بها ولم يكن لها عدة ثم خطبها رجل آخر فدخـل بها • فذلك ثلاثة أزواج فى شهر واحد •

وسألاني عن رجل واحد حرمت عليه امرأته ثم حلت له من غير حنث ولا طلاق ولا عدة فالجواب فى ذلك ان هذا الرجل وامرأته كانا فى الحـج وهما محرمان وفاتهما الحج ولم يفكا احرامهما بفدية فلم تزل امرأته حراما عليه اتيانها فلما كان في العام المقبل حجا وتحللا من الحرام فحلت له امرأتـه فوطئهـــا •

وسألاني عن امرأتين لقيتا غلامين فقالتـــا مرحبا بابنينا وابني زوجينـا وزوجينا فالجواب فى ذلك ان الامرأتين كان لهما ابنان فتزوجت كل واحدة منهما ابن صاحبتها فكانا ابنيهما وزوجيهما وابني زوجيهما معا •

وسألاني عن شخصين شربا الخمر فوجب على أحدهما الحد ولم يجب على الآخر شيء وكلاهما مسلمان • فالجواب عن ذلك ان أحدهما كان حرا بالغا فوجب عليه الحد والآخر كان صبيا لم يبلغ الحلم فثرد فى الخمر فأكـل الثريد فلا حد عليه •

وسألاني عن مخلوقين سجدوا لغير الله وهم مطيعون لله • فالجواب فى ذلك انهم الملائكة سجدوا لادم عليه السلام •

وسألاني عن رجل قال لولده ان مت فلك من ارثي ألفان ولـو كنت ابن عمي لكان لك من ارثي عشرة آلاف • فالجواب في ذلك ان مال الرجل

ثلاثون ألف درهم وله ثمان وعشرون بنتا وابن واحد فللابن ألفا درهم ولكل بنت ألف درهم ولو كان ابن عمه لكان للبنات الثلثان وهو عشرون ألف درهم والباقي لابن العم وهو عشرة آلاف درهم •

وسألاني عن رجل أخذ قدحا فيه ماء يشربه فشرب بعضه حلالا وحرم عليه الباقي • فالجواب فى ذلك أنه شرب بعضه ورعف فى الباقي حتى غلبه الدم فحرم عليه الباقي •

وسألاني عن امرأة ادعت أن زوجها لا يقربها وانها بكر كما خلقت فالجواب فى ذلك أن تؤمر القابلة حتى تحملها بيضة فان غابت البيضة كذبت وان لم تغب صدقت •

وسألاني عن رجل دفع الى امرأته كيسا مختوما فقال لها أنت طالق ان فتحتيه أو فتقتيه أو خرقتيه وأنت طالق ان لم تفرغيه • فالجواب فى ذلك ان الكيس كان فيه ملح فوضعته فى ماء حار فذاب الملح وتفرغ الكيس •

وسألاني عن امرأة لقيت غلاما فقبلته وقالت فديت من أمها ولدت أمه وأنا امرأة أبيه • فالجواب فى ذلك أنها أمه •

وسألاني عن رجل أتى جارية فقبلها وقال فديت من أبي جدها وأخي عمها • فالجواب فى ذلك أنها ابنته •

وسألاني عن خمسة نفر زنوا بامرأة فوجب على أحدهم القتل وعلى الثاني الرجم وعلى الثالث الحد وعلى الرابع نصف الحد ولم يجب على الخامس شيء • فالجواب فى ذلك ان الاول مشرك زنا بمسلمة فوجب عليه القتل • والثاني محصن زنا فوجب عليه الرجم والثالث بكر زنا فوجب عليه الحد والرابع مملوكا زنا فوجب عليه نصف الحد • والخامس مجنون أو صبي زنا فلا شيء عليه •

وسألاني عن امرأة قهرت مملوكا حتى وطئها المملوك وهو كاره لوطئها • فالجواب فى ذلك ان كان المملوك خشي أن تقتله ان لم يعمل ما تأمره فلا شيء عليه وان لم يخش القتل وتوقع الضرب فعليه نصف الحد

وان كانت مولاته محصنة فعليها الرجم وان كانت غير محصنة فوجب عليها الحد ويباع مملوكها عليها •

وسألاني عن رجل صلى بقوم وسلم عن يمينه فطلقت امرأته وسلم عن شماله ففسدت صلاته ونظر الى السماء فوجب عليه ألفا درهم من وقته • فالجواب في ذلك ان هذا الرجل لما سلم عن يمينه نظر الى رجل كان زوج امرأته وغاب عنها فتزوج بها فاذا قدم من سفره فليس له بعد النظر الا فراقها ثم سلم عن شماله فنظر في ثوبه دما كثيرا فوجب عليه اعادة الصلوة ونظر الى السماء فرأى الهلال وكان عليه دين منجم في الشهر ألفا درهم•

وسألاني عن رجل ضرب رأس رجل بعصا فادعى المضروب ان ضاربه قد أذهب فى ضربته احدى عينيه وانه قد جفت خياشيمه وانه قد أخرس لسانه من الضرب فهو لا يقدر أن يتكلم يومي ايماء • فالجواب فى ذلك أن يقام فى مستقبل الشمس فان لم يطرف فهو صادق ويشم الحراق فان لم يتأذ به فهو صادق ويغرز لسانه بابرة فان خرج دم أسود فهو صادق •

وسألاني يا أمير المؤمنين رأس العشرين عن امام كان يصلي بالناس وكان وراءه أربعة نفر فدخل المسجد رجل آخر فصلى معهم عن يمين الامام فلما سلم الامام عن يمينه ونظر الى الرجل الداخل وجب على الامام ضرب العنق وأخذ امرأته منه وتدفع الى الرجل ووجب هدم المسجد ويجب على الاربعة الذين صلوا وراء الامام الحد • فالجواب فى ذلك ان ذلك الرجل الذى دخل بعد الاربعة وصلى معهم كان مالكا ذلك المسجد فسافر وخلى أخاً له مقيما فى المسجد موضعه وخلف امرأته عند أخيه فشد ذلك الامام على أخ ذلك الرجل فقتله وأخذ امرأة القادم غصبا وادعى انها امرأته فشهد له الاربعة الذين صلوا وراءه انها كانت امرأته وأخذ دار الذي كان قتله فجعلها مسجدا فوجب عليه القتل بالقتل ورجعت المرأة الى زوجها ويرد المسجد دارا كما كانت اذ كان ذلك غصبا وجلد الاربعة الذين شهدوا انها امرأة الامام الحد بشهادة الزور •

ثم قال الشافعي وأنا سائلهما عن مسألتين فان أجابا فالحمد لله وان لم يجيبا فأنا أسأل أمير المؤمنين أن يكفينيهما فاني مشغول عنهما بشيء من الفقه أجمعه لصلاح دين الخاصة والعامة فقال الرشيد يا ابن ادريس سلهما عن ذلك كما سئلت فأقبل الشافعي على أبي يوسف فقال ما تقول فى رجل تزوج بامرأة وتزوج ابنه أمها فجاءت الام بولد والبنت بولد ما يكون هذا الولد من هذا وذاك من هذا • فسكت يعقوب أبو يوسف •

فأقبل الشافعي على محمد بن الحسن فقال ما تقول في رجل مات وخلف ستمائة درهم وله من الورثة أخت فأصابها درهم واحد مما ترك • ما فرض هذه الفريضة • فسكت محمد بن الحسن •

فقال الرشيد يا ابن ادريس فسرهما وأنا أكفيك أمرهما • فقال الشافعي يا أمير المؤمنين • ابن الام خال ابن البنت وابن البنت عم ابن الام وأما الفريضة فانه بلغني أن امرأة جاءت الى أمير المؤمنين علي بن أبى طالب (عم) وقد وضع رجله فى الركاب ليركب فقالت له يا أمير المؤمنين اني قد جئتك عام أول وقد مات أخي وخلف ستمائة درهم فدفع الي من ميراثه درهم واحد ولست أعرف كيف حكمت به فقال علي (عم) حكمت بحكم الله تعالى ان أخاك مات وخلف ابنتين فأصابهما الثلثان أربعمائة درهم وخلف أماً فأصابها السدس مائة درهم وخلف زوجة فأصابها الثمن خمسة وسبعون درهما فبقي من المال خمسة وعشرون خلف اثني عشر أخا وأختا فلكل أخ درهمان ولك درهم فضحك الرشيد وأقبل على يعقوب ومحمد بن الحسن فقال لهما دعاه عنكما فان الله فرض له حق القرابة من رسول الله (صلعم) وحق الشرف وحق العلم فقالا يطاع أمر أمير المؤمنين ولا يعصى • قال فأمر أمير المؤمنين الرشيد للشافعي بألف دينار وخلع عليه من ثيابه • فقبل الشافعي الثياب والدنانير فرقها في أصحاب الرشيد فلما بلغ الباب لم يبق معه الا قبضة دفعها الى خادمه يستعين بها • فلقد رأيت بعد ذلك محمد ابن الحسن يتردد الى الشافعي وربما حجبه •

وقال المزني دخلت على الشافعي فى علتـــه التى مات فيها فقلت كيف أصبحت فقال أصبحت من الدنيا راحلا ولاخواني مفارقا ولكأس المنية شاربا ولسوء عملي ملاقيا وعلى الله تعالى واردا فلا أدري أروحي تصير الى الجنـــة فأهنيها أو الى النار فأعزيها وأنشأ يقول :

ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي جعلت الرجا مني لعفـوك سلما

تعاظمني ذنبي فلمـــا قرنتـه بعفوك ربي كان عفـوك أعظما

ومازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجـــود وتعفو منـــة وتكـرما

قال الربيع توفي الشافعي ليلة الجمعة بعد العشاء الاخرة أخر يوم من رجب سنة ثلاث ومائتين ودفناه يوم الجمعة وانصرفنا • فرأينا هلال شعبان وبلغ من العمر أربعا وخمسين سنة قال الربيع رأيت الشافعي بعد وفاته فى المنام فقلت يا أبا عبدالله ما صنع الله بك قال أجلسني عـــلى كرسي من ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب •

وفيها مات هشام بن محمد بن السائب بن بشر أبو منذر الكلبي قـــال محمد بن أبي السري قال لي هشام بن محمد الكلبي حفظت ما لم يحفظـه أحد ونسيت ما لم ينسه أحد كان لي عم يعاتبني على حفظ القرآن فحفظته في ثلاثة أيام • ونظرت في المرآة فقبضت على لحيتي لاخذ ما دون القبضـة فأخذت ما فوق القبضة •

ثم دخلت سنة أربع ومائتين فيها قدم المأمون العراق مع انقطاع موارد الفتن •

وقال الصولي ان زينب بنت سليمان بن علي كلمت المأمون في تـرك لباس الخضرة والاضراب عما فعله من تولية أولاد علي (عم) فقال لها أن أبـا بكر تولى فما ولى أحدا من بني هاشم ثم عمر كذلك ثم عثمان فأقبل على بني عبد شمس وترك غيرهم ثم ولي علي بن أبي طالب فولى عبـدالله بن العباس

(١) المعروف أن الشافعى توفى سنة أربع ومائتينهـ •

البصرة وعبيدالله اليمن وقثم مكة شرفها الله تعالى ومعبدا البحرين وما ترك منا أحدا الا ولاه فكانت هذه في أعناقنا فكافئته بما فعل • وقال المأمون :

الام على شكري الوصي أبا الحسن ... وذلك عندي من أعاجيب ذا الزمن
خليفة خير الناس والاول الذي ... أعان رسول الله فى السر والعلن
ولولاه ما عدت لهاشم امرة ... وكان على الايام يعصى ويمتهن
فولى بني العباس ما اختص غيرهم ... ومن منه أولى بالتكرم والمنن
فأوضح عبدالله بالبصرة الهدى ... وفاض عبيدالله جودا على اليمن
وقسم أعمال الخلافة بينهم ... فلا زلت مربوطا بذا الشكر مرتهن

قال أبو سهل الرازي لما دخل المأمون بغداد تلقاه أهلها فقال له رجل يا أمير المؤمنين بارك الله فى مقدمك وزاد فى نعمتك وشكرك عن رعيتك فقد فقت من قبلك وأتعبت من بعدك وأيأست أن يعتاض عنك لانه لم يكن مثلك ولا نعلمه أما فيمن مضى فلا يعرفونه وأما فيمن بقي فلا يرتجونه فهم بين دعاء لك وثناء عليك وتمسك بك اخصب لهم جنابك واجزل لهم ثوابك وكرمت مقدمتك وحسنت اثارك فجبرت الفقير وفككت الاسير فأنت كما قال الشاعر :

ما زلت فى البذل والنوال واط ... لاق لعان بجرمه غلق

فقال المأمون مثلك يعيب من لا يستنطقه ويعر من يجهل قدره فاعذرني في مسالتك تحمدني في مستانفك •

ولما دخل المأمون بغداد دخلت عليه زبيدة بنت جعفر فلما جلست قالت الحمد لله لئن كنت قد فقدت ابناً خليفة فلقد اعتضت ابنا خليفة وما خسر من اعتاض مثلك وما ثكلت أم ملأت يدها منك فاسأل الله أجرا على ما أخذ وامتاعا بما وهب فقال المأمون ما تلد النساء مثل هذه فماذا أبقت في هذا الكلام لبلغاء الرجال • قال وكتبت اليه :

لخير امام قام من خير عنصر ... وأفضل راق فوق أعواد منبر

ووارث علـم الاولين وملكهم وذاك هو المأمون من أم جعفـر
كتبت وعيني تسـتهل دموعهـا اليك ابن عمي من جفوني ومحجري
أصبت بأدنى الناس منـك قرابة ومن هولي روحي فعيل تصبري
أتى طاهر لا طهر الله طاهـراً فما طاهـر فى فعلـه بمطهـر
فأبرزني مكشوفة الوجه حاسراً وانهب أمـوالي وخرب ادوري
يعـز على هـرون ما قد لقيتـه وما مر لي من ناقص الخلق أعور
تذكر أمير المؤمنـين قرابتـي فديتك من ذي قـربة متذكـر
فان يك ما أسـدى لامر أمرته صبرت لامـر من قـدير مدبر
وان تكن الاخري فغـير مدافع اليـك أمـير المؤمنـين فغـير

فلما قرأ الابيات قال انا لله أنا المطالب بثأر أخي قتـل الله قاتله وكتب اليها فى ظهر رقعتها :

يعـز علـي ما لاقيت فيـه وأنت الأم خـير الامهـات
ولـم أرض الذي فعلوا اليـه من الفعـل المخالف والشتات
فـاني مثـله لك فاعلميـه على ما كان مـا بقيت حيـاتي
وثـاري بعـد ثار الله فيـه سـيذهب بالجبـابرة العتـات
بنـى لك جعفـر بيتا رفيعـا وأنت أمـيرة للمؤمنـات

ثم عبر اليها فعزاها وأكثر البكاء معها فقالت يا أمير المؤمنين دواء دائي وباب مسألتي في غدائك عندي فأقام وتغدى عندها وأخرجت له من جواري محمد من تغنيه وسألته أن يأخذ منهن من يرتضيها فغنت واحدة منهن :

هم قتلوه كي يكونوا مكانه كما غدرت يوما بكسرى مرازبه

فذهب مغضبا فقالت زبيدة حرمني الله أجره ان كنت علمت ذلك أو دسست اليها فصدقها وعجب من ذلك :

ولم نذكر جميع الحوادث التى جرت أيام خلافته طلبا للاختصار بهذا

المجموع واقتصرنا على ما ذكرنا منها وفيه الكفاية للمتأمل ان شاء الله وتوفي المأمون ليلة الخميس عاشر رجب من سنة ثمان عشرة ومائتين بالقرب من طرسوس وهو متوجه يريد الغزو فحمل اليها ودفن في دار خاقان الخادم وقد ذكرنا ذلك فى أخباره مشروحا والخير يكون ان شاء الله تعالى •

ذكر خلافة

المعتصم

وهو أبو اسحق محمد بن الرشيد ولد يوم الاثنين عاشر شعبان من سنة ثمانين ومائة وأمه أم ولد يقال لها ماردة لم تدرك خلافته وكان مع أخيه المأمون ببلاد الروم لما توفي فأراد الناس أن يبايعوا العباس بن المأمون فأبى وسلم الامر الى عمه المعتصم فتوجه الى بغداد مسرعا فوافاها غرة شهر رمضان سنة ثمان عشرة ومائتين وأقام بها سنتين ثم توجه الى سر من رأى وبناها واتخذها دارا • وكان أبيض أصهب اللحية طويلها مربوعا مشرب اللون حمرة • نقش خاتمه الحمد لله الذي ليس كمثله شيء • وكان من العظماء الموصوفين بالحزم ذوي المناقب الوافرة والفتوح الظاهرة والفضائل الجمة والهمة العالية جد فى اعزاز الدين وحج قبل الخلافة وكان له فى خلافته فتوح لم تكن لاحد من الخلفاء وهي ثمانية بلدان منها عمورية وقتل ثمانية ملوك ولكل واحد من هؤلاء الملوك وفتوحه خبر طريف يطول ذكره • فمنها فتح عمورية وما جري لابي تمام الطائي معه بمدحه بتلك القصيدة التي أولها :

السيف أصدق انباء من الكتب ... فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف فى ... متونهن جلاء الشك والريب
والعلم فى شهب الارماح لامعة ... بين الخميسين لا فى السبعة الشهب

وهذه القصيدة طويلة عددها ثلاثة وسبعون بيتا أعطاه جائزتها ثلاثة وسبعين ألف دينار على كل بيت ألف دينار وقصصه فى فتوحاته طويلة

وأخبارها طريفة يطول استقصاؤها فى هذا المختصر وقد ذكر الشيخ تاج الدين علي بن الحسن البغدادي نبذا من ذلك في كتابه الموسوم بكتاب الايناس فى مناقب الخلفاء من بني العباس ومن أعاجيب أحواله ان أباه الرشيد جعل ولاية العهد فى أولاده الثلاثة محمد الامين وعبدالله المأمون والقاسم المؤتمن ولم يعينه معهم فلم يكن من نسلهم خليفة • وساق الله تعالى الخلافة اليه والى عقبه وله بسامرا الآثار الحسنة والابنية العظيمة قيل ان مساحتها سبع فراسخ وحفر نهر الاسحاقي وعمل تل المخالي وحكايته مشهورة لما جيش الجيوش الى حصار عمورية وبنى سورا للصيد وبنى الجامع الكبير وأنفق على ذلك خمسمائة ألف دينار وجعل وجوه حيطانه مرايا بحيث يرى القائم فى الصلاة من يدخل من خلفه وبنى المنارة التي يقال انها من احدى العجائب وكان عدة عسكره سبعين ألفا وفي ذلك يقول علي بن الجهم :

ورافضة[1] تقول بشعب رضوي ... امام خاب ذلك من امام

امام من له سبعون ألفا ... من الاتراك مشرعة السهام

قيل انه لم يكن في بني العباس من قبله أشجع منه ولا أتم تيقظا في الحرب ولا أشد قوة • قيل انه اعتمد باصبعيه السبابة والوسطي على ساعد انسان فدقه وكان يلوي العمود الحديد حتى يصير طوقا ويشد على الدينار باصبعه فيمحو كتابته • وكانت همته فى حروبه مناسبة لحيلته •

ذكر وفاته

توفي يوم الخميس سابع عشر شهر ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين وكانت خلافته ثماني سنين وثمانية أيام وعمره ثمان وأربعون سنة وكان يسمى المثمن من بني العباس لما كان فيه من نسبة الثمان من عمره ومدة خلافته وأولاده ومواريثه ويأتي ذكرها ودفن بسامرا •

---

(١) الرافضة لا تقول بامامة محمد بن الحنفية وانما تقول بذلك الكيسانية•

ذكر أولاده وهم ثمانية من الذكور وثمان من الاناث

هرون الواثق وجعفر المتوكل وقد وليا الخلافة ومحمد وهو والد المستعين • وأحمد وجعفر وحج بالناس في خلافة أخيه هارون وكان أديبا فاضلا شاعرا جميل الصورة ومن شعره قوله :

وشادن يفضح بدر الدجى ... والبدر فى ليلته يزهر
يحجد اني مستهام به ... فهو لقولي أبدا ينكر
وقد كساني سقمي حلة ... تظهر من وجدي الذي أضمر
يكفيك مني شاهد انني ... اليك من دون الورى أنظر

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزر له الفضل بن مروان وعزله واستوزر أبا العباس أحمد بن عمار وعزله واستوزر محمد بن عبد الملك الزيات الى أخر أيامه ولم يعزل قضاة أخيه المأمون وحاجبه وصيف مولاه •

ذكر بعض الحوادث التى جرت فى أيامه

لما كان غرضنا في هذا المجموع المبارك الاختصار تركنا ذكر الحوادث في أيام المعتصم ولم نثبتها خيفة التطويل والاسهاب وذكرنا من حال كل خليفة من الخلفاء العباسيين نبذا من أحاديثهم ومدة أيام خلافتهم وما جرى لهم مختصرا مفيدا لصحة نقله ليصغر حجم الكتاب والله الموفق للصواب •

ذكر خلافة

الواثق

وهو أبو جعفر هرون بن المعتصم مولده سنة ست وتسعين ومائة بطريق مكة • أمه أم ولد يقال لها قراطيس رومية وبويع بالخلافة في اليوم الذي

توفي فيه أبوه وذلك بسامرا ووصل الخبر الى بغداد يوم الجمعة ثاني يوم من وفاة أبيه على يد اسحق بن ابراهيم فلم يظهر وفاته • وخطب للمعتصم على منبر بغداد وهو ميت • وفي يوم السبت طالب اسحق الامراء الهاشميين والقواد والاعيان بالحضور بدار الولاية • فأخذ البيعة على الناس للواثق بعد أن نعي اليهم المعتصم وكان الواثق جسيما أبيض تعلوه صفرة حسن الوجه فى عينه اليمنى نكتة بياض • نقش خاتمه الله ثقة الواثق • وكان يتشبه بعمه المأمون في أخلاقه وكرمه وحلمه لانه هو الذى رباه فتقيل أفعاله وحج بالناس وأحسن الى العلويين وأحرقت الكرخ فى أيامه وتشاغل الاغنياء بعمارة منازلهم وعجز الفقراء عن عمارة أملاكهم وانتقلوا عنها فأطلق للفقراء منهم خاصة ألف ألف درهم معونة لهم على اصلاح المنازل ودخل اليه أحمد ابن أبي دؤاد ومعه قصة من أهل فرغانة يسألون اعانتهم على حفر نهر وسد بثق هناك فقال يا أبا عبدالله قد أطلقت منذ ساعة لك المال وتسأل هذا عقيبه فقال له انك تسئل عن أهل فرغانة كما تسئل عن أهل بغداد وبحسب ذلك فينبغي أن يعم احسانك من بعد كما يشمل من قرب فوقع بما التمسوه • ومن شعره :

تنح عن القبيح ولا ترده ومن أوليته حسنا فزده
ستلقي من عدوك كل كيد اذا كاد العدو ولم تكده

وقوله

دع المقادير تجري فى أعنتها واصبر فليس لها صبر على حال
تريك يوما وضيع القدر مرتفعا الى السماء ويوما تخفض العالي

وكان حسن الفكر فى صلاح الرعية حافظا حق من خدمه يتجاوز عن هفوته •

ذكر وفاته ومدة خلافته

قيل انه لما حضرته الوفاة أمر بطي البساط من تحته وألصق خده بالارض وجعل يقول يا من لا يزال ملكه أرحم من قد زال ملكه • وتوفي يوم الاربعاء سابع عشرين ذي الحجة من سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ودفن بسر من رأى وكانت خلافته خمس سنين وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوما •

ذكر أولاده

وهم محمد المهتدي بالله وأبو اسحق ابراهيم ومحمد وأبو القاسم عبدالله وهرب لما قتل أخوه المهتدي فلحق بابن الليث الصفار فأكرمه وطلبه منه المعتمد فلم يسلمه وتوفي عنده • وأبو العباس أحمد وكان عالما فاضلا • والعباسة وتزوجها المستعين وعائشة وتزوجها أيضا لما ماتت أختها •

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزر له محمد بن عبدالملك الزيات وزير أبيه مدة خلافته وقاضيه أحمد بن أبي دؤاد وحاجبه وصيف التركي ومحمد بن عاصم •

ذكر خلافة
المتوكل

وهو أبو الفضل جعفر أخو هرون الواثق بن المعتصم مولده سنة سبع ومائتين أمه أم ولد يقال لها شجاع بويع بالخلافة بسر من رأى بعد وفاة أخيه وبايعه منهم سبعة كل منهم ابن خليفة وهم محمد بن الواثق وأحمد ابن المعتصم وموسى بن المأمون وعبدالله بن الامين وأبو أحمد بن الرشيد والعباس بن الهادي ومحمد بن المتوكل يعني ابنه • وكان المتوكل أسمر خفيف الجسم حسن العين خفيف العارضين قصيرا • نقش خاتمه : على الله توكلت • وكان كريما سهل الاخلاق حج قبل الخلافة •

ذكر شيء مما كان يؤثر من كلامه

فمنه : لذة الدنيا في الدعة والسعة • ومن شعره لما توفيت أمه :

تنكرت لما فرق الدهر بيننا   فعزيت نفسي بالنبي محمد
وقلت لها ان المنايا سبيلنا   فمن لم يمت فى يومه مات فى غد

ذكر قتله وسببه

كان قد قدّم ولده المعتز على ولده محمد المنتصر وكان المنتصر أشد من المعتز فتوعد المعتز أخاه المنتصر وسب أمه فانتهز المنتصر الفرصة ذات ليلة حين انفرد أبوه فهجم عليه بغلمان أتراك كان قد واطأهم على قتله ووعدهم الاحسان اليهم فقتلوه وقتلوا معه الفتح بن خاقان وقيل غير ذلك • نقل بعض أهل السير ان المتوكل كان يظهر من سب علي بن أبى طالب والاستهزاء بذكره كثيرا وكان المنتصر الاغلب عليه ، التشيع وحب علي كرم الله وجهه فأخذته في ذلك الغيرة مما جرى من أشياء لا يجوز اثباتها مما لا يعلم بصحتها الا الله تعالى • لهونا عن ذلك وذكرنا مختصرا من نبذها وانه قتله بسبب المذهب والله أعلم •

ومن عجيب الاتفاق انه وصف له سيف فابتاعه فلم يعجبه فقال لباغر التركي هذا سيف وحش وأنت وحش ووهبه له فقتله به وذلك في أربع شوال من سنة سبع وأربعين ومائتين وكانت خلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر ودفن بسر من رأى •

ذكر أولاده

وهم أبو شيبة الغيداق وأبو العباس محمد واسماعيل وتوفي بواسط وحمل الى سامرا فدفن بها وكان أخوه المعتز قد ولاه الحجاز ومصر وافريقية وبرقة والاسكندرية • وموسى وأروى وميمونة وأم محمد وعائشة وأبو الحسن وأبو عبدالله وأبو عيسى وغرق في أيام ابن أخيه المعتضد بالبردان

وأخذ رأسه والقى جسده فى دجلة ومحمد المنتصر ومحمد المعتز وطلحة واسماعيل •

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزر له محمد بن عبدالملك الزيات ثم قتله واستوزر محمد بن الفضل الجرجاني وعزله واستوزر عبدالله بن يحيى بن خاقان • وقضاته يحيى بن أكثم وعزله وولى جعفر بن محمد البرجمي ثم جعفر بن عبدالله العباسي • وحجابه وصيف التركي ثم محمد بن عاصم ثم يعقوب بن قوصرة ثم المرزبان ثم ابراهيم بن الحسن بن سهل •

ذكر خلافة

المنتصر

وهو أبو العباس محمد بن جعفر المتوكل مولده بسر من رأى فى شهر ربيع الاول من سنة أربع وعشرين ومائتين أمه أم ولد رومية اسمها حبشية وكان أبوه المتوكل قد عقد له ولاخوته المعتز والمؤيد بولاية العهد وبويع المنتصر بالله بالخلافة في صبيحة الليلة التي قتل فيها أبوه المتوكل وخلع أخويه من البيعة التى أخذها أبوهما لهما على الناس • وكان المنتصر قصيرا أشم ضخم الهامة عظيم البطن جسيما على عينه اليمنى أثر وجع أصابه فى صغره وكان شيعيا ومن كلامه • ما ذل ذو حق وان أطبق الناس عليه • وما عز ذو باطل ولو طلع القمر من بين عينيه • وكان قد حج بالناس قبل الخلافة ومن شعره :

متي ترفع الايام من قد وضعنه وينقاد لي دهر علي جموح
أعلل نفسي بالرجاء وانني لاغدو على ما ساءني وأروح

وقد مدحه البحتري ويأتي ذكر قصيدته عند ذكر البحتري وأشعاره .

ذكر وفاته

جلس يوما على بساط ديباج فرأى فى دائرة فيه كتابة بالفارسية فقال ما هذه الكتابة فقريت له فاذا هي : أنا شيرويه بن كسري قتلت أبي فلم أمتع بالملك بعده فتغير وجهه وقام من مجلسه فلم يبق بعد ذلك الا يسيرا ومرض فعادته أمه وسألته عن حاله فقال ذهبت مني الدنيا والآخرة وأنشد :

فما فرحت نفسي بدنيا أصبتها ولكن الى الله الكريم أصير

وهذا من أعجب الاتفاقات وأظرف العظات وشر أحداث الزمان ما اتفق • وكانت وفاته يوم الاحد خامس شهر ربيع من سنة ثمان وأربعين ومائتين وكانت خلافته ستة شهور ودفن بالجوسق من سر من رأى ولم يل الخلافة قبله أقل من مدته •

ذكر أولاده

وهم أحمد وعبدالوهاب وعبدالله •

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزر له مدة خلافته أحمد بن الخصيب • ولم يعزل قضاة أبيه وحاجبه وصيف التركي ولا عقب له في الخلافة والخلفاء من ولد أخيه •

ذكر خلافة

المستعين

وهو أبو العباس أحمد ابن الامير محمد بن المعتصم مولده بسر من رأى يوم الثلاثاء سابع شهر رجب سنة احدى وعشرين ومائتين أمه مخارق بنت عبدالله بويع له بالخلافة في شهر ربيع الاخر بعد وفاة المنتصر سنة ثمان وأربعين ومائتين • ولما دعي ليبايع قال أستعين بالله فلقب المستعين وكان أبيض حسن الوجه ظاهر الدم بوجهه أثر جدرى نقش خاتمه استعنت بالله • وكان

مسلما الى الله تعالى في أموره كثير التضرع اليـه فى حالتي شـدته ورخائه سديد الآراء حسن التدبير ذا سخاء وجود وكان عنـده أدب ويقول الشعر فمن ذلك قوله :

صبرت عـلى ريب الدهور وصرفها وقلبت قلبي فى أحـر من الجمر
فملكنـي ربي الذي لـم أظنـه وأعقبني صبري التملك للامـر

وقد مدحه ابن الرومي بمدائح كثيرة •

ذكر خلعه ووفاته

كان قد الجيء الى خلع نفسه فلما دخل عليه القضاة أشهدهم عليـه وأخذ ابن أبي الشوارب كتاب الخلع وقال أشـهد عليك يا أمير المؤمنين بهذا قال نعم فقال له خار الله لك يا أبا العباس فبكى وقال يا رب خلعتني من الخلافة فلا تخلعني من رحمتك وذلك في ثاني عشر المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين وكانت خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر وقتل بعد الخلع بالقادسية قـرب سامرا قتله بغا التركي وأخذ رأسه فحمله الى ابن عمه المعتز ودفن بسر من رأى عن ثلاثين سنة وثلاثة أشهر ولا عقب له فى الخلافة •

ذكر أولاده

وهما العباس وكان ولاه والده الحرمين • والقاسم •

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزر له أحمد بن الخصيب وعزله واستوزر أبا صالح بن عبدالله يزداد واستوزر محمد بن الفضل الجرجاني ثم شجاع بن أبي القاسـم • وقاضيه ابن أبي الشوارب • وحجابه أوقاس التركي ثم بغـا التركي ثـم موسى بن بغا ثم وصيف •

ذكــــر خلافـــة

المعتـــز بالله

وهو أبو عبدالله محمد بن جعفر المتوكل مولده يوم الخميس سادس عشر شهر ربيع الاول من سنة ثلاث وثلاثين ومائتين أمه أم ولد اسمها قبيحة بويع له بالخلافة بعد خلع ابن عمه المستعين وكان طويلا جسيما أبيض مشربا حمرة أدعج العينين أقنى الانف حسن الوجه جعد الشعر كث اللحية • نقش خاتمه : محمد رسول الله • وكان كاملا في الفضل والادب والخلال الحميدة • ومن شعره :

لقد عرفت علاج الطب من وجعي　　　وما عرفت علاج الحب والجزع

جزعت للحب والحمى صبرت لها　　　اني لاعجب من صبري ومن جزعي

وما أمل حبيبي ليتني أبدا　　　مع الحبيب ويا ليت الحبيب معي

وقــــوله

الله يعلم يا حبيبي انني　　　مذ غبت عنك مدله مكروب

يدنو السرور اذا دنا بك منزل　　　ويغيب صفو العيش حين تغيب

وقد مدحه البحتري بقصائد كثيرة •

ذكر خلعه ووفاته

كان المعتز بعد مبايعته بالخلافة أخرج أخاه المؤيد من الجوسق وخلع عليه ثم بلغه عنه أنه يريد الوثوب عليه فحبسه فبلغه أن جماعة من الاتراك يريدون اخراجه من الحبس فطلبه فوجده ميتا فأخرجه وأشهد القضاة والفقهاء على جسده انه لا أثر به • ثم كبسه حاجبه صالح بن وصيف وجاء في جماعة من الاتراك وصاحوا على بابه فاعتذر من الخروج بأنه قد شرب دواء وأذن في دخول بعضهم فلما دخلوا عليه ألجؤوه الى خلع نفسه وأشهدوا عليه

بذلك القاضي ابن أبي الشوارب وغيره ثم وكل به وذلك فى يوم الاثنين سابع وعشرين رجب من سنة خمس وخمسين ومائتين ومدة خلافته أربع سنين وستة أشهر وأربعة عشر يوما وتوفي في شهر رمضان من السنة بسامرا ودفن بها فى موضع يقال له السميدع عن ثلاث وعشرين سنة ولا عقب له في الخلافة •

ذكر أولاده

وهم عبدالله بن المعتز ذو الفضل الشائع والادب البارع والشعر والرسائل • وحمزة وقد روى عن أخيه عبدالله المذكور •

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزر له جعفر بن محمد الاسكافي وعزله واستوزر علي بن فرخشاه وعزله واستوزر أحمد بن اسرائيل الانباري • وقضاته ابن أبى الشوارب وأحمد بن وزير • وحجابه صالح بن وصيف وموسى بن بغا •

ذكر خلافة
المهتدي بالله

وهو أبو عبدالله محمد بن هرون الواثق ولد فى سنة ثمان عشرة ومائتين • أمه أم ولد يقال لها قرب • بويع له بالخلافة يوم خلع ابن عمه المعتز بالله • وكان أسمر رقيقا • نقش خاتمه هداني الله • وكان أحسن الخلفاء الذين قبله طريقة وأتمهم ورعا وأكثرهم عبادة وتخشنا وجد له سفط فيه جبة صوف وكساء • وكان يلبس ذلك في الليل ويصلي فيه وحرم الغناء والملاهي وحسم أطماع أصحاب السلطان عن الظلم وأمر أن يحد شارب الخمر كائنا من كان وأبغضه الجند وأهل الفساد بسبب ذلك • وله شعر فمن ذلك قوله :

أيهــا البائــع مــا يبـ قى بمــا يفني ترفــق
انمــا الدنيــا عنــاء وشــقاء تتدفــق
أنت رهــن للمعاصــي وبقيــد الذنب موثــق
فافعل الخــير فعــلك بفعــال الخــير تطــلق

وقـــوله

عــاون على الخــير تسـلم ولا تجــزه فتنــدم

وقد مدحه البحتري بقصيدة منها :

علـم الله سـيرة المهتدي بالـ له فاختــاره لمــا يختــار
لم تخالج فيه الشكوك ولا كا ن بوحش القلوب عنـه نفار
وتجــلى للناظــرين أبي فيه عن جانب القبيـح ازوار
ولديه تحت السـكينة والاخـ بات سطو على العدى واقتدار
التقى النقي والفاضــل المفـ ضل فينا والمرتضى المختــار

ذكر خلعه ووفاته

كان الاتراك قد اتفقوا على خلعه لما كان نهاهم عن جميــع المنكرات ومنعهم عن تعاطي المحرمات فحاربوه وحصل فى أيديهم فمكث بقية يومـه وليلته محبوسا وأخرج فى اليوم الثالث ميتا وذلك فى يـوم الخميس ثـاني عشر رجب سنة ست وخمسين ومائتين ودفن بدار محمد بن خاقان بسر من رأى الى جانب المعتز وكانت خلافته أحد عشر شهرا وسبعة عشر يوما وعمره سبع وثلاثون سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام ولا عقب له فى الخلافة وهــو أول خليفة تولى الخلافة بعد أبيه بأربعة خلفاء وهو الخامس لان أباه الواثـق وولي بعده جعفر المتوكل ثم ابنه المنتصر ثم ابن عمــه المستعين ثم المعتــز بالله وهو الخامس .

ذكر أولاده

وهم عبدالصمد وكان فاضلا وقد حكى أبو بكر الصولي أن المهتدي خلف سبعة عشر ولدا ذكورا وست بنات وكان أكبر أولاده عبدالله وكان الناس يركنون اليه ويقصدونه لدينه وعلمه •

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزر له جعفر بن محمود الاسكافي ثم جعفر بن أحمد بن عمار ثم سليمان بن وهب وقاضيه ابن أبي الشوارب وحاجبه وصيف ثم محمد بن عتاب •

ذكر خلافة

المعتمد على الله

وهو أبو العباس أحمد بن جعفر المتوكل على الله مولده سنة تسع وعشرين ومائتين أمه أم ولد يقال لها فتيان (وقيل قينان) رومية بويع بالخلافة يوم الثلاثاء سادس شهر رجب سنة ست وخمسين ومائتين يوم خلع ابن عمه المهتدي بالله • وبين المعتمد هذا وبين أبيه أربعة خلفاء وهو الخامس وهم أخوه محمد المنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي وهو الخامس وكان أسمر رشيقا خفيف اللحية نقش خاتمه • اعتمادي على الله وهو حسبي • قدم بغداد لحرب يعقوب بن الليث الصفار فى سنة اثنتين وستين ومائتين والتقى الجيشان عند دير العاقول فانهزم يعقوب • وخطب المعتمد لاخيه الموفق أبي أحمد طلحة بولاية العهد بعده وأنفذه لمحاربة صاحب الزنج بالبصرة وبقي سنين على ذلك مصابرا له حتي ظفر به وقتله ولقبه أخوه المعتمد الناصر لدين الله وكان حكمه أتم من حكم أخيه ولم ينل الخلافة وكان المعتمد حليما

لطيفا من الرأفة والرحمة على غاية ومن كلامه : من عرف بالحلم كثرت الجرأة عليه • ومن قعد به نسبه نهض به حسبه • ومن شعره قوله :

شبهت حمرة وجهه في ثوبه كشقائق النعمان في النمام

وقوله

طال والله عذابي واهتمامي واكتئابي
بغزال من بني الاصفر لا يعنيه ما بي
أنا مغرى بهواه وهو مغرى باجتنابي

ذكر وفاته

توفي يوم الاثنين خامس عشر رجب سنة تسع وسبعين ومائتين فجأة ببغداد وحمل الى سامرا ودفن بها ومدة خلافته ثلاث وعشرون سنة وستة أيام وعمره خمسون سنة •

ذكر أولاده

وهم جعفر وكان أبوه عقد له بولاية العهد بعده وسماه المفوض الى الله فخلع ثم قتله المعتضد وأبو أحمد وكان ولي عهد أبيه أيضا بعد أخيه جعفر ومات فى حياة أبيه وأبو عبدالله محمد وقد روى الحديث وكان فاضلا عاقلا • واسحق ومات فى خلافة المعتمد أبيه أيضا وعبدالعزيز وكان مترشحا للخلافة •

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزر له عبدالله بن يحيى بن خاقان وتوفي فوزر له محمد بن الجراح وعزل فوزر له سليمان بن وهب وعزل فوزر له الحسن بن مخلد وعزل فوزر له اسماعيل بن خليل ثم أحمد بن صالح شيرزاد ثم صاعد بن مخلد وكان نصرانيا فأسلم ثم عزله فوزر له أبو اسحق ابراهيم بن المدبر وكان

كثير العزل والتولية في الوزراء خاصة ولم يعزل أحدا من القضاة • وحجابه يوسف بن بغا ثم ابن بكتمر •

ذكـــر خلافـــة

المعتضـــد بالله

هو أبـــو العباس أحمد ابن الامير أبي أحمد طلحـــة الموفق بن جعفـر المتوكل ولد بسر من رأى في ذى القعدة سنة اثنتين وأربعين ومائتين أمـــه أم ولد اسمها خفير (وقيل ضرار) لم تدرك خلافته بويع بالخلافة يوم الاثنـــين ثانى عشر رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وكان أسمر نحيف الجسم وخطـه الشيب في مقدم لحيته وفي مقدم رأسه شامة بيضاء أقني الانف تعلوه هيبة • نقش خاتمه • أحمد يؤمن بالله الواحد • كان ذا رأي وحزم وشجاعة وعدل في الرعية حتى أنه تقدم الى كافة أصحابه وخواصه أن يلزموا الطريقة المثلى وأمرهم بأخذ أصحابهم بمثل ذلك وقرر أنه من تعدي الواجب منهم وأفسد وتناول أحدا من الرعية بأذى كان هو المؤآخذ بذلك المقابل عليه دون الجاني وشاع ذلك في الاجناد وانكفوا وسلكوا أحسن مسلك وحج وغزا وفضائله كثـيرة وآثاره عظيمة وهو أول من سكن دار الخلافة ببغداد وانتقل من سامراء ونزل قصر الحسن بن سهل الذي انتقل الى ابنته بوران زوجـــة المأمون فاستنزلها المعتضد عنه فرممته وفرشته بأجل الفرش وملأت خزائنه بما يخدم به الخلفاء ورتبت فيه الجواري والخدم وما تدعو الحاجة اليه ثم انتقلت عنـــه وراسلته بالانتقال فوجد فيه ما استحسنه واستكثره ثم انه أضاف الى القصر ما جاوره ليوسع الدار بذلك وعمل عليه سورا وكان المعتضد يسمي السفاح الثاني لانه جدد ملك بني العباس وقد ذكر ذلك ابن الرومي في قصيدة يمدحه بها يقول:

بياض فى النسخة

(تعليق من مصحح الكتاب) فى سنة تسع وسبعين ومائتين مات أبـــو

عيسى بن سورة الترمذي السلمي وكان اماما حافظا له تصانيف منها الجامع الكبير في الحديث وكان ضريرا وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين مات البحتري أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي شاعر وقته وله بضع وسبعون سنة وكان مولده سنة ست ومائتين .

وفي سنة ست وثمانين كان ظهور القرامطة بالبحرين وكان ابتداء ظهورهم فى خلافة المعتمد على الله .

وجرى للمعتضد حروب وخطوب مع خمارويه بن أحمد بن طولون صاحب مصر الى أن كانت سنة اثنتين وثمانين ومائتين فيها اصطلح المعتضد وخمارويه فتزوج المعتضد بابنته قطر الندى على صداق أربعين ألف دينار فبعثها أبوها وجهزها بألف ألف دينار ففي ذلك يقول علي بن العباس الرومي :

يا سيد العرب الذي زفت له	باليمن والبركات سيدة العجم
اسعد بها كسعودها بك انها	ظفرت بما فوق المطالب والهمم
ظفرت بملئي ناظريها بهجة	وضميرها نبلا وكفيها كرم
شمس الضحى زفت الى بدر الدجى	فتكشفت بهما عن الدنيا الظلم

ذكر وفاته

توفي ليلة الاثنين لثمان بقين من ربيع الاخر سنة تسع وثمانين ومائتين في قصره المعروف بالحسني بمدينة السلام ودفن ليلا في دار محمد بن طاهر الدار المعروفة بدار الرخام في الجانب الغربي ولما حضرته الوفاة أنشد :

تمتع من الدنيا فانك لا تبقى	وخذ صفوها ما انصفت ودع الرنقا
ولا تأمنن الدهر اني أمنته	فلم يبق لي حالا ولم يرع لي حقا
قتلت صناديد الرجال ولم أدع	عدوا ولم أمهل على طغيه خلقا
وأخليت دار الملك من كل نازع	فشردتهم غربا ومزقتهم شرقا

فلما بلغت النجـــم عزا ورفعـــة وصارت رقاب الخلق أجمع لي رقا
رماني الردى سهما فأخمد جمرتي فها أنا ذا في حفرتي عاجلا ألقى
ولم يغن عني ما جمعت ولم أجـد لـذي ملل منها ولا راغب رفقـــا
فيا ليت شـعري بعد موتي ما ألقى الى نعـم الرحمن أم ناره ألقى

ومدة خلافته تسع سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما .

ذكر أولاده

وهم علي وهو المكتفي وجعفر وهو المقتدر وهارون ومن البنات احدى عشرة وقيل سبع عشرة .

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزر له عبيدالله بن سليمان ولما مات استوزر ابنه القاسم وأحمـــــد بن محمد بن الفرات وعلي بن عيسى بن داود بن الجراح ومحمد بن داود بن الجراح واسمعيل بن اسحق وقضاته : محمد بن أبي الشوارب ، وأبو حازم عبدالحميد بن عبدالعزيز وحجبه بدر مولاه .

ذكـــر خلافـــة
المكتفـــي بالله

هو أبو محمد علي بن المعتضد ولد في سنة أربع وستين ومائتين أمه أم ولد تركية اسمها جيجك بويع بالخلافة بعد موت أبيه المعتضد في ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وأخذ له أبوه البيعة فى مرض موته وكان معتدل القامة جميل الصورة رقيق البشرة أسود الشعر حسن اللحية وكان بالرقة يوم وفاة أبيه فكتب اليه الوزير القاسم بن عبيدالله يخبره فسار الى بغـــداد ودخلها لثمان خلون من جمادى الاولى منهذه السنة فلما صار في منزله أمر بهدم المطامير التي كان المعتضد اتخذها لاهل الجرائم .

(عود الى الاصل)

وفى أيامه ظهرت القرامطة ومنعوا الحاج وقلعوا الحجر الاسود من الكعبة فبذل الاموال العظيمة فى محاربتهم حتى أبادهم وفتح أنطاكية وكان الروم قد استولوا عليها وقتل منهم ألفا واستاسر ألفا واستنقذ من المسلمين أربعة آلاف أسير وأصاب كل واحد ممن اشترك في الحرب ثلاثة آلاف دينار وظفر بستين مركبا كان الروم اتخذوها للغزو • وكان يقول أرى الدنيا لا تفي بهمتي ولا أموالها بقدر ما أوثر من الانعام على أهلها وكان يضرب به المثل فى الجمال وتطنب فيه الاشعار ومما قيل فيه :

قايست بين جمالها وفعالها … فاذا الملاحة بالخيانة لا تفي

والله لا كلمتها ولو أنها … كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفي

وسمع له شعر فمن ذلك قوله فى الغزل :

من لي بأن يعرف ما ألقى … فيعرف الصبوة والعشقا

ما زال لي عبدا وحبي له … صيرني عبدا له رقا

يعتق من رقي ولكنني … من حبه لا أملك العتقا

ومن آثاره الحسنة التاج المشرف على دجلة بدار الخلافة وما وراءه من القباب والمجلس •

ذكر وفاته

توفي عشية السبت ثالث عشر ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين ودفن بدار محمد بن طاهر بالحريم بالقرب من قبة (بياض) ومدة خلافته ست سنين وستة أشهر وعشرين يوما •

ذكر أولاده

وهم أبو الفضل وكان عالما عارفا فاضلا (بياض) القاضى التنوخي في

نشوار المحاضرة وعبدالصمد وقتل في أيام الراضي وعبـــد الصمد أيضـــا والعباس والفضل وعيسى وظهر بأرمينية وتلقب بالمستنجد بالله وانضم اليـــه جماعة من الديلم وتغلب على بلاد من أذربيجان وقبض عليه وقتل • وموسى وهرون وأبو أحمد قتل في أيام ابن أخيه القاهر ومحمد وكان عاقلا أحضر بعد قتل المقتدر الى دار الخلافة فامتنع وقال عمي أحق بذلك فبويع عمـــه القاهر بالله • وحسن وأسماء وأم الواحد ومحمد وأم العباس وأم ســـلمة وسارة وام الفضل وام الفتح ومريم وعبدالعزيز •

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزر له أبو الحسين القاسم بن عبيدالله الى أن توفي فوزر له العباس بن الحسن الى أخـــر أيامـــه • وقاضيه يوسف بن يعقـــوب وحاجبـــه خفيف السمرقندي •

ذكـــر خلافـــة
المقتـــدر بالله

وهو أبو الفضل جعفر بن أحمد المعتضد بالله مولده في شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين ومائتين أمه أم ولد يقال لها شغب أدركت خـلافته بويـع بالخلافة يوم مات أخوه المكتفي وهو ابن ثلاث عشرة سنة ولم يل الخلافـة من قبله أصغر سنا منه • وعمل الصولي كتابا فى جواز ولايته واستدل بأن الله تعالى بعث يحي بن زكريا (عم) ولم يكن بالغا وذكر من استعمله رسول الله صلعم ولم يكن بالغا • وخلع مرتين وأعيد وفى احدى المرتين بويـــع عبدالله بن المعتز ثم بطل ذلك وفى المرة الثانية اجتمع القواد والجند والاكابر والاعيان والاصاغر مع يونس ونازوك وتشاوروا على خلع المقتدر فألزموه بأن كتب رقعة بخطه بخلع نفسه ففعل وأشهد عليه بذلك ومضى ابن حمدان

الى دار ابن طاهر فأحضر أخاه محمد بن المعتضد ولقب بالقاهر بالله بعد أن بايعوه وذلك في منتصف المحرم من سنة تسع عشرة وثلثمائة . ثم بعد يومين تغير الجند واختلفوا وقتلوا نازوك وأقاموا القاهر من مجلس الخلافة وأعيد المقتدر وجددت له البيعةوذلك بعد يومين وكان حسن الوجه بعيد ما بين المنكبين جعد الشعر نقش خاتمه : العظمة لله . نقل عنه في التجمل والمساكن والآلات والمنازل والسلاح والرباط للخيل واتخاذ الزينة فى سائر أحواله ومواخذة أتباعه وعبيده وخواصه وأجناده باثار نعمه عليهم مالا حد له ولا غاية .

ذكر قتله

قتل يوم الاربعاء سابع عشر شوال سنة عشرين وثلثمائة بالشماسية وقد خرج لقتال مؤنس وهو على فرسه ودفن هناك وأخفي قبره وكانت خلافته منذ بويع الى أن قتل أربعا وعشرين سنة وخمسة عشر يوما وكان عمره ثمانيا وثلاثين سنة .

ذكر أولاده

وهم محمد الراضي بالله وابراهيم المتقي بالله والفضل المطيع لله والعباس وأبو الحسن علي وولاه والده قزوين وزنجان واسهر وموسى وأبو عبدالله هرون وولاه والده فارس وكان كاملا فى عقله وأدبه وأبو على عبدالواحد وأبو موسى وأبو أحمد العباس وأبو محمد اسحق واسمعيل وأبو اسمعيل وأبو عيسى .

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

لم يستوزر أحد قبله مثله فأول من وزر له العباس بن الحسن وزير

---

(١) فى الجمهرة لابن حزم : أن أبناء المقتدر هم : محمد الراضى ، ابراهيم المتقى ، الفضل المطيع، العباس ، هارون ، عبدالواحد ، على ، اسماعيل ، اسحق موسى ، عيسى ، القاسم .

أخيه المكتفي وقتل فوزر له علي بن محمد بن الفرات وعزله واستوزر علي ابن محمد بن خاقان ثم علي بن عيسى بن داود بن الجـــراح وعزله وأعاد ابن الفرات ثم عزله واستوزر عبدالله بن محمد بن عبدالله الخاقاني وعــزله واستوزر أحمد بن عبدالله بن الخصيب واستوزر الفضل بن جعفر بن الفرات وعزله وأعاد علي بن عيسى واستوزر عبدالله بن محمد الكلواذاني واستعفى فأعفاه واستوزر أبا علي بن مقلة وعزله واسـتوزر سليمان بن الحسن فكان على وزارته الى أن قتل المقتدر • وقضـــاته يوسف بن يعقــوب بن درهــم البصري المالكي وابنه أبو عمرو محمد • وحجابه سوسن ثم نصر القشوري ثم ياقوت ثم محمد بن رائق ثم ابراهيم بن رائق •

ذكـــر خلافـــة

القاهـــر بالله

هو أبو منصور محمد بن المعتضد مولـــده في خامس جمادى الاولى من سنة سبع وثمانين ومائتين أمه أم ولد اسمها قبول بويع بالخلافة يوم قتل أخوه المقتدر باللهوكان ربعة من الرجال أسمر معتدل الخلق أصهب الشـعر طويل الانف في مقدم لحيته طول نقش خاتمـه : القاهــــر بالله • وكان ذا سطوة وبأس ولما زادت سطوته وقتل أولياء الدولة خاف منه وزيره أبو علي ابن مقلة ودبر على خلعه وكان قد حل ما قد وقفته السيدة شغب أم المقتدر على الحرمين والثغور وكان سفاكا للدماء واجتمع أرباب الدولة والقواد على خلعه فخلع وسملت عيناه وذلك في يوم السبت سادس جمادى الاولى مـن سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وارتكب أمـــرا عظيما لـــم يسمع بمثله في الاسلام • وكانت خلافته سنة وستة أشهر وسبعة أيام •

ذكر وفاته

لم يزل بعد خلعه في حال نقص الى أن توفي ليلة الجمعة ثالث جمادي الاولى من سنة تسع وثلاثين وثلثمائة في منزله بدار ابن طاهر بالحريـــم

ودفن الى جانب أبيه المعتضد وعمره اثنان وخمسون سنة •

ذكر أولاده

وهم عبدالصمد وأبو القاسم وكان القاهر قد رشح ولده عبدالصمد للخلافة ونقش اسمه على الدينار والدرهم • ولما ولي الراضي الخلافة قطع لسانه • فعاد ونبت وتكلم فخاف وهرب الى مصر فقبله كافور الاخشيدي وأكرمه وأقام عنده الى أن مات كافور فتوجه الى الشام وكان قد لحق به أخوه أبو الفضل محمد فلما عرف المطيع لله خبرهما كاتبهما بالعفو عنهما وأنفذ اليهما الامان فوردا بغداد وأقاما فى حال صيانة وحراسة الى أن ماتا •
وعبدالعزيز وكان خيرا عاقلا •

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

ووزر له أبو علي بن مقلة ثم الكلواذاني ثم ابن الفرات ثم محمد بن القاسم بن عبيدالله وتوفي فاستوزر أحمد بن الخصيب الى أن خلع ولم يعزل أحدا من قضاة أخيه المقتدر وحجبه علي بن بليق ثم قتله واستحجب سلامة الطولوني •

ذكر شىء من أحواله
وما جرى له فى أيام خلافته

حيث بويع بالخلافة على ما تقدم ذكره أشارمؤنس أن يستوزر علي بن عيسى ووصف له سلامته واستقامته وحسن مذهبه ودينه فقال الاحوال الحاضرة لا تقتضى وزارة علي بن عيسى والوقتيحتاج الى أسمح منه وأوسع أخلاقا وأشد جرءاة واقداما وأشار بأبي علي ابن مقلة وكان يومئذ بفارس فأمضى مؤنس ذلك وقلده اياها واستخلف له أبا القاسم الكلواذاني وكتب الى ابن مقلة يأمره بسرعة الوصول وانحدر القاهر بالله الى دار الخلافة وانحدر الجماعة ومؤنس الى منازلهم وقدم علي بن عيسى فلقي القاهر بالله ومؤنس

والجماعة وعاد الى بيته • وشرع القاهر في مخاطبة والدة المقتدر بالله وطلب الاموال منها وكانت مريضة فلما سمعت بحديث ولدها امتنعت من المأكول والمشروب فرفق بها النساء حتى تناولت اليسير من الزاد ثم دعاها القاهر بالله الى بين يديه وجعل يخاطبها مرة بالرفق ومرة بالتهديد ومرة بالعذاب فحلفت له أنه لم يبق لها مال ولا جمال بل لها صناديق فيها ثياب وفرش وطيب فى دار الخلافة ووقفته على ذلك وقالت لو كان عندي مال لما سلمت ولدي الى القتل فأخذ تلك الصناديق ثم ضربها بيده وعلقها بفرد رجلها وتارة بفرد يدها • ولم يرع لها حرمة أبيه ولا حرمة احسانها اليه في أيام اعتقاله وما كانت تحمله اليه من المأكول والمشروب والكسوة والطيب والجواري فلما بالغ فى مكروهها ولم يخل لها ما أظهرته له أولا أمسك عنها • فلما كان مستهل ذي القعدة حضر الكلواذاني والحاجب وابنه وطالبوا القاهر بالله بمال البيعة ليفرق على الاجناد فقال لهم لست من أرباب الاموال ولم يصلني ارتفاع ولا درهم واحد وأم المقتدر بين أيديكم خذوها ثم أدخلهم الدار التى فيها الصناديق ففتحوها فاذا فيها ثياب وشي وديباج ومصاغ من الفضة كثير ونوافج مسك وتماثيل عنبر وكافور مرصعة وعود هندي وصندل وفرش ملكي وأبو قلمون وستور ديباج وخز مرقوم بذهب فقوموا الثياب وغيرها فكان قيمة ذلك ثمانين ألف دينار وكانت قيمة الطيب وما يجرى مجراه ثلثمائة ألف درهم فحمل الاكثر الى مؤنس ليبيعه ويصرفه الى الجند وتركوا البعض يستعمله القاهر بالله وصودر جميع حاشية المقتدر وأصحابه • ثم أحضر والدة المقتدر بالله لتشهد عليها أنها قد حلت وقوفها ووكلت فى بيعها فامتنعت وقالت وقفتها على أبواب البر والتقرب الى الله تعالى بمكة والمدينة ولتعود على الضعفاء والمساكين فلا استحل حلها ولا بيعها وأما أملاكي فقد وكلت على ابن العباس النوبختي في بيعها كما قد رسم فغضب القاهر وقال من هي وأي أمر لها حتى توقف وأشهدهم على نفسه أنه قد حل وقفها جميعه ووكل

في بيع ذلك علي بن العباس النوبختي وفي بيع ما سوى ذلك من الضياع الخاصة والعباسية المستحدثة والمرتجعة وما يجري مجري ذلك ثم وكل فى بيع المسقف والمستغلات ثم قدم أبو علي بن مقلة من شيراز يوم عيد النحر وقبل وصوله كتب فسأل القاهر بالله أن يجلس له ليلا لان الطالع كان الجدي وفيه أحد السعدين والاخر فى وسط السماء فالتقاه ليلا فأكرمه وخرج من عنده مسرورا وقد أعد له دار هرون بن المقتدر بالله وقد فرشت بأحسن الفرش فدخلها ووقع ساعة دخوله فى باب البر بألف دينار وقيل بل كانت هذه عادتهم من قبل وصار اليه علي بن عيسى فلم يقم له حين دخل ولا حين خرج فاستقبح الناس له ذلك ثم صار اليه ابن قرابة وصار يجري على عادته فى الفساد والتخليط .

وفي هذه السنة استوحش أبو علي بن مقلة ومؤنس والحجاب من القاهر وتظافروا عليه . وسبب ذلك ان محمد بن ياقوت اختص بالقاهر بالله فغلظ على الجماعة . وفي هذه السنة احتال الوزير ابن مقلة ومؤنس وبليق وولده على هلاك القاهر بالله فانعكست الحال عليهم وهلكوا سوى ابن مقلة الوزير واذا أردنا الاستقصاء فيما جرى من الاحوال كلها نقضا وابراما طال هذا المختصر في الخطاب واتسع حجم الكتاب فاقتصرنا على اليسير مع تحري الصواب .

ذكر مختصر ما كان من خلع القاهر بالله

قد ذكرنا ما كان من حال ابن مقلة وتطلب القاهر له وكان ابن مقلة في استتاره يراسل الحجرية والساجية ويغريهم بالقاهر بالله ويظهر لهم ليلا بزي النساك تارة وبغير ذلك حتي جال كلامه في قلوبهم وجعله أبغض الناس اليهم وجمع نياتهم على الفتك به وعرفهم أنه قد حفر المطامير وأنه من ظفر به منهم ألقاه في مطمورة مثلما فعل باسمعيل وأبي السرايا وكان سيما رئيس الساجية سؤة على القاهر فانقلبوا عليه فانهزم منهم فضربوا

خادما صغيرا فدلهم عليه وهو في سطح حمام فتحيلوا عـلى نزوله وأجلسوا الراضي وسلموا عليه بالخلافة وأجلسوه على سرير القاهر وأخرجوا القاهر فخلع نفسه وسلم عليه بالخلافة •

ذكر لمـــع من أخبار بني بويه

من أول مبدئهم وما آل اليه أمرهم مختصرا صـــحيحا ان شـــاء الله تعالى نذكر الاتفاقات التي اتفقت لعماد الدولة حتي لقب بهذا اللقب •

اختلف الناس فى هذا الرجل فقال بعضهم ان والده كان يزعم انـه ولد يزدجرد بن شهريار وكان يسمي أبا شـــجاع بويه وماتت زوجتـــه وخلفت له ثلاثة بنين أبا الحسن عليـا وأبا علي الحسن وأبا الحسن أحمـــد فلازمه الحزن عليها فلامه شهريار بن رستم وسلاه وأخرجه الى صيد السمك فى بحيرة الديلم فاصطاد وأوقر بهيمين سمكا وأخـذه شـــهريار الى بيته وأولاده معه وتشاغل النساء باصلاح السمك • فاجتاز رجـل عـــلى الباب يذكر أنه منجم معزم يفسر المنامات ويكتب الرقاع والطلسمات فقال أبـــو شجاع بويه لشهريار استدعه فانني قد رأيت مناما ليفسره فاستدعاه فدخـل فاذا هو رجل كهل عاقل وعليه الوقار فقال له أبو شجاع بويه اعلم اننـي رأيت في المنام كأنني أبول فخـرج من ذكـري نار عظيمة واستطالت حتى كادت تبلغ السماء ثم انفجرت فصارت ثلاث شعب وتولد من تلك الثـــلاث عدة شعب فأضاءت الدنيا بتلك النيران • فقال له المنجم هذا منام عظيم لا أفسره الا بخلعة وفرس ومركب فقال له أبو شجاع والله ما أملك من الثياب الا هذه التى على جسدي وليست برفيعة كما تطلب وان أعطيتك اياها بقيت عريانا وما أملك فرسا فقال له المفسر فعشرة دنانير فقـــال أبو شـــجاع والله ما أملك دينارين • فقال شهريار للمنجم ما يملك هذا الرجل شيئا سوى هذا السمك فان أردت أن تأخذ منه سمكتين وتفسر هذا المنام فخذ والا فاخرج عنـا ولا تصدعنا فقام المنجم فاختار سمكتين ووضعهما الى جانبه ثـم قال لابي شـــجاع

بويه اعلم أنه يكون لك ثلاثة أولاد يملكون الأرض ومن عليها ويعلو ذكرهم في الآفاق كما رأيت من رؤيا تلك النار ويولد للثلاثة أولاد جماعة من الملوك ويملكون الارض كما رأيت من الشعب للنيران فقال ويحك أما تستحي أخذت سمكنا وتسخر بنا أنا رجل فقير مسكين وأولادي هؤلاء الذين تراهم فقراء مساكين كيف يصيرون ملوكا فقال أخبرني بوقت ميلادهم فأخبره فجعل يحسب ويرفع الاصطرلاب وينظر ثم قبض على يد أبي الحسن علي بن أبي شجاع بويه فقبلها ثم قال هذا والله الذي يملك البلاد ثم هذا من بعده وقبض على يد أخيه فازداد أبو شجاع منه غيظا وقال لاولاده خذوا هذا السمك فاصفعوا به قفا هذا الحكيم فجعل الصبيان يصفعونه بالسمك وهو يستغيث ويضحكون منه فقال الحكيم اذكروا هذا الذي قد جرى علي منكم اذا قصدتكم وأنتم ملوك فضحكوا منه ثم أخرج أبو شجاع عشرة دراهم فناوله اياها وقال له اغسل ثيابك بهذه الدراهم وحلف له أنه لا يملك غيرها • ثم عاد أبو شجاع الى منزله ولا يقدر على شيء في الجملة وملك مرداويج واسفار بلاد الديلم على أيام المقتدر • ثم تشاغل أصحاب المقتدر بالله بقتله وترتيب القاهر بالله ثم قتل القاهر مؤنسا وباقي القواد وخلت البلاد وتفاقم أمر الديلم • وكان أولاد أبي شجاع بويه فى جملة من خرج وكانوا من جملة قواد ماكان ابن كالي الديلمي أحد القواد الذين مع مرداويج وقد علا أمرهم وأحبهم أجناد الديلم فلما ملك مرداويج بعد قتل اسفار على أمراء الديلم قصد ماكان ناحية الجبل وملك الري وقوي بالمال والرجال ثم ملك آمل وطبرستان ونيسابور وخليت له البلاد • ولما تشاغل نصر بن أحمد صاحب خراسان بحرب اخوته الخارجين عليه راسل ماكان واستماله • فلما استصلح أخويه وعاد الى خراسان كان بينه وبين ماكان مودة ومراسلة أن يخلى بينه وبين نيسابور وتلطف له فانفصل عنها واستبقى الحال بينهما على السلامة • ثم تحاسد مرداويج وماكان فتحاربا فاستظهر عليه مرداويج وهزمه وملك

طبرستان ورتب فيها أبا القاسم بن يانجـين وكان أبو القاسـم اصفهسلاره وصاحب جيشه ومدبره وكان رجلا جيد الرأي • ثم مضى مرداويج الى جرجان فطرد من كان بها وملكها ثم عاد الى اصفهان مظفرا وقصـد ماكان الديلمي أبا الفضل الثائر صاحب بلاد الديلم مستنجدا به فأكرمه وسار معه بنفسه الى طبرستان فخرج اليهم أبو القاسم فهزمهم وانفصل الثائر صاحب الديلـم وماكان على وجوههما فاستنجد ماكان بعد ذلك أبا علي أحمد بن محمـد صاحب خراسان ودخل في الطاعة وسار اليه أبو علي بن محتاج وواقعـوا أبا القاسم فظهر عليهم • وقصد ماكان الديلمي أبا الفضل الثائر صاحب بلاد الديلم وقد تقدم ذكر ذلك وكان أبو علي الحسن وأبو الحسن علي عند ماكان بمنزلة عظيمة فلما رأيا ما تم عليه قالا له نحن قد صرنا ثقـلا عليـك وأنت مضيق فنحن نفارقك لنخفف عنك مؤنتنا واذا انصلح أمرك فاكتب الينـا لنعود اليك الى الخدمة فأذن لهما فانحازا الى مرداويج ووافقهما جماعة مـن قواد ماكان فقبلهما مرداويج أحسن قبول وخلع على ابني بويه وقلد كـل واحد من القواد ناحية جليلة وقلد علي ابن بويه الكرج • وأما الليث بـن مهدي فقلده نهاوند • وأما سليمان بن سركلة فقلده همذان وكذلك سـائر القواد الذين جاؤا من عسكر ماكان • وكان علي بن بويه أوسع القـواد صدرا وأكثرهم تجاوزا عن زلـة وكان فيه من الشجاعة التامة ما ليس فـي غيره واتفق له عدة اتفاقات محمودة ومولده سعيد • فلما قلد الكرج سـار فلما وصل الري وجد بها وشمكير أخا مرداويج ومعـه الحسين بن محمـد الملقب بالعميد والد أبي الفضل بن العميد الذي وزر لركن الدولة بن بويه وكان مع علي بن بويه بغلة شهباء فى غايـة الحسن والهملجة فأخرجهـا لبيعها فأنفذ له العميـد ثلثمائة درهـم بموجب ما دفع فيها غيره فأخذ علي ابن بويه من ثمنها عشرة دنانير وأعاد الباقي عليه ومعه الطاف من الهـدايا والتحف وغمـره بالاحسان والبر • ثم وردت في الحـال كتب مرداويـج

وقد ندم على اخراج البلاد على قواده يقول لاخيه وشمكير لا تخرج عـن الري وغيرها من البلاد ولا تسلمها الى القواد وان كنت فعلت فرد رسلك من الطريق • فلما وقف العميد على ذلك وكان علي بن بويه قد بدأه بالاحسان أنفذ اليه باطنا وقال له تسير فى الحال وتطوي المنازل الى أن تصل الى عملك فسار من ساعته ثم عرضت الكتب على وشمكير بعد يوم آخر فمنع سـائر القواد من اقطاعاتهم وفاز علي بن بويه بالاقطاع وحصل فيه فأراد وشمكير انفاذ من يسترد توقيعات علي بن بويه فقال العميـد ما هذا صواب وربمـا صارت فتنة وخرج على ملكنا وكانت تلك الولاية سبب ملكه • ثم ان علي بن بويه بدأ بالاحسان الى الناس وملاطفة عامل البلد فكتب العامل الى مرداويج يشكره ويصف ضبطه البلد وسياسته وافتتح قلاعا كانت فى أيدي الخرمية وظفر فيها بذخائر جليلة فاستمال بها قلوب الرجال ووصلهم فشاع له اسم عظيم وقصده الناس وانعطفت عليه القلوب ثم وقع على الكرج بعده باطلاقات لجماعة من القواد فلما وصلوا أحسن اليهم وأعطاهم وأفضل عليهم حتـى أوجبت الجماعة على أنفسهم طاعته فلما عرف مرداويج بذلك استوحش منه فكتب يستدعيه مـع جماعة من النواب فدافعه علي بن بويه وتشاغل بأخـذ العهود على القواد وخوفهم سطوته وغدره وتكبره فخرج بهم علي بن بويه من الكرج فاستأمن اليه جماعة من الديلم والرجالة الشـجعان المعروفون بالشجاعة والنجدة ثم سار الى اصفهان وبها أبو الفتح المظفر بن ياقـوت في عشرة آلاف فارس فكتب علي بن بويه اليه والى عامله كتبا جميلة يسأله والعامل أن يفتحا له ليدخل فى طـاعة سلطانها ويستأذن له الخليفة ليمضي بأصحابه الى الحضرة فدافعاه عن ذلك فأقام مقابل البلد •

فاتفق فى ذلك اليوم موت عامل الخراج وهو أبو علي بن رستم • فبرز علي بن بويه من اصفهان على ثلاثة فراسخ وكان من جملة عسكر ياقـوت ستمائة رجل من الديلم وقد سمعوا بسماح علي بن بويه فعـادوا وانضموا

الى ابن بويه فضعف قلب ابن ياقوت بذلك فواقعه علي بن بويه فانهـــــزم محمد بن ياقوت ومضى نحو فارس وملك علي بن بويه اصفهان وقوى شأنه وكبر في أعين الناس لانه هـزم بثلثمائة من أصـحابه عشرة آلاف رجـــل وبلغ خبره القاهر بالله فاستعظمه ، فقلق مرداويج وخافه على ما فى يـــده فاحتال مرداويج على علي بن بـــويه ليحصله فراسله وعاتبه ورفق بـــه واستدعى مودته وضمن له أنه لا يكلفه سوى الدخول تحت طاعته وأنـــه يقوي يده بالعساكر ويمده بالاموال ليفتح البلاد وكل بلد يفتحه تكـــون الخطبة فيه لمرداويج والارتفاع لعلي بن بويه وأنفذ فى أثر هذه الرســالة أخاه وشـمكير في جيش كثيف للقبض على علي بن بويه فخـــرج عـــن أصفهان وتوجه الى ارجان وبها أبو بكر بن ياقوت فانهزم أبو بكر بين يديه من غير حرب وملك علي بن بويه ارجان فاستخرج منها أموالا فقوي بهـا ووردت عليه كتب أبي طالب زيد بن علي النوبندجاني يشير عليه بالمسير الى شيراز ويهون عليه أمر ياقوت وأصحابه ويصف له تهور ياقوت وتشـاغله بجباية الاموال وباختلاف حال القاهر بالله ونفور قـواده منه وأهـل شـيراز أكبر الاعوان على ياقوت فامتنع من ذلك فعاد أبو طالب فكاتبه وشجعه وعرفه أن مرداويج قد كاتب ياقوتا فى الصلح وأنه ان تم صلحهما خاف عليـــه منهما وأطمعه وكرر الرسالة اليه الى أن سار علي بن بويه حتى وصـــل النوبندجان وقـد سبقته اليها مقدمـة ياقوت فى ألفي فارس وفيهم وجـــوه أصحابه فبأول وهلة انهزمت مقدمة ياقوت وملّك أهـل البلد عليهم علي بن بويه هذا وأبو طالب يكاتب علي بن بويه ويشير عليه بالاقدام وأقام أبـــو طالب أصحابه ليقوموا بكل ما يحتاج اليه علي بن بويه وأصحابه فبقي علي ابن بويه وعسكره في ضيافة أبي طالب أربعين يوما ثم مد علي بن بويه يده في أعمال الاهواز واستخرج مال كازرون وأخذ منها ذخائر كثيرة • ثم خاف علي بن بويه من مواطأة ياقوت ومرداويج عليه فسار يطلب البيضاء وياقوت

يقفو أثره فانتهى المسير بعلي بن بويه الى قنطرة قد سبق اليها ياقوت فاضطر الى حربه وكانت أول سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وفيها انتشبت الحرب بين علي بن بويه وياقوت • هذا والسعادة تخدم علي بن بويه وكل تدبير يدبره ياقوت ينعكس عليه والقاهر من بغداد يدبر على هلاك ياقوت وأولاده وهو لا يعلم • ونزل علي بن بويه مع أصحابه وعرفهم أنه يقاتل معهم راجلا ويصبر معهم ومناهم ووعدهم • واستأمن الى ياقوت رجلان من أصحاب علي بن بويه فحين وقعت عين ياقوت عليهما ضرب أعناقهما فأيقن الديلم أنه لا أمان لهم عنده • قال فقاتلوه قتال مستقتل ثم قدم ياقوت أمام عسكره الرجالة الكثيرة بالنفط والنيران والنشاب التى فى رؤوسها قوارير النفط فانقلبت الريح على عسكر ياقوت واشتدت واكب عليهم أصحاب ابن بويه وقتلوا أكثر الرجالة وخالطوا الخيالة فانهزم عسكر ياقوت وكانت الدائرة عليهم وزحف الديلم على تعبيتهم حتى وصلوا الى سواد عسكر ياقوت وخزائنه فاعتقد ياقوت انهم يشتغلون بالنهب فيعطف عليهم فصعد على نشر عال ونادى في أصحابه المنهزمين الرجعة الرجعة فرجع اليه نحو من أربعة آلاف فارس فبرز علي بن بويه أمام أصحابه وقال لهم اجتمعوا واياكم ونهب هذا السواد فعدوكم على الرصد فاتبعوا المنهزمين وأفزعوهم وعودوا الى هذا السواد فهو لكم • فلما رآهم ياقوت لم يشتغلوا بالنهب ولى هاربا وتبعه أصحابه وسار علي بن بويه بأصحابه في طلبهم يقتلون ويأسرون ويغنمون الخيل حتى ملأوا أيديهم ورجعوا الى سواد ياقوت فقسموه فوجدوا لياقوت صناديق فيها قيود وأغلال وبرانس لبود قد علق عليها أذناب الثعالب فسألوا الاساري الذين كانوا معهم ما هذه فقالوا كان قد أعدها وكان في نيته أنه يشهر الاسارى ويلبسهم هذه البرانس ويسود وجوههم ويقيدهم ويطوف بهم البلاد فأشار جماعة من أصحاب علي بن بويه أن يفعل بالاسارى الذين معه كذلك فقال والله ان هذا بغي ولؤم ظفر • والله

تعالى قد لقي ياقوتا عقوبة البغي وأنا أحسن الى الاسارى وأشكر الله تعالى على هذه النعمة فبالشكر أرجو المزيد • وقد قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم • ثم جمع الاسارى بين يديه وقال من أراد المقام عندي فله الاقطاع والمعيشة فقالوا لا والله ما نريد بك بدلا ولا نفارقك أبدا فأطلقهم وخلع عليهم وأعطاهم الدواب والسلاح فتسامع أصحاب ياقوت بذلك فعادوا الى علي بن بويه ودخلوا في طاعته فأحسن اليهم ثم سار من موضع الوقعة فنزل بظاهر شيراز ثم نادى بالامان وبث العدل وأقام لهم شحنة عند بيعهم وشرائهم فأمنت البلاد والعباد ثم كثر عطاؤه وقل ماله فطالبته الاجناد بالارزاق حتى كاد ينحل أمره فدخل بيتا واستلقى على قفاه مفكرا فرأى حية كبيرة في السقف فدعا بالغلمان فصعدوا على سلم هناك وخرقوا السقف في طلبها فنفذ الخرق الى غرفة بين سقفين فأمر بفتحها فاذا فيها صناديق من المال قدرها خمسمائة ألف دينار ففرح بها وفرقها على العسكر ثم ابتاع ثيابا وأتي بالخياط ليفصلها وكان الخياط أطرش فقال له علي بن بويه فصل هذه الثياب فقال الخياط ما عندي أكثر من اثني عشر صندوقا وكان هذا المال وديعة لياقوت عند هذا الخياط فأمره باحضار الصناديق فأحضرها وفيها مال كثير فاتسع به وقوي أمره بذلك وصار على مثل هذه الاتفاقات الصالحة كلما قصد عدوا كسره وكلما قل عليه الرزق فتح الله له بابا منه يجيئه بلا تعب فحينئذ كتب الى القاهر بالله والتمس الدخول تحت طاعته وبذل مالا كثيرا فنفذ اليه القاهر لواء وخلعا وشرط أن لا تسلم اليه الا بعد استيفاء المال الذي بذل فلما صارت اليه أخذها قهرا ولبسها ودخل عليه الناس للهناء • هذا كله والقاهر مشغول بنفسه ومصادرة أصحابه والحيلة على قتلهم وهم يحتالون على قتله • فوردت مكاتيب فى هذه السنة تتضمن أن القرامطة جاؤا في المراكب الى بعض بلاد الخليفة فحرقوها ونهبوا ما فيها فنهض اليهم صاحب لياقوت ومعه الزراقون فأوقع بهم وأسر منهم ثمانين رجلا وحملهم الى بغداد مشهورين وعلى رأس زعيمهم ابن العمر قرون جاموس وأذناب

ثعالب • وفيها قتل القاهر اسحق بن اسمعيل وأبا السرايا نصر بن حمدان لما كان في نفسه عليهما قبل الخلافة ومنافسة كل واحد منهما اياه على جارية أراد شراءها حتى امتنع من شرائها • وذكر أصحاب السير (بياض في النسخة)

ذكـــر خلافـــة
الراضـــي بالله

هو أبو العباس أحمد بن جعفر المقتدر بالله مولده في رجب سنة سبع وتسعين ومائتين بالدار المعروفة بالبدرية أمه أم ولد رومية اسمها ظلوم أدركت خلافته • بويع بالخلافة يوم خلع عمه القاهر وعمره اذ ذاك أربع وعشرون سنة وسبعة أشهر وكان قصيرا نحيف الجسم أسمر أسود الشعر سبطه فى وجهه طول وفي مقدم لحيته ونقش خاتمه : الراضي بالله • وكان جوادا فاضلا أديبا له ديوان شعر فمن شعره :

كل صفو الى كدر — كل أمر الى حذر
ومصير الشباب للـ — موت حقا أو الكبر
دردر المشيب من — واعظ ينذر البشر
أيها الآمل الذي — تاه فى لجة الفكر
أين من كان قبلنا — درس الشخص والاثر

ذكر وفاته

توفي ليلة السبت سادس عشر ربيع الاول من سنة تسع وعشرين وثلثمائة ودفن بالرصافة فى تربة له مفردة وكانت خلافته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعمره واحد وثلثون سنة •

ذكر أولاده

وهم أبو محمد وأبو جعفر أحمد وعبدالله وقد ذكره الصولي وقال

أرادوا أن يبايعوه بالخلافة ويخلعوا عمه ابراهيم فلم يتم ذلك وأبو الفضل وعبدالله .

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

استوزر أبا علي بن مقلة وعزله واستوزر عبدالرحمن بن عيسى وعزله واستوزر ابن الفرات الى أن توفي واستوزر أحمد بن يعقوب البريدي وعزله واستوزر سليمان بن مخلد وقضاته أبو الحسين عمر بن محمد بن درهم البصري المالكي ثم ابنه يوسف وحجابه محمد بن ياقوت ثم ذكاء .

ذكر خلافة

المتقي لله

هو ابراهيم بن جعفر المقتدر مولده في شعبان سنة سبع وتسعين ومائتين ولم يل الخلافة من بني العباس من اسمه ابراهيم سواه أمه أم ولد اسمها خلوب أدركت خلافته كان أبيض مشرب حمرة قصير الانف في شعره شقرة حسن اللحية كثها أشهل العينين نقش خاتمه : ابراهيم بن المقتدر بالله يثق . بويع بالخلافة يوم توفي أخوه الراضي وكان فيه صلاح وكثرة صيام وكان كثير العدل بين الملوك وله صدقات كثيرة وكان فيه دين وعبادة وحفظ عهد ولم ينقض عهدا وغير مككترث بجمع المال ولا حفظه سهلا في أخلاقه . قيل انه لم يغدر قط ولا وقعت عينه على منكر قط ولا عرف صورته ومن وفائه وحفظ عهده أنه كانت له جارية قبل خلافته فلم يتغير عليها ولا ابتاع غيرها واجتمع في زمانه اسحاقات كثيرة . منها أن كنيته أبو اسحق ووزيره أبو اسحق القراريطي وقاضيه أبو اسحق الحزقي ومحتسبه أبو اسحق بن بطصا وصاحب شرطة أبو اسحق أحمد بن خراسان وداره القديمة دار اسحق بن ابراهيم وكان قد امتنع من قبول الخلافة الا برضا القاهر وقال له يا عم أنت تعلم أنني مجبر فان خلعت نفسك

وسلمتها جلست وكان الاسم لي فيها والمشورة اليك فسره قوله وضمه الى صدره وقال له يا ابن أخي ظلمني أخوك الراضي وقد طبت نفسا بقولك ثم خلع نفسه وأنفذ الى المتقي مائة ألف دينار من دفائن كانت عنده •

ذكر خلعه وسببه

كان لخيره ولين جانبه قد فوض أمر الجند الى بجكم التركي فلما توفى بجكم كتب المتقي يستدعي ابن رائق من دمشق فوصل الى بغداد فخلع عليه وطوقه وسوره وذلك في رابع ذي الحجة من سنة تسع وعشرين وثلاث مائة واتفق قحط وغلاء فوصل البريدي الى بغداد وملك أصحاب دا. السلطان وهرب المتقي الى الموصل فقتل ابن رائق في رجب سنة ثلاثين وثلاث مائة ثم قصد المتقي الرقة وأنفذ رسلا في أخذ المواثيق من توزون التركي وهو أمير الامراء ببغداد ثم انحدر فخرج توزون لاستقباله وترجل وقبل الارض بين يديه ثم غدر به عقيب ذلك وقبض عليه وسمله بالسندية وأحضر المستكفي وبايعه في العشرين من صفر من سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مائة • وكان فيه أدب وله شعر فمن ذلك قوله بعد سمله :

العين للمرء سراج له تؤنسه من وحشة الدنيا
فمن له عمر بلا ناظر فقد بلي من أعظم البلوى

وفى أيامه عمر جامع براثا وصليت فيه الجمعة فى جمادى الاولى من سنة تسع وعشرين وثلثمائة •

ذكر وفاته ومدفنه

توفي يوم الاثنين رابع عشر شعبان من سنة سبع وخمسين وثلاث مائة وكانت مدة خلافته ثلاث سنين وعمره ستين سنة وأياما ودفن في دار أسحق بدار بطح بالجانب الغربي •

ذكر ولده

وهو أبو منصور اسحق وقد رشحه أبوه للخلافة وتوفي يوم الاربعاء ثالث المحرم سنة أربع وستين وثلاث مائة عن احدى وخمسين سنة .

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

أقر سليمان بن الحسن بن مخلد على وزارته على ما كان في خلافة أخيه الراضي ومرض فاستوزر أحمد بن محمد بن ميمون ثم عزله واستوزر أبا عبدالله البريدي ثم محمد بن أحمد الاسكافي ثم عزله واستوزر محمد بن القاسم الكرخي وعزله وأعاد البريدي ثم عزله واستوزر أبا الحسين بن مقلة وقاضيه أبو الحسن الجرمي وحجابه سلامة الطولوني ثم بدر الخرشني ثم أحمد بن خاقان .

ذكر خلافة
المستكفي بالله

وهو أبو القاسم عبدالله بن المكتفي وبينه وبين المكتفي أربع خلفاء وهو الخامس وهم عماه . جعفر المقتدر بالله ومحمد القاهر بالله وابنا عمه محمد الراضي وابراهيم المتقي . مولده في رابع صفر سنة اثنتين وتسعين بالقصر الحسني أمه أم ولد اسمها غصن لم تدرك خلافته وكان ربعة من الرجال معتدل الجسم حسن الوجه أبيض مشرب حمرة أسود الشعر خفيف العارضين أقنى الانف نقش خاتمه : المستكفي بالله أمير المؤمنين . بويع بالخلافة يوم خلع ابن عمه المتقي وهو في صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مائة وعمره اذ ذاك أربعون سنة ولم يل الخلافة بعد المنصور الى زمانه أحسن منه وكان ذكيا لطيف الحس لين الكلام تام المروءة . ومن كلامه . من اعتنى بترفيه جسمه فقد تعرض

لخمول اسمه • وتقوى الله خير عبادة والعدل فى الرعية يعمر البلاد • وقوله من شغل نفسه بتثرية المال فقد تعجل لنفسه الوبال قبل المآل • ومن شعره قـــوله :

فكـم عثـرة لي باللســان عثرتها ففرق من بعد اجتماع بها شـملي
يصـاب الفتى من عثـرة بلسانـه وليس يصاب المرء من عثرة الرجل

ذكـر خلعه وسـببه

وذلك في يوم الخميس سادس جمادى الاخرى من سنة تسع وثلاثين ثم انه خلع وسملت عيناه وحبس وسبب ذلك أنه لما مات توزون التـركي أمير الامراء ببغداد اجتمع العسكر والجيوش على محمد بن شيرزاد واستقل بتدبير الامور الى أن ورد بنو بويه الثلاثة الاخوة أبو الحسن علي وأبو الحسين أحمد وأبو علي الحسن وكان المستكفي عند وصولهم قد لقبهم فلقب عليـا عماد الدولة والحسن ركن الدولة وأحمد معز الدولة • ثم ان قهرمانـة المستكفي صنعت دعوة ودعت اليها الديلم فاتهمها معز الـدولة أنها تريد مجاذبتهم في نقض عهدهم فدخل جماعة من الديلم على المستكفي وهو عـلى سدته فقبض عليه ثم على القهرمانة وقطع لسانها ونهبـوا المال وحمـل المستكفي الى دار معز الدولة فخلع نفسه وبايع المطيع لله ثم سمل ولم يزل محبوسا الى أن توفي يوم الخميس سادس عشر شهر ربيع الاخر من سـنة ثمان وثلاثين وثلثمائة ودفن بالرصافة وكانت مدة خلافته الى أن خلع سنة وأربعة أشهر وعمره ست وأربعون سنة وشهران •

ذكر أولاده

كان له ولدان وهما أبو الحسن محمد وقد سمع الحديث ورواه ومات بما وراء النهر وأبو الحسن علي •

أخيه المكتفي وقتل فوزر له علي بن محمد بن الفرات وعزله واستوزر علي ابن محمد بن خاقان ثم علي بن عيسى بن داود بن الجراح وعزله وأعاد ابن الفرات ثم عزله واستوزر عبدالله بن محمد بن عبدالله الخاقاني وعزله واستوزر أحمد بن عبدالله بن الخصيب واستوزر الفضل بن جعفر بن الفرات وعزله وأعاد علي بن عيسى واستوزر عبدالله بن محمد الكلواذاني واستعفى فأعفاه واستوزر أبا علي بن مقلة وعزله واستوزر سليمان بن الحسن فكان على وزارته الى أن قتل المقتدر • وقضاته يوسف بن يعقوب بن درهم البصري المالكي وابنه أبو عمرو محمد • وحجابه سوسن ثم نصر القشوري ثم ياقوت ثم محمد بن رائق ثم ابراهيم بن رائق •

ذكر خلافة
القاهر بالله

هو أبو منصور محمد بن المعتضد مولده في خامس جمادى الاولى من سنة سبع وثمانين ومائتين أمه أم ولد اسمها قبول بويع بالخلافة يوم قتل أخوه المقتدر بالله وكان ربعة من الرجال أسمر معتدل الخلق أصهب الشعر طويل الانف في مقدم لحيته طول نقش خاتمه : القاهر بالله • وكان ذا سطوة وبأس ولما زادت سطوته وقتل أولياء الدولة خاف منه وزيره أبو علي ابن مقلة ودبر على خلعه وكان قد حل ما قد وقفته السيدة شغب أم المقتدر على الحرمين والثغور وكان سفاكا للدماء واجتمع أرباب الدولة والقواد على خلعه فخلع وسملت عيناه وذلك في يوم السبت سادس جمادى الاولى من سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وارتكب أمرا عظيما لم يسمع بمثله في الاسلام • وكانت خلافته سنة وستة أشهر وسبعة أيام •

ذكر وفاته

لم يزل بعد خلعه في حال نقص الى أن توفي ليلة الجمعة ثالث جمادي الاولى من سنة تسع وثلاثين وثلثمائة في منزله بدار ابن طاهر بالحريم

ودفن الى جانب أبيه المعتضد وعمره اثنان وخمسون سنة .

ذكر أولاده

وهم عبدالصمد وأبو القاسم وكان القاهر قد رشح ولده عبدالصمد للخلافة ونقش اسمه على الدينار والدرهم . ولما ولي الراضي الخلافة قطع لسانه . فعاد ونبت وتكلم فخاف وهرب الى مصر فقبله كافور الاخشيدي وأكرمه وأقام عنده الى أن مات كافور فتوجه الى الشام وكان قد لحق به أخوه أبو الفضل محمد فلما عرف المطيع لله خبرهما كاتبهما بالعفو عنهما وأنفذ اليهما الامان فوردا بغداد وأقاما في حال صيانة وحراسة الى أن ماتا . وعبدالعزيز وكان خيرا عاقلا .

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

ووزر له أبو علي بن مقلة ثم الكلواذاني ثم ابن الفرات ثم محمد بن القاسم بن عبيدالله وتوفي فاستوزر أحمد بن الخصيب الى أن خلع ولم يعزل أحدا من قضاة أخيه المقتدر وحجبه علي بن بليق ثم قتله واستحجب سلامة الطولوني .

ذكر شيء من أحواله وما جرى له في أيام خلافته

حيث بويع بالخلافة على ما تقدم ذكره أشارمؤنس أن يستوزر علي بن عيسى ووصف له سلامته واستقامته وحسن مذهبه ودينه فقال الاحوال الحاضرة لا تقتضى وزارة علي بن عيسى والوقت يحتاج الى أسمح منه وأوسع أخلاقا وأشد جرءاة واقداما وأشار بأبي علي ابن مقلة وكان يومئذ بفارس فأمضى مؤنس ذلك وقلده اياها واستخلف له أبا القاسم الكلواذاني وكتب الى ابن مقلة يأمره بسرعة الوصول وانحدر القاهر بالله الى دار الخلافة وانحدر الجماعة ومؤنس الى منازلهم وقدم علي بن عيسى فلقي القاهر بالله ومؤنس

والجماعة وعاد الى بيتـه • وشرع القاهـر في مخاطبــة والدة المقتدر بالله وطلب الامـوال منها وكانت مريضـة فلمـا سـمعت بحـديث ولدها امتنعت من المأكول والمشروب فرفق بها النساء حتى تناولت اليسـير من الزاد ثم دعاها القاهر بالله الى بين يديه وجعل يخاطبها مرة بالرفق ومرة بالتهديد ومرة بالعذاب فحلفت له أنه لم يبق لها مال ولا جمال بل لهـا صناديق فيها ثياب وفرش وطيب فى دار الخلافة ووقفته على ذلك وقالت لو كان عندي مال لما سلمت ولدي الى القتل فأخذ تلك الصناديق ثم ضربهـا بيده وعلقها بفرد رجلها وتارة بفرد يـدها • ولم يرع لها حـرمة أبيه ولا حرمة احسانها اليه في أيـام اعتقـاله وما كانت تحمـله اليـه من المأكول والمشروب والكسوة والطيب والجواري فلما بالغ فى مكروهها ولم يخـل لها ما أظهرته له أولا أمسك عنها • فلما كان مستهل ذي القعدة حضـر الكلواذاني والحاجب وابنه وطالبوا القاهر بالله بمال البيعة ليفرق على الاجناد فقال لهم لست من أرباب الاموال ولم يصلني ارتفاع ولا درهم واحد وأم المقتدر بين أيديكم خذوها ثم أدخلهم الدار التى فيها الصناديق ففتحـوها فاذا فيها ثياب وشي وديباج ومصاغ من الفضة كثير ونوافج مسك وتماثيـل عنبر وكافور مرصعة وعـود هنـدي وصندل وفرش ملكي وأبو قلمـون وستور ديباج وخز مرقوم بذهب فقوموا الثياب وغيرها فكان قيمـة ذلك ثمانين ألف دينار وكانت قيمة الطيب وما يجرى مجراه ثلثمائة ألف درهم فحمل الاكثر الى مؤنس ليبيعه ويصرفه الى الجند وتركوا البعض يستعمله القاهر بالله وصودر جميع حاشية المقتدر وأصحابه• ثم أحضر والدة المقتدر بالله لتشهد عليها أنها قد حلت وقوفهـا ووكلت فى بيعهـا فامتنعت وقالت وقفتها على أبواب البر والتقرب الى الله تعالى بمكة والمدينة ولتعـود عـنى الضعفاء والمساكين فلا استحل حلها ولا بيعها وأما أملاكي فقد وكلت علـي ابن العباس النوبختي في بيعها كما قد رسم فغضب القاهر وقال من هي وأي أمر لها حتى توقف وأشهدهم على نفسه أنه قد حل وقفها جميعه ووكـل

في بيع ذلك علي بن العباس النوبختي وفي بيع ما سوى ذلك من الضياع الخاصة والعباسية المستحدثة والمرتجعة وما يجري مجري ذلك ثم وكل فى بيع المسقف والمستغلات ثم قدم أبو علي بن مقلة من شيراز يوم عيد النحر وقبل وصوله كتب فسأل القاهر بالله أن يجلس له ليلا لان الطالع كان الجدي وفيه أحد السعدين والاخر فى وسط السماء فالتقاه ليلا فأكرمه وخرج من عنده مسرورا وقد أعد له دار هرون بن المقتدر بالله وقد فرشت بأحسن الفرش فدخلها ووقع ساعة دخوله فى باب البر بألف دينار وقيل بل كانت هذه عادتهم من قبل وصار اليه علي بن عيسى فلم يقم له حين دخل ولا حين خرج فاستقبح الناس له ذلك ثم صار اليه ابن قرابة وصار يجري على عادته فى الفساد والتخليط .

وفي هذه السنة استوحش أبو علي بن مقلة ومؤنس والحجاب من القاهر وتظافروا عليه . وسبب ذلك ان محمد بن ياقوت اختص بالقاهر بالله فغلظ على الجماعة . وفي هذه السنة احتال الوزير ابن مقلة ومؤنس وبليق وولده على هلاك القاهر بالله فانعكست الحال عليهم وهلكوا سوى ابن مقلة الوزير واذا أردنا الاستقصاء فيما جرى من الاحوال كلها نقضا وابراما طال هذا المختصر في الخطاب واتسع حجم الكتاب فاقتصرنا على اليسير مع تحري الصواب .

ذكر مختصر ما كان من خلع القاهر بالله

قد ذكرنا ما كان من حال ابن مقلة وتطلب القاهر له وكان ابن مقلة في استتاره يراسل الحجرية والساجية ويغريهم بالقاهر بالله ويظهر لهم ليلا بزي النساك تارة وبغير ذلك حتي جال كلامه في قلوبهم وجعله أبغض الناس اليهم وجمع نياتهم على الفتك به وعرفهم أنه قد حفر المطامير وأنه من ظفر به منهم ألقاه في مطمورة مثلما فعل باسمعيل وأبي السرايا وكان سيما رئيس الساجية سؤة على القاهر فانقلبوا عليه فانهزم منهم فضربوا

خادما صغيرا فدلهم عليه وهو في سطح حمام فتحيلوا على نزوله وأجلسوا الراضي وسلموا عليه بالخلافة وأجلسوه على سرير القاهر وأخرجوا القاهر فخلع نفسه وسلم عليه بالخلافة •

ذكر لمع من أخبار بني بويه

من أول مبدئهم وما آل اليه أمرهم مختصرا صحيحا ان شاء الله تعالى نذكر الاتفاقات التي اتفقت لعماد الدولة حتى لقب بهذا اللقب •

اختلف الناس فى هذا الرجل فقال بعضهم ان والده كان يزعم انه ولد يزدجرد بن شهريار وكان يسمي أبا شجاع بويه وماتت زوجته وخلفت له ثلاثة بنين أبا الحسن عليا وأبا علي الحسن وأبا الحسن أحمد فلازمه الحزن عليها فلامه شهريار بن رستم وسلاه وأخرجه الى صيد السمك فى بحيرة الديلم فاصطاد وأوقر بهيمين سمكا وأخذه شهريار الى بيته وأولاده معه وتشاغل النساء باصلاح السمك • فاجتاز رجل على الباب يذكر أنه منجم معزم يفسر المنامات ويكتب الرقاع والطلسمات فقال أبو شجاع بويه لشهريار استدعه فانني قد رأيت مناما ليفسره فاستدعاه فدخل فاذا هو رجل كهل عاقل وعليه الوقار فقال له أبو شجاع بويه اعلم انني رأيت في المنام كأنني أبول فخرج من ذكري نار عظيمة واستطالت حتى كادت تبلغ السماء ثم انفجرت فصارت ثلاث شعب وتولد من تلك الثلاث عدة شعب فأضاءت الدنيا بتلك النيران • فقال له المنجم هذا منام عظيم لا أفسره الا بخلعة وفرس ومركب فقال له أبو شجاع والله ما أملك من الثياب الا هذه التى على جسدي وليست برفيعة كما تطلب وان أعطيتك اياها بقيت عريانا وما أملك فرسا فقال له المفسر فعشرة دنانير فقال أبو شجاع والله ما أملك دينارين • فقال شهريار للمنجم ما يملك هذا الرجل شيئا سوى هذا السمك فان أردت أن تأخذ منه سمكتين وتفسر هذا المنام فخذ والا فاخرج عنا ولا تصدعنا فقام المنجم فاختار سمكتين ووضعهما الى جانبه ثم قال لابي شجاع

بويه اعلم أنه يكون لك ثلاثة أولاد يملكون الارض ومن عليها ويعلو ذكرهم في الآفاق كما رأيت من رؤيا تلك النار ويولد للثلاثة أولاد جماعة من الملوك ويملكون الارض كما رأيت من الشعب للنيران فقال ويحك أما تستحي أخذت سمكنا وتسخر بنا أنا رجل فقير مسكين وأولادي هؤلاء الذين تراهم فقراء مساكين كيف يصيرون ملوكا فقال أخبرني بوقت ميلادهم فأخبره فجعل يحسب ويرفع الاصطرلاب وينظر ثم قبض على يد أبي الحسن علي بن أبي شجاع بويه فقبلها ثم قال هذا والله الذي يملك البلاد ثم هذا من بعده وقبض على يد أخيه فازداد أبو شجاع منه غيظا وقال لاولاده خذوا هذا السمك فاصفعوا به قفا هذا الحكيم فجعل الصبيان يصفعونه بالسمك وهو يستغيث ويضحكون منه فقال الحكيم اذكروا هذا الذى قد جرى علي منكم اذا قصدتكم وأنتم ملوك فضحكوا منه ثم أخرج أبو شجاع عشرة دراهم فناوله اياها وقال له اغسل ثيابك بهذه الدراهم وحلف له أنه لا يملك غيرها • ثم عاد أبو شجاع الى منزله ولا يقدر على شيء في الجملة وملك مرداويج واسفار بلاد الديلم على أيام المقتدر • ثم تشاغل أصحاب المقتدر بالله بقتله وترتيب القاهر بالله ثم قتل القاهر مؤنسا وباقي القواد وخلت البلاد وتفاقم أمر الديلم • وكان أولاد أبي شجاع بويه فى جملة من خرج وكانوا من جملة قواد ماكان ابن كالي الديلمي أحد القواد الذين مع مرداويج وقد علا أمرهم وأحبهم أجناد الديلم فلما ملك مرداويج بعد قتل اسفار على أمراء الديلم قصد ماكان ناحية الجبل وملك الري وقوي بالمال والرجال ثم ملك آمل وطبرستان ونيسابور وخليت له البلاد • ولما تشاغل نصر بن أحمد صاحب خراسان بحرب اخوته الخارجين عليه راسل ماكان واستماله • فلما استصلح أخويه وعاد الى خراسان كان بينه وبين ماكان مودة ومراسلة أن يخلى بينه وبين نيسابور وتلطف له فانفصل عنها واستبقى الحال بينهما على السلامة • ثم تحاسد مرداويج وماكان فتحاربا فاستظهر عليه مرداويج وهزمه وملك

طبرستان ورتب فيها أبا القاسم بن يائجين وكان أبو القاسم اصفهسلاره وصاحب جيشه ومدبره وكان رجلا جيد الرأي • ثم مضى مرداويج الى جرجان فطرد من كان بها وملكها ثم عاد الى اصفهان مظفرا وقصد ماكان الديلمي أبا الفضل الثائر صاحب بلاد الديلم مستنجدا به فأكرمه وسار معه بنفسه الى طبرستان فخرج اليهم أبو القاسم فهزمهم وانفصل الثائر صاحب الديلم وماكان على وجوههما فاستنجد ماكان بعد ذلك أبا علي أحمد بن محمد صاحب خراسان ودخل في الطاعة وسار اليه أبو علي بن محتاج وواقعوا أبا القاسم فظهر عليهم • وقصد ماكان الديلمي أبا الفضل الثائر صاحب بلاد الديلم وقد تقدم ذكر ذلك وكان أبو علي الحسن وأبو الحسن علي عند ماكان بمنزلة عظيمة فلما رأيا ما تم عليه قالا له نحن قد صرنا ثقلا عليك وأنت مضيق فنحن نفارقك لنخفف عنك مؤنتنا واذا انصلح أمرك فاكتب الينا لنعود اليك الى الخدمة فأذن لهما فانحازا الى مرداويج ووافقهما جماعة من قواد ماكان فقبلهما مرداويج أحسن قبول وخلع على ابني بويه وقلد كل واحد من القواد ناحية جليلة وقلد علي ابن بويه الكرج • وأما الليث بن مهدي فقلده نهاوند • وأما سليمان بن سركلة فقلده همذان وكذلك سائر القواد الذين جاؤا من عسكر ماكان • وكان علي بن بويه أوسع القواد صدرا وأكثرهم تجاوزا عن زلة وكان فيه من الشجاعة التامة ما ليس في غيره واتفق له عدة اتفاقات محمودة ومولده سعيد • فلما قلد الكرج سار فلما وصل الري وجد بها وشمكير أخا مرداويج ومعه الحسين بن محمد الملقب بالعميد والد أبي الفضل بن العميد الذي وزر لركن الدولة بن بويه وكان مع علي بن بويه بغلة شهباء فى غاية الحسن والهملجة فأخرجها لبيعها فأنفذ له العميد ثلثمائة درهم بموجب ما دفع فيها غيره فأخذ علي ابن بويه من ثمنها عشرة دنانير وأعاد الباقي عليه ومعه الطاف من الهدايا والتحف وغمره بالاحسان والبر • ثم وردت في الحال كتب مرداويج

وقد ندم على اخراج البلاد على قواده يقول لأخيه وشمكير لا تخرج عـــن الري وغيرها من البلاد ولا تسلمها الى القواد وان كنت فعلت فرد رسلك من الطريق • فلما وقف العميد على ذلك وكان علي بن بويه قد بدأه بالاحسان أنفذ اليه باطنا وقال له تسير فى الحال وتطوي المنازل الى أن تصل الى عملك فسار من ساعته ثم عرضت الكتب على وشمكير بعد يوم آخر فمنع ســـائر القواد من اقطاعاتهم وفاز علي بن بويه بالاقطاع وحصل فيه فأراد وشمكير انفاذ من يسترد توقيعات علي بن بويه فقال العميـــد ما هذا صواب وربمـــا صارت فتنة وخرج على ملكنا وكانت تلك الولاية سبب ملكه • ثم ان علي بن بويه بدأ بالاحسان الى الناس وملاطفة عامل البلد فكتب العامل الى مرداويج يشكره ويصف ضبطه البلد وسياسته وافتتح قلاعا كانت فى أيدي الخرمية وظفر فيها بذخائر جليلة فاستمال بها قلوب الرجال ووصلهم فشاع له اسم عظيم وقصده الناس وانعطفت عليه القلوب ثم وقع على الكرج بعده باطلاقات لجماعة من القواد فلما وصلوا أحسن اليهم وأعطاهم وأفضل عليهم حتـــى أوجبت الجماعة على أنفسهم طاعته فلما عرف مرداويج بذلك استوحش منه فكتب يستدعيه مـع جماعة من النواب فدافعه علي بن بويه وتشاغل بأخـــذ العهود على القواد وخوفهم سطوته وغدره وتكبره فخرج بهم علي بن بويه من الكرج فاستأمن اليه جماعة من الديلم والرجالة الشـــجعان المعروفون بالشجاعة والنجدة ثم سار الى اصفهان وبها أبو الفتح المظفر بن ياقـــوت في عشرة آلاف فارس فكتب علي بن بويه اليه والى عامله كتبا جميلة يسأله والعامل أن يفتحا له ليدخل فى طـاعة سلطانها ويستأذن له الخليفة ليمضي بأصحابه الى الحضرة فدافعاه عن ذلك فأقام مقابل البلد •

فاتفق فى ذلك اليوم موت عامل الخراج وهو أبو علي بن رستم • فبرز علي بن بويه من اصفهان على ثلاثة فراسخ وكان من جملة عسكر ياقـــوت ستمائة رجل من الديلم وقد سمعوا بسماح علي بن بويه فعـادوا وانضموا

الى ابن بويه فضعف قلب ابن ياقوت بذلك فواقعه علي بن بويه فانهـــزم محمد بن ياقوت ومضى نحو فارس وملك علي بن بويه اصفهان وقوى شأنه وكبر في أعين الناس لانه هـزم بثلثمائة من أصحابه عشرة آلاف رجـل وبلغ خبره القاهر بالله فاستعظمه ، فقلق مرداويج وخافه على ما فى يـده فاحتال مرداويج على علي بن بـويه ليحصله فراسله وعاتبه ورفق بـه واستدعى مودته وضمن له أنه لا يكلفه سوى الدخول تحت طاعته وأنـه يقوي يده بالعساكر ويمده بالاموال ليفتح البلاد وكل بلد يفتحه تكـون الخطبة فيه لمرداويج والارتفاع لعلي بن بويه وأنفذ فى أثر هذه الرسـالة أخاه وشمكير في جيش كثيف للقبض على علي بن بويه فخـرج عـن أصفهان وتوجه الى ارجان وبها أبو بكر بن ياقوت فانهزم أبو بكر بين يديه من غير حرب وملك علي بن بويه ارجان فاستخرج منها أموالا فقوي بهـا ووردت عليه كتب أبي طالب زيد بن علي النوبندجاني يشير عليه بالمسير الى شيراز ويهون عليه أمر ياقوت وأصحابه ويصف له تهور ياقوت وتشـاغله بجباية الاموال وباختلاف حال القاهر بالله ونفور قـواده منه وأهـل شيراز أكبر الاعوان على ياقوت فامتنع من ذلك فعاد أبو طالب فكاتبه وشجعه وعرفه أن مرداويج قد كاتب ياقوتا فى الصلح وأنه ان تم صلحهما خاف عليـه منهما وأطمعه وكرر الرسالة اليه الى أن سار علي بن بويه حتى وصـل النوبندجان وقـد سبقته اليها مقدمـة ياقوت فى ألفي فارس وفيهم وجـوه أصحابه فبأول وهلة انهزمت مقدمة ياقوت وملّك أهـل البلد عليهم علي بن بويه هذا وأبو طالب يكاتب علي بن بويه ويشير عليه بالاقدام وأقام أبـو طالب أصحابه ليقوموا بكل ما يحتاج اليه علي بن بويه وأصحابه فبقي علي ابن بويه وعسكره في ضيافة أبي طالب أربعين يوما ثم مد علي بن بويه يده في أعمال الاهواز واستخرج مال كازرون وأخذ منها ذخائر كثيرة • ثم خاف علي بن بويه من مواطأة ياقوت ومرداويج عليه فسار يطلب البيضاء وياقوت

يقفو أثره فانتهى المسير بعلي بن بويه الى قنطرة قد سبق اليها ياقوت فاضطر الى حربه وكانت أول سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وفيها انتشبت الحرب بين علي بن بويه وياقوت • هذا والسعادة تخدم علي بن بويه وكل تدبير يدبره ياقوت ينعكس عليه والقاهر من بغداد يدبر على هلاك ياقوت وأولاده وهو لا يعلم • ونزل علي بن بويه مع أصحابه وعرفهم أنه يقاتل معهم راجلا ويصبر معهم ومناهم ووعدهم • واستأمن الى ياقوت رجلان من أصحاب علي بن بويه فحين وقعت عين ياقوت عليهما ضرب أعناقهما فأيقن الديلم أنه لا أمان لهم عنده • قال فقاتلوه قتال مستقتل ثم قدم ياقوت أمام عسكره الرجالة الكثيرة بالنفط والنيران والنشاب التى فى رؤوسها قوارير النفط فانقلبت الريح على عسكر ياقوت واشتدت واكب عليهم أصحاب ابن بويه وقتلوا أكثر الرجالة وخالطوا الخيالة فانهزم عسكر ياقوت وكانت الدائرة عليهم وزحف الديلم على تعبيتهم حتى وصلوا الى سواد عسكر ياقوت وخزائنه فاعتقد ياقوت انهم يشتغلون بالنهب فيعطف عليهم فصعد على نشز عال ونادى في أصحابه المنهزمين الرجعة الرجعة فرجع اليه نحو من أربعة آلاف فارس فبرز علي بن بويه أمام أصحابه وقال لهم اجتمعوا واياكم ونهب هذا السواد فعدوكم على الرصد فاتبعوا المنهزمين وأفزعوهم وعودوا الى هذا السواد فهو لكم • فلما رآهم ياقوت لم يشتغلوا بالنهب ولى هاربا وتبعه أصحابه وسار علي بن بويه بأصحابه في طلبهم يقتلون ويأسرون ويغنمون الخيل حتى ملأوا أيديهم ورجعوا الى سواد ياقوت فقسموه فوجدوا لياقوت صناديق فيها قيود وأغلال وبرانس لبود قد علق عليها أذناب الثعالب فسألوا الاساري الذين كانوا معهم ما هذه فقالوا كان قد أعدها وكان في نيته أنه يشهر الاسارى ويلبسهم هذه البرانس ويسود وجوههم ويقيدهم ويطوف بهم البلاد فأشار جماعة من أصحاب علي بن بويه أن يفعل بالاسارى الذين معه كذلك فقال والله ان هذا بغي ولؤم ظفر • والله

تعالى قد لقي ياقوتا عقوبة البغي وأنا أحسن الى الاسارى وأشكر الله تعالى على هذه النعمة فبالشكر أرجو المزيد • وقد قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم• ثم جمع الاسارى بين يديه وقال من أراد المقام عندي فله الاقطاع والمعيشة فقالوا لا والله ما نريد بك بدلا ولا نفارقك أبدا فأطلقهم وخلع عليهم وأعطاهم الدواب والسلاح فتسامع أصحاب ياقوت بذلك فعادوا الى علي بن بويه ودخلوا في طاعته فأحسن اليهم ثم سار من موضع الوقعة فنزل بظاهر شيراز ثم نادى بالامان وبث العدل وأقام لهم شحنة عند بيعهم وشرائهم فأمنت البلاد والعباد ثم كثر عطاؤه وقل ماله فطالبته الاجناد بالارزاق حتى كاد ينحل أمره فدخل بيتا واستلقى على قفاه مفكرا فرأى حية كبيرة في السقف فدعا بالغلمان فصعدوا على سلم هناك وخرقوا السقف في طلبها فنفذ الخرق الى غرفة بين سقفين فأمر بفتحها فاذا فيها صناديق من المال قدرها خمسمائة ألف دينار ففرح بها وفرقها على العسكر ثم ابتاع ثيابا وأتي بالخياط ليفصلها وكان الخياط أطرش فقال له علي بن بويه فصل هذه الثياب فقال الخياط ما عندي أكثر من اثني عشر صندوقا وكان هذا المال وديعة لياقوت عند هذا الخياط فأمره باحضار الصناديق فأحضرها وفيها مال كثير فاتسع به وقوي أمره بذلك وصار على مثل هذه الاتفاقات الصالحة كلما قصد عدوا كسره وكلما قل عليه الرزق فتح الله له بابا منه يجيئه بلا تعب فحينئذ كتب الى القاهر بالله والتمس الدخول تحت طاعته وبذل مالا كثيرا فنفذ اليه القاهر لواء وخلعا وشرط أن لا تسلم اليه الا بعد استيفاء المال الذي بذل فلما صارت اليه أخذها قهرا ولبسها ودخل عليه الناس للهناء • هذا كله والقاهر مشغول بنفسه ومصادرة أصحابه والحيلة على قتلهم وهم يحتالون على قتله • فوردت مكاتيب فى هذه السنة تتضمن أن القرامطة جاؤا في المراكب الى بعض بلاد الخليفة فحرقوها ونهبوا ما فيها فنهض اليهم صاحب لياقوت ومعه الزراقون فأوقع بهم وأسر منهم ثمانين رجلا وحملهم الى بغداد مشهورين وعلى رأس زعيمهم ابن العمر قرون جاموس وأذناب

ثعالب • وفيها قتل القاهر اسحق بن اسمعيل وأبا السرايا نصر بن حمدان لما كان في نفسه عليهما قبل الخلافة ومنافسة كل واحد منهما اياه على جارية أراد شراءها حتى امتنع من شرائها • وذكر أصحاب السير (بياض في النسخة)

ذكر خلافة

الراضي بالله

هو أبو العباس أحمد بن جعفر المقتدر بالله مولده في رجب سنة سبع وتسعين ومائتين بالدار المعروفة بالبدرية أمه أم ولد رومية اسمها ظلوم أدركت خلافته • بويع بالخلافة يوم خلع عمه القاهر وعمره اذ ذاك أربع وعشرون سنة وسبعة أشهر وكان قصيرا نحيف الجسم أسمر أسود الشعر سبطه في وجهه طول وفي مقدم لحيته ونقش خاتمه : الراضي بالله • وكان جوادا فاضلا أديبا له ديوان شعر فمن شعره :

كل صفو الى كدر		كل أمر الى حذر
ومصير الشباب لل		موت حقا أو الكبر
درد من الشيب من		واعظ ينذر البشر
أيها الآمل الذي		تاه فى لجة الفكر
أين من كان قبلنا		درس الشخص والأثر

ذكر وفاته

توفي ليلة السبت سادس عشر ربيع الاول من سنة تسع وعشرين وثلثمائة ودفن بالرصافة فى تربة له مفردة وكانت خلافته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعمره واحد وثلثون سنة •

ذكر أولاده

وهم أبو محمد وأبو جعفر أحمد وعبدالله وقد ذكره الصولي وقال

أرادوا أن يبايعوه بالخلافة ويخلعوا عمه ابراهيم فلم يتم ذلك وأبـو الفضـل وعبدالله •

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

استوزر أبا علي بن مقلة وعزله واستوزر عبدالرحمن بن عيسى وعزله واستوزر ابن الفرات الى أن توفي واستوزر أحمد بن يعقوب البريدي وعزله واستوزر سليمان بن مخلد وقضاته أبو الحسين عمر بن محمد بن درهـم البصري المالكي ثم ابنه يوسف وحجابه محمد بن ياقوت ثم ذكاء •

ذكـــر خلافـــة

المتقـــي لله

هو ابراهيم بن جعفر المقتدر مولده في شعبان سنة سبع وتسعين ومائتين ولم يل الخلافة من بني العباس من اسـمه ابراهيم سواه أمه أم ولد اسـمها خلوب أدركت خلافته كان أبيض مشرب حمرة قصير الانف فى شـعره شقرة حسن اللحية كثها أشهل العينين نقش خاتمـه : ابراهيم بن المقتـدر بالله يثق • بويع بالخلافة يوم توفي أخوه الراضي وكان فيه صـلاح وكثـرة صيام وكان كثير العدل بين الملوك وله صدقات كثيرة وكان فيه دين وعبادة وحفظ عهد ولم ينقض عهدا وغير مككترث بجمع المال ولا حفظه سهلا في أخلاقه • قيل انه لم يغدر قط ولا وقعت عينه على منكر قط ولا عـرف صورته ومن وفائه وحفظ عهـده أنه كانت له جارية قبـل خلافتـه فلـم يتغير عليها ولا ابتاع غيرها واجتمع في زمانه اسحاقات كثيرة • منها أن كنيته أبو اسحق ووزيره أبو اسـحق القراريطي وقاضيـه أبو اسـحق الحـزقي ومحتسبه أبـو اسـحق بن بطصا وصاحب شرطة أبو اسـحق أحمـد بن خراسان وداره القديمة دار اسحق بن ابراهيم وكان قد امتنع من قبـول الخلافة الا برضا القاهر وقال له يا عم أنت تعلم أنني مجبر فان خلعت نفسك

وسلمتها جلست وكان الاسم لي فيها والمشورة اليك فسره قوله وضمه الى صدره وقال له يا ابن أخي ظلمني أخوك الراضي وقد طبت نفسا بقولك ثم خلع نفسه وأنفذ الى المتقي مائة ألف دينار من دفائن كانت عنده •

ذكر خلعه وسببه

كان لخيره ولين جانبه قد فوض أمر الجند الى بجكم التركي فلما توفي بجكم كتب المتقي يستدعي ابن رائق من دمشق فوصل الى بغداد فخلع عليه وطوقه وسوره وذلك في رابع ذي الحجة من سنة تسع وعشرين وثلاث مائة واتفق قحط وغلاء فوصل البريدي الى بغداد وملك أصحاب دار السلطان وهرب المتقي الى الموصل فقتل ابن رائق في رجب سنة ثلاثين وثلاث مائة ثم قصد المتقي الرقة وأنفذ رسلا في أخذ المواثيق من توزون التركي وهو أمير الامراء ببغداد ثم انحدر فخرج توزون لاستقباله وترجل وقبل الارض بين يديه ثم غدر به عقيب ذلك وقبض عليه وسمله بالسندية وأحضر المستكفي وبايعه في العشرين من صفر من سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مائة • وكان فيه أدب وله شعر فمن ذلك قوله بعد سمله :

العين للمرء سراج له ... تؤنسه من وحشة الدنيا
فمن له عمر بلا ناظر ... فقد بلي من أعظم البلوى

وفي أيامه عمر جامع براثا وصليت فيه الجمعة في جمادى الاولى من سنة تسع وعشرين وثلثمائة •

ذكر وفاته ومدفنه

توفي يوم الاثنين رابع عشر شعبان من سنة سبع وخمسين وثلاث مائة وكانت مدة خلافته ثلاث سنين وعمره ستين سنة وأياما ودفن في دار أسحق بدار بطح بالجانب الغربي •

ذكر ولده

وهو أبو منصور اسحق وقد رشحه أبوه للخلافة وتوفي يوم الاربعاء ثالث المحرم سنة أربع وستين وثلاث مائة عن احدى وخمسين سنة .

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

أقر سليمان بن الحسن بن مخلد على وزارته على ما كان في خلافة أخيه الراضي ومرض فاستوزر أحمد بن محمد بن ميمون ثم عزله واستوزر أبا عبدالله البريدي ثم محمد بن أحمد الاسكافي ثم عزله واستوزر محمد بن القاسم الكرخي وعزله وأعاد البريدي ثم عزله واستوزر أبا الحسين بن مقلة وقاضيه أبو الحسن الجرمي وحجابه سلامة الطولوني ثم بدر الخرشني ثم أحمد بن خاقان .

ذكر خلافة

المستكفي بالله

وهو أبو القاسم عبدالله بن المكتفي وبينه وبين المكتفي أربع خلفاء وهو الخامس وهم عماه . جعفر المقتدر بالله ومحمد القاهر بالله وابنا عمه محمد الراضي وابراهيم المتقي . مولده في رابع صفر سنة اثنتين وتسعين بالقصر الحسني أمه أم ولد اسمها غصن لم تدرك خلافته وكان ربعة من الرجال معتدل الجسم حسن الوجه أبيض مشرب حمرة أسود الشعر خفيف العارضين أقنى الانف نقش خاتمه : المستكفي بالله أمير المؤمنين . بويع بالخلافة يوم خلع ابن عمه المتقي وهو في صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مائة وعمره اذ ذاك أربعون سنة ولم يل الخلافة بعد المنصور الى زمانه أحسن منه وكان ذكيا لطيف الحس لين الكلام تام المروءة . ومن كلامه . من اعتنى بترفيه جسمه فقد تعرض

لخمول اسمه • وتقوى الله خير عبادة والعدل فى الرعية يعمر البلاد • وقوله من شغل نفسه بتثرية المال فقد تعجل لنفسه الوبال قبل المآل • ومن شعره قـــوله :

فكـم عثـــرة لي باللســان عثرتها ففرق من بعد اجتماع بها شـملي
يصـــاب الفتى من عثـرة بلسانــه وليس يصاب المرء من عثرة الرجل

ذكـر خلعه وســببه

وذلك في يوم الخميس سادس جمادى الاخرى من سنة تسع وثلاثين ثم انه خلع وسملت عيناه وحبس وسبب ذلك أنه لما مات توزون التـركي أمير الامراء ببغداد اجتمع العسكر والجيوش على محمد بن شيرزاد واستقل بتدبير الامور الى أن ورد بنو بويه الثلاثة الاخوة أبو الحسن علي وأبو الحسين أحمد وأبو علي الحسن وكان المستكفي عند وصولهم قد لقبهم فلقب عليـا عماد الدولة والحسن ركن الدولة وأحمد معز الدولة • ثم ان قهرمانـــة المستكفي صنعت دعوة ودعت اليها الديلم فاتهمها معز الـــدولة أنها تريد مجاذبتهم في نقض عهدهم فدخل جماعة من الديلم على المستكفي وهو عـلى سدته فقبض عليه ثم على القهرمانة وقطع لسانها ونهبـــوا المال وحمـــل المستكفي الى دار معز الدولة فخلع نفسه وبايع المطيع لله ثم سمل ولم يزل محبوسا الى أن توفي يوم الخميس سادس عشر شهر ربيع الاخر من ســـنة ثمان وثلاثين وثلثمائة ودفن بالرصافة وكانت مدة خلافته الى أن خلع سنة وأربعة أشهر وعمره ست وأربعون سنة وشهران •

ذكر أولاده

كان له ولدان وهما أبو الحسن محمد وقد سمع الحديث ورواه ومات بما وراء النهر وأبو الحسن علي •

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزر له محمد بن علي الشيرازي وعزله ورتب عوضه ابن أبي سليمان ثم أبا أحمد الفضل بن عبدالرحمن الشيرازي وقاضيه محمد بن أبي الشوارب وحاجبه أحمد بن خاقان •

ذكر خلافة

المطيع لله

هو أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر بالله وبينه وبين أبيه أربعة خلفاء وهو الخامس وهم : القاهر بالله وهو عمه والراضي والمتقي وهما أخواه والمستكفي بالله وهو ابن عمه ولد في رابع وعشرين المحرم من سنة احدى وثلاث مائة بالقصر الحسني أمه أم ولد اسمها شعلة أدركت خلافته • بويع في ثاني عشر جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلاث مائة •

ذكر خلعه

خلع نفسه غير مكره لمرض عرض له منعه الحركة في يوم الاربعاء ثالث عشر ذي القعدة من سنة ثلاث وستين وثلاث مائة وكانت خلافته تسعا وعشرين سنة وأربعة أشهر وأياما وبايع ابنه الاكبر وهو أبو بكر عبدالكريم وأشهد على نفسه بما هذه صورته • هذا ما أشهد على نفسه أمير المؤمنين الفضل المطيع لله حين نظر لدينه ورعيته وشغل بالعلة الدائمة عما يراعيه من الامور الدينية وانقطع عن بعض ما كان يجب عليه فرأى اعتزال ما كان اليه من الامور وتسليمه الى ناهض به قائم بحقه فهو يرى له الرأي عهده ثم أشهد بذلك طوعا في يوم الاربعاء ثالث عشر ذي القعدة سنة ثلاث وستين

وثلثمائة فكتب فيه القاضي محمد بن صالح الهاشمي • شهد عنـــدي بذلك أحمد بن حامد وطلحة بن محمد بن جعفر وكتب محمد بن صالح •

ذكر وفاته ومدفنه

توفى المطيع لله فى المحرم سنة أربع وستين وثلثمائة ودفن بالرصافـة فى تربة عملها لنفسه عن ثلاث وستين سنة •

ذكر أولاده

وهـــم جعفـر وأبو عبـدالله عبدالوهاب وعبدالعزيز ومات بخراسان في أيام أبيه وأبو بكر عبدالكريم الطائع لله •

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزر له الفضل بن أحمد الشيرازي نيابة وأبو سعيد وهب بن ابراهيـم واستقضى محمد بن عبـدالله بن معـــروف وعزل نفسه وأبا السائب عتبة بن عبيـد وأبا الحسن محمـد بن صالح الهاشمي واستحجب أبا الحسن بن أبي عمرو •

ذكـــر خلافـــة

الطـــائع لله

وهو أبو بكر عبدالكريم بن الفضل المطيـــع ولم يل الخلافة من اسمـه عبدالكريم سواه ولا من كنيته أبو بكر وأبوه حي سواه وسوى الصديق أبي بكر بن قحافة وكان مولده في سنة سبع عشرة وثلثمائة أمه أم ولـد اسمها عتب أدركت خلافته وكان عمره لما تولى الخلافة ثمانيا وأربعين سنة ولم يـل الخلافة قبله أحسن منه • وبويع فى ثالث عشر ذى القعدة سنة ثلاث وستين وثلثمائة وكان مربوعا أشقر حسن الوجه نقش خاتمه: الطائع لله • وكان شديد

القوة موصوفا بالكرم • قيل انه كان بدار الخلافة أيل قد كبر وعتا وصال بقرونه لقتل ما يمر به من الدواب فاجتاز الطائع يوما ببعض البساتين فرآه وقد شق راوية وهرب البغل الذي كانت عليه الراوية وتبعه فقال للخدم امسكوه فلم يقدم أحد منهم عليه الا أنهم ألجؤوه الى مضيق فبادر الطائع وأمسك قرنيه بيديه وجعل الايل يضطرب فلم يخلصهما منه واستدعى نجارا كان يعمل في الدواليب وأمره فركب المنشار على القرنين فقطعهما وتركه فهرب الايل ووقعت فرجية الطائع عن كتفه فأراد خادم أخذها فنظر اليه نظر منكر فتركها ولم يقدر أحد على رفعها فجاء خادم فقال للنجار خذها فأخذها وباعها بمائة وتسعين دينارا • وفوض الطائع أمور المملكة الى عضد الدولة وجلس في صحن دار السلام وأخذ مؤنس بن الفضل حاجب الطائع بعضد الدولة حتى قبل الارض مرارا الى أن انتهى اليه فقبل يديه وقدمه وأمره بالجلوس فامتنع فأقسم عليه فجلس على ركبتيه وفوض الامور اليه • فقال عضد الدولة اسأل أن يسمع الناس ذلك • فقال الطائع ليحضر ابن موسى يعني أبا أحمد الموسوي والزينبي يعني أبا تمام وابن معروف يعني القاضي والمطهر يعنى وزير عضد الدولة وعبدالعزيز كاتبه فاحضروا وسمعوا لفظ الطائع بتولية عضد الدولة • فلما خرج أنفذ الى الطائع هدية على خمسمائة حمال من جملتها خمسون ألف دينار فى عشرة أكياس ديباج أسود وألف ألف درهم فى مائتي كيس وخمسمائة ثوب أنواعا وثلاثون صينية مذهبات فيها العنبر والمسك والكافور والعود الهندي والند الى غير ذلك من الثياب والدواب • وكان الطائع صاحب تنعم • جمع بين بنت عضد الدولة وبنت عز الدولة بختيار وأصدق كل واحدة منهما مائة ألف دينار وعضد الدولة أول من خوطب في الاسلام بالملك شاهنشاه وأول من خطب له على المنبر مع الخلفاء وأول من ضرب الطبل على بابه أوقات الصلاة وفى أيامه عمرت بغداد لانها كانت خربت بانفجار البثوق

فأمره الطائع أن يتولى بنفسه سد بثق النهروان فسده في سنة سبع وستين وثلثمائة • وأثر عضد الدولة في أيام الطائع آثارا جميلة وعمارات كثيرة وغرس الاشجار وأخر الخراج ورفعت الجباية عن قوافل الحجاج وكثر ادرار الاقوات والرسوم والصلاة للفقهاء والفقراء وأهل الادب ورغب الناس في الاشتغال بالعلوم لكثرة الهبات والعطاء ولهذا لم يجتمع في زمن من الازمان كما اجتمع في الدولة البويهية من سائر أرباب العلوم • وقد جمع الشيخ تاج الدين علي بن الحسن فى ذلك كتابا وسماه الاشارة الموفقية فى أخبار علماء الدولة البويهية وكانت فى أيامه الارتفاعات قائمة والاموال وافرة ومن آثاره البيمارستان العضدي بالجانب الغربي من بغداد في خراب دار بن حمدان وكان بجكم (اسم رجل) قبله حاول ذلك فلم يقدر عليه وعمل قنطرتي الصراة وسور مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم

ذكر خلعه وسببه

خلع في يوم الاحد العشرين من شوال سنة احدى وثمانين وثلثمائة وكانت خلافته سبع عشرة سنة وتسعة أشهر وخمسة أيام والسبب فى ذلك أن أبا الحسن بن العلم كان من خواص بهاء الدولة أي نصر بن عضد الدولة ومدبر أمره فكثر عنده مال الطائع وما في داره من الآلات والجوهر فجسره على القبض عليه فحضر دار الخلافة للخدمة على العادة فجلس له في اليوم المذكور فحضر وقبل الارض وقدم له كرسي فجلس عليه فأشار الى بعض خواصه بجذب الطائع وحمله الى طيار بهاء الدولة وصعد به الى دار المملكة فاعتقل يوم السبت تاسع عشر الشهر المذكور فلما كان يوم الاحد العشرين منه خلع نفسه من الخلافة وأشهد عليه بذلك الاشراف والقضاة وأنفذ الكتاب مع الحسن بن محمد بن نصر الى القادر بالله وكان بالبطيحة عند مهذب الدولة علي بن نصر أميرها نازلا عليه وكان قد هرب خوفا من الطائع

فخبره بخلع الطائع والتضييق عليه وحثه على الأصعاد الى مدينة السلام ومكث الطائع بعد خلعه مستظهرا عليه بدار الخلافة مشمولا من القادر بالله بالاحسان الى أن توفي •

ذكر وفاته ومدفنه

كانت وفاته ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة عن ست وسبعين سنة ودفن فى تربة بالرصافة •

ذكر ولده

وهو أبو الفتح عبدالوهاب توفي في حياة أبيه •

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزر له علي بن جعفر بن نباتة وعيسى بن علي بن عيسى وعيسى بن مروان وعلي بن عبدالعزيز بن حاجب النعمان ولم يعزل أحدا من قضاة المطيع وحجابه مؤنس بن الفضل وأحمد بن نصر •

ذكر خلافة
القادر بالله

وهو أبو العباس أحمد بن الامير اسحق بن جعفر المقتدر مولده في سنة ست وثلاثين وثلثمائة أمه أم ولد اسمها يمن مولاة عبد الواحد وكانت من أهل الدين والصلاح أدركت خلافته وكان أبيض حسن الوجه كث اللحية عريضها يخضب لحيته وكان دأبه التهجد بالليل والنهار ومن السرو والديانة والبر والصدقات على صفة اشتهرت عنه ونقش خاتمه القادر بالله •

وكان السبب في مصيره الى البطيحة أن أخاه لما توفى أبوهما الامير أبو بكر اسحق جرت بينهما وبين أخت لهما منازعة فى ضيعة من تركته واتفق أنه

عرض للطائع مرض أشرف منه على التلف ثم أبل فسعت أخته به الى الطائع وقالت انه شرع في تقلد الخلافة وراسل أرباب الدولة فظن الطائع أن ذلك حق فتغير رأيه فيه وأنفذ يستدعيه . فكاتبه ابن حاجب النعمان فأحس بالقبض عليه وكان بداره بالحريم فقال لرسول ابن حاجب النعمان اجلس حتى أدخل ألبس ثيابا تصلح للقاء الخليفة فتعلق به فمنعه الخدم وخلصوه من يده وبادر الى سرداب في داره فأخفي نفسه وانحدر من مدينة السلام الى البطيحة وذلك في ثاني عشر شهر ربيع الآخر سنة تسع وسبعين وثلثمائة وأميرها يومئذ مهذب الدولة أبو الحسن علي بن نصر فنزل عليه وعرفه بنفسه والسبب في خروجه فتلقاه بالاكرام وخدمه مدة مقامه عنده . وكان القادر قد رأى مناما قبل وصول خبر الخلافة اليه فيه بشارة وهو أنه رأى في منامه كأن نهر البطيحة قد اتسع حتي صار في عرض دجلة مرات وكأنه متعجب من ذلك قال فسرت على ذلك متأملا فرأيت قنطرة فقلت ترى من جادت نفسه بناء هذه على هذا البحر العظيم فبينما أنا واقف رأيت شخصا قد قابلني من ذلك الجانب وناداني يا أحمد تريد أن تعبر فقلت نعم فمد يده الي وأخذني وعبرني فهالني فعله وتعاظمني فقلت له من أنت فقال علي بن أبي طالب وهذا الامر صائر اليك ويطول عمرك فيه فأحسن الى ولدي فلم يتأخر أن سمع صوت الملاحين وجماعة يبشرونه بالخلافة ويطلبون اصعاده . ولما وصل الى بغداد خرج الى لقائه بهاء الدولة أبو نصر بن بويه ووجوه الاولياء وأماثل الناس فكان وصوله الى دار الخلافة ليلة الاحد ثاني عشر شهر رمضان من سنة احدى وثمانين وثلثمائة وكانت البيعة قد أخذت له على الناس قبل ذلك وخطب له بدار السلام وجلس يوم وصوله جلوسا عاما ودخل عليه الناس وامتدحته الشعراء فممن مدحه الشريف الرضي الموسوي بقصيدة أولها :

شرف الخلافة يا بني العباس ... اليوم جدده أبو العباس

وحمل اليه بعض الفرش والآلات التى كانت أخذت من دار الطائع .

وكان فيه فضل وله شعر فمن ذلك قوله :

عجبت هند من طوالع شيبي ... قلت مهلا فذا نظام السرور

بدلتني يد الملابس[1] من مسـ ... ـك عذارى طيبا من الكافور

كان بيني وبين عمري كتاب ... غالطتني بذاك أيدي الدهور

ذكر وفاته ومدفنه

توفى ليلة الاثنين حادي عشر ذي الحجة من سنة اثنتين وعشرين وأربعماية ودفن بدار الخلافة الى أن نقل تابوته الى تربة الرصافة التي عليها وقف شغب أم المقتدر وهو أول خليفة دفن بها وكان عمره ستا وثمانين سنة وعشرة أشهر وأحد عشر يوما ومدة خلافته احدى وأربعين سنةوثلاثة أشهر ولم يبلغ هذا القدر في الخلافة أحد قبله .

ذكر أولاده

وهم أبو محمد علي والقاسم وأبو الفتح المظفر وفاطمة وأبو جعفر عبدالله .

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزر له أبو الحسن علي بن عبدالعزيز بن حاجب النعمان ثم عزله واستوزر أبا العلاء سعيد بن الحسن بريك نيابة ثم عزله وأعاد ابن حاجب النعمان الى أن توفي . وقضاته ابن الاكفاني وابنالخزري الابيوردي وحجابه أبو القاسم بن مفلح ومحمد بن الحسن ومنصور بن ظافر وأبو القاسم بن بكران وابنه أبو منصور .

---

(١) لعل الصواب : يد الليالى .

ذكــر خلافــة

القائـــم بأمـــر الله

وهو أبو جعفر عبدالله بن الامام القادر بن الامير اسحق بن المقتــدر مولده يوم الجمعة ثامن عشر ذي القعدة سنة احدى وتسعين وثلثمائة أمـه أم ولد يقال لها قطر الندى أدركت خلافته وكان أبوه القادر بالله جعله ولي عهده وخطب له سنة احدى وعشرين وأربعمائة بـدار الشـــجرة من دار الخلافة ومدحه الشريف المرتضى ورثى أباه بقوله :

فلمـا مضـى جبـل وانقضى ... فمنك لنا جبـل قـد رسـى
وانا فجعنـا ببـدر التمـام ... فقد عقبت منه شمس الضحي
لنـا حـزن من محل السرور ... فكـم ضحك فى خـلال البكا
فيـا صـارما أغمـدته يـد ... لنـا بعـدك الصـارم المنتضى
ولمـا حضرناك عنـد البيـاع ... عرفنا بهديك طـرق الهـدى
فقابلتنـا بوقـار المشيب ... كمـالا وسـنك سـن الفتى

وكان القائم بأمر الله بديع الجمال حسن الشمائل رقيق المحاسن طويلا معتدل الجسم • نقش خاتمه العزة لله وحده • وكان كثير العبادة متجهدا لا ينام الا غلبة • ونقل عنه أنه ما نام على فراش ولا تدثر بدثار مذ ولي الخلافة فعوتب فى ذلك فقال سمعت الدعاة يقولون الصوام القوام فاستحييت من الله أن أوصف بصفة ليست في • وكان لمحبة أرباب الدين يغير زيه ويحضـر مجلس أبي الحسن القزويني بالحربية ويكثر غشيانه • وله فضائل كثـيرة ومناقب جمة قد ذكر بعضها فى كتـاب الايناس في مناقب الخلفـاء من بني العباس • ومما يدل على همته ما نقل عنه من شعره :

سقى ليلنـا بأعـالي الحمـى ... من الغيث وكافـة تنسـجم
سهرنا عـلى سنة العاشـقين ... وقلنـا لماكـره الله رسـم

وكانت له عناية بالادب ولـم يكن يرتضي أكثر ما ينشأ بالديوان حتي يصلح فيه أشياء وفى أيامه قدم أبو طالب محمـد بن ميكال السـلجوقي المعروف بطغرلبك بغداد استدعاه القائم من خراسان وذلك عند ضعف بهاء[(1)] الدولة أي نصر بن عضد الدولة عن مصالح الدولة القائمية وهو أخـر من كان بقى من ملوك الديلم وأول من دخل بغداد من ملوك السلجوقيـة طغرلبك ولما قدم تلقاه الوزير رئيس الرؤساء أبو القاسـم بن المسلمة مـن النهروان فى شهر رمضان من سنة سبع وأربعين وأربعمائة ومعه عسـاكر كثيرة وأقام بدار المملكة بأعلى البلد وقبض على بهاء الدولة وسيره الى الري وجعله فيقلعة محبوسا الى أن توفي • وكان القائم بأمر الله قـد ولى ألب أرسلان القادري المعروف بالبساسيري رتبةأمير الجيوشوقدمه علىأبناء جنسه فلما قبض طغرلبك على بهاء الدولة خاف وكان مقيما بالبصرة فترك ما كان فيه خائفا وهرب طالبا سقي الفرات مصعدا الى الموصل لاجئا الىقريش بن بدران أميرها فعرفه بعده عن العراق وقدوم طغرلبك واتفقا على المخالفة ومراسـلة معد المستولي على مصر على اقامـة الخطبة له فيمـا يملكانه من البـلاد واستدعيا منه عسكرا لياخذا له بغداد فأمدهما بمال استعانا به عـلى الجمـع والتجنيد فاجتمع لهما أوباش الناس وزحف البساسيري من الموصل وقـد انضاف اليه كل قاطع طريق وراغب فى النهب والغارة وأطمعه فى قصـد بغداد كون طغرلبك قـد عصى عليه أخوه ابراهيم ينال وهـو مشغول بمحاربته • فعند ذلك قصدها من ناحية الانبار وملك الجانب الشرقي ونزل بالزاهر ثم زحف بمن معه ودخل البلد فخاصم عامة البلد وضعفوا عنـه فأضرم النيران فى الاسواق ونهب وانتهى الى دار الخلافة فنهب منها ما قدر عليه وخرج الامام القائم بأمر الله فى نفر من خدمه فحماه قريش بن بدران

(١) هذا سهو غريب اذ أن من جاء بعد بهاء الدولة من آل بويه هم سلطان الدولة ، ومشرف الدولة ، وجلال الدولة وهؤلاء الثلاثة بنو بهاء الدولة ثم أبو كاليجار بن سلطان الدولة وبعده ولده الملك الرحيم وهو آخرهم وقد انتهى أمره على يدى طغر لبك الذى اعتقله فكان آخر العهد به •

وعبر في خدمته الى الجانب الغربي وسيره محروسا الى الحديثة وأنزله على عم له يقال له مهارش بن مجلي فقـام بخدمته مدة مقامه عنـده وذلك سـنـة كاملة • ثم ان طغرلبك فرغ من قتال أخيه وبلغه ما جرى في بغداد فتوجـه اليها بعساكره ونفذ الى القائم بأمر الله من أعاده الى بغداد وكان لما عـرف البساسيري قرب طغر لبك من بغداد خـرج عنها هاربا نحـو واسط فأتبعه طغر لبك عسكرا ظفروا به وأحضروا رأسه ولما قدم القائم الى بغداد كان في خدمته مهارش وجماعة من بني عمه وكان طغرلبك قد نزل على النهروان فضرب للقائم سرادقا ثم توجه هو وطغرلبك الى بغداد فدخلها يوم الاثـنين خامس وعشرين ذي القعدة سنة احدى وخمسين وأربعمائة ولما وصـل القائم بأمر الله الى باب النوبي نزل طغرلبك عن دابته وأخذ بلجام بغلـة القائم ومشى بين يديه حتى نزل بباب الحجرة • وخـدم وعـاد وأعاد الله القائم بأمره الى مستقر عزه وذلك بعد سنة كاملة • ومن شعره وهو بالحديثة قـولـه •

مالي من الايـام الا موعـد	فمتى أرى ظفـرا بذاك الموعد
يومي يمـر وكلما قضيتـه	عللت نفسي بالحديث الى غـد
أحيا بنفس تستريح الى المنـى	وعلى مطامعهـا تروح وتغتـدي

وكان القائم قد عقد مع الله تعالى العفو عمن أساء اليه والصفح عـن جميع من تعدى عليه • والقصة مع أحد الزركارية الذين كانوا يعملـون فى دار الخلافة حين سأله ما حملك على ما اعتمدت فى حقنا حين خروجنا من بغداد وقد كان أظهر الشمات به فقال يا أمير المؤمنين نحن أعوان الدهر على من مال عليـه فأمره بالانصراف بعد أن أعطاه مالا وقال له عش بهـذا ولا تعاود العمل فى دارنا • ثم أنشد من نظمه قوله :

ألـم تـر ان ثقـات الفتـى	ان الدهـر ساعده ساعدوا
وان خانه دهـره أسلموه	فلـم يبق منهـم لـه واحد
ولـو علـم الناس ان المريض	يمـوت لما عـاده عائـد

ومنذ عاد من الحديثة الى داره لم يمكن أحدا من جواريه وخدمه أن يقدم له قط فطوره ولا طهوره بل كان يتولى ذلك بنفسه وكان يقول اني جعلت شكر النعمة الاحسان الى كل مسيء .

ذكر وفاته

توفي يوم الخميس ثالث عشر شعبان من سنة سبع وستين وأربعمائة ودفن فى حجرة كانت برسم جلوسه بدار الخلافة ثم نقل الى تربة الرصافة وقبره يزار ويتبرك به وكانت مدة خلافته أربعا وأربعين سنة وثمانية أشهر ولم يبلغ هذه المدة خليفة قبله . وكان عمره خمسا وسبعين سنة وتسعة أشهر ومدة خلافته وخلافة أبيه القادر بقدر مدة جميع خلفاء بني أمية لانها خمس وثمانون سنة وكانوا أربعة عشر من معاوية الى مروان بن محمد الذى انتهى ملكهم على يده فان أيام الدول لا تطول الا بالعدل ولا تحفظ الا بازالة الظلم . فالظلم لا يدوم واذا دام دمر . قال الله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك آية لقوم يعلمون . وللقائم كلام ينقل عنه فمنه قوله . بتحمل الاخطار تعظم الاخطار . وقوله بالصبر على مضض المقدار يكون علو المقدار .

ذكر ولده

وهو أبو العباس محمد الذخيرة وكان قد رشحه للخلافة بعده وخطب له بولاية العهد فمات فى خلافة والده وترك حملا وهو أبو القاسم عبدالله فلما جرى في يوم البساسيري ما جرى من نهب دار الخلافة ومن توجه القائم عنها هربت أم ولد الذخيرة ومعها ولدها منه أبو القاسم عبدالله فحصلت عند رجل من أرباب أهل المراتب فحفظها وولدها . ولما عاد القائم الى مستقر عزه حملها اليه فحظي عنده وأنعم عليه .

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزر له أبو طالب محمد بن أيوب وعزله واستوزر رئيس الرؤساء

أبا القاسم علي بن المسلمة الى أن دخل البساسيري بغداد وظفر به وقتله •
فلما عاد الخليفة من الحديثة استوزر أبا الفتح محمد بن دارست ثم عزله
واستوزر أبا نصر محمد بن محمد بن جهير الى حين وفاته • وقضاته أبو
عبدالله بن ماكولا وأبو عبدالله بن الدامغاني وحجابه أبو منصور بن بكران
وحسين ابن علي المردستي والله أعلم وأحكم •

ذكر خلافة

المقتدي بأمر الله

وهو أبو القاسم عبدالله بن الامير محمد الذخيرة بن القائم بأمر الله
مولده يوم الاربعاء ثامن عشر جمادى الاولى من سنة ست وأربعين وأربعمائة
أمه أم ولد أرمنية اسمها ارجوان وتدعى قرة العين أدركت خلافته وخلافة
ولده المستظهر بالله وخلافة ولده المسترشد بالله وكانت صالحة وقد ذكر
شيء من أخبارها في كتاب[1] من أدركت خلافة ولدها• بويع في صبيحة الليلة
التى توفي فيها جده القائم وعمره تسع عشرة سنة وجلس بدار الشجرة من
دار الخلافة بقميص أبيض وعمامة بيضاء وطرحة بيضاء فبايعه الوزير ابن
جهير ونقيب النقباء طراد الزينبي والمعمر نقيب الطالبيين وقاضى القضاة أبو
عبدالله الدامغاني ومؤيد الملك أبو بكر بن نظام الملك ووجوه الاشراف
والفقهاء كالشيخ أبي اسحق الشيرازي وأبى نصر بن الصباغ وأبي محمد
التميمي وأبي جعفر ابن أبي موسى فبايعوه ثم نهض وصلى بالناس صلوة
الظهر وكان أبيض تام الطول دقيق المحاسن حسن الشمائل • نقش خاتمه•
من توكل عليه كفاه • وكان مهيبا شجاعا ذا همة عالية وكانت آثار الخير في
أيامه متظاهرة ومواطن العبادات عامرة وفى أيامه بنى جامع المدينة وما شاء
الله من القناطر والمصانع في طريق مكة شرفها الله تعالى وحفر الانهار التى

---

(١) يظن الدكتور مصطفى جواد أن مؤلف هذا الكتاب هو ابن الساعى الخازن •

كانت مندثرة كنهر سيلي الخالص ونهربين والاسحاقي وهو الذي بني منارة أم القرون من حوافر الصيد وقرونه وكانت أيامه ساكنة الاطراف والرعية بين رخص عام وأمن تام ولم يمض من خلافته يوم الا وجدت زيادة في الدين ومسرة في قلوب المسلمين • وكان السلطان في زمانه ملكشاه ومدبر الامور نظام الملك وكان طريق مكة قد سد من سنة ثلاثين وأربعمائة لم يحج الا من يغرر بنفسه حتى جاءت الدولة المقتدية فحج الناس وقد شملتهم الكفاية والحماية • ولما جلس للملك ملكشاه ظهر منه عند مشاهدته عبودية ظاهرة وخشوع عظيم بحيث صلى حيال سدتها واسطوانة واقرها على جسده ولعب ومسح يده بما هنالك •

ومن كلام المقتدي بأمر الله يقال • وعد الكرماء ألزم من ديون الغرماء • الالسن الفصيحة أنفع في الامور من الوجوه الصبيحة • الضمائر الصحيحة أبلغ من الالسن الفصيحة والاقدام أفضل من الاحجام الا في استئصال النعم • وابتذال الحرم • وتقوى الله خير ما ادخر للمعاد والحياء خير ما حلي به العباد • حق الرعية لازم للراعي • وقبيح بالولاة الاقبال على السعاة • من أثرت حاله اتسع مجاله وراج محاله • العدل يغني عن جميع العساكر ويمنع ما لا تمنعه الحصون • وكان قد جمع ما بين العمل بالشريعة وتنزيه أيامه عن الامور الفظيعة • وكذا الواجب على كل من استرعاه الله رعية أن يجمل لهم الطوية ويراعي فيهم قوانين الشريعة وما أحسن حال من راعي ذلك وعرفه •

ذكر وفاته

توفي في ليلة السبت خامس عشر المحرم من سنة سبع وثمانين وأربعمائة فجأة فكتم موته ثلاثة أيام وبويع ولده وولي عهده أبو العباس أحمد ودفن بدار الخلافة ثم نقل الى تربة الرصافة فدفن بها وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وتسعة أيام •

---

(٢) المعروف أن السلطان ملكشاه هو صاحبها وهى به أشبه من هذا الخليفة الوديع •

ذكر أولاده

وهم أبو اسحق محمد وأبو على الحسن وأبو أحمد طلحة وأبو جعفر موسى وأبو جعفر هرون وأحمد •

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزر له وزير أبيه أبو نصر بن جهير ثم ولده أبو منصور محمد وعزله واستوزر أبا شجاع محمد بن الحسين الروذراوري ثم عزله وأعاد أبا منصور بن جهير الى أخر أيامه • وقضاته أبو عبدالله الدامغاني وتوفي فاستقضى أبا بكر محمد بن مظفر الشامي الى أن توفي • وحجابه أبو عبدالله المردستي وأبو منصور المعوج •

ذكر خلافة

المستظهر بالله

وهو أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله ولد ليلة السبت ثامن عشر شوال سنة سبعين وأربعمائة أمه أم ولد اسمها كلبهار وبويع بعد وفاة أبيه وعمره ست عشرة سنة وتولى له أخذ البيعة الوزير أبو منصور بن جهير وكان جميلا أبيض مشربا حمرة تام الطول لطيف المحاسن نقش خاتمه • ثقتي بالله وحده • وكان سخي النفس مؤثرا للاحسان حافظا للقرآن محبا للعلم فصيح اللسان • اذا دعي الى فعل الخير أجاب واذا طلب منه الانعام جاد لايعتمد مساءة أحد •

ذكر شيء من كلامه

قوله • ذخائر المرء لدنياه ذكر جميل • ولاخرته ثواب جزيل • شح المرء بفلسه من دناءة نفسه • البذل من شيم الاكارم • والضن صفات الآثم • الصبر على الشدائد ينتج الفوائد • أدب السائل أنفع الوسائل • بضاعة العامل لا تخسر وربحها يظهر فى المحشر • وله نظم فمن ذلك قوله :

أذاب حر الهوى فى القلب ماجمدا   يوما مددت على رسم الوداع يدا[1]
فكيف أسلك نهج الصبر حيث أرى   طرائق الهجر في مهوي الهوي قددا

ذكر وفاته ومدفنه

توفي ليلة الخميس رابع وعشرين شهر ربيع الاخر من سنة اثنتي عشرة وخمسمائة عن احدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوما ودفن بدار الخلافة ثم نقل الى تربة الرصافة فدفن بها ٠

ذكر أولاده

وهم اسمعيل وكان موصوفا بالقوة ٠ وأبو اسحق وأبو طالب العباس وقد روي شيئا من الحديث وسمع منه وأبو الحسن علي وكان زاهدا صالحا وأبو القاسم علي وهو ذو دين وأدب وأبو نصر وهو أخر من بقي من أولاده وأبو الحسن وكان قد خطب له بولاية العهد بعد أخيه المسترشد فلما الي أخوه هرب من دار الخلافة وجرت له أحوال ثم قبض عليه وعاد الى دار الخلافة فكان بها الى أن مات ٠

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزر له أبو منصور بن جهير وعزله واستوزر أبا القاسم علي بن جهير ثم عزله فوزر له أبو المعالي هبة الله بن المطلب ثم عزله وأعاد أبا القاسم بن جهير الى أن توفي فوزر له الربيب أبو منصور الحسن بن الوزير أبي شجاع وزير السلطان واستأذن المستظهر بالله فأذن له فخرج مع السلطان الى اصفهان عليه واستنيب له النقيب علي بن طراد الزينبي فكان هو المدبر واسم الوزارة لابن الربيب الى أن توفي المستظهر وقضاته محمد بن مظفر الشامي الى أن توفي وبعده أبو الحسن علي الدامغاني الى آخر أيامه ٠ وحجابه ابن المردستي وابن المعوج ٠

---

(١) وردت هذه الابيات في كتاب المنتظم لابن الجوزي المجلد التاسع ص٨١ بلفظ يختلف عن لفظها هنا ٠

ذكـــر خلافـــة
المســـترشد بالله

وهو أبو منصور الفضل بن المستظهر بالله مولده يوم الاربعاء رابع عشر ربيع الاول من سنة خمس وثمانين وأربعمائة أمه أم ولـــد اسمها لبابة • بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه وأول من بايعه اخوته عدا أخاه أبا الحسن عبدالله وخرج مختفيا مفارقا دار الخـــلافة ثم عمومته ثم القضاة والفقهاء وأربـاب الدولة وكان المتولي لاخذ البيعة على الناس قاضى القضاة أبو الحسن الدامغاني وكان أسمر اللون رقيق البشرة تام الطول فى مقدم لحيته طـــول • نقش خاتمه • من توكل على الله كفاه • وكان قد سمع الحديث من أحمد بن عبـد الوهاب السيبي ومن علي بن أحمد ابن بيان • وحدث فى خـلافته فسمعه محمد بن الاهـــوازي والوزير علي بن طـراد الزيني ورويا عنـــه وخطب لولده أبي جعفر منصور بولاية العهد وصلى بالناس وكان المكبرون خطبـــاء الجوامع بجانبي بغداد وله كلام بليغ فى التوقيعات • فمن ذلك قوله حمامـة الملك متغنية علينا وأعين الامة طامحة الينا •

ذكر قتله وسببه

كان قد خرج لقتال السلطان مسعود السلجوقي وذلك في رجب مـــن سنة تسع وعشرين وخمسمائة فلما قرب من همذان راسل مسعود جماعـة من العسكر واستفسدهم فانقلبوا اليه وزاد جمعه بهم وقل جمع الخليفـــة والتقى العسكران يوم الاربعاء عاشر شهر رمضان من السنة فتفرق الباقـــون منهزمين واستولى أصحاب السلطان مسعود على الاموال التى كانت للخليفة وثبت الخليفة ومعه الوزير ابن طراد وقاضى القضاة الزينبي وأبو الفتوح بن طلحة صاحب المخزن ونقيب الطالبيين علي بن معمـــر وكاتب الانشاء ابن الانباري وغيرهم من الولاة وحصل الكل فى أسر السلطان مسعود فأنـــزل المسترشد فى خيمة تليق به ونفذ الباقين الى القـــلاع ثم توجه الى مراغـــة

وصحب معه المسترشد ثم راسل مسعودا عمه سنجر ينكر عليه ما اعتمده في حق الخليفة ويأمره باستدراك الفارط بالحضور بين يديه والتنصل اليه فحضر عنده وقبل الارض وسأله الصفح وضرب له سرادقا جميلا فركب من سرادقه اليه ومشى السلطان مسعود بين يديه وعلى كتفه الغاشية فلما نزل قبل الارض وانصرف • ثم وردت رسل من سنجر شاه فركب مسعود للقائهم فهجم جماعة من الباطنية على سرادق المسترشد بالله وقتلوه ضربا بالسكاكين وقتل معه جماعة من خواصه ممن كان بحضرته فوقع الصياح فأحاط العسكر بهم وقتلوا وأحرقوا ونقل المسترشد من سرادقه الى باب مراغة وغسل وصلي عليه ودفن بها • ثم ان السلطان مسعود قعد له في العزاء ومدة خلافته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وأيام وعمره خمس وأربعون سنة •

ذكر أولاده

وهم اسمعيل وكان صالحا دينا وأحمد وأبو عبدالله موسى وعيسى وتأخرت وفاته •

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزر له أبو شجاع محمد بن الربيب ثم عزله واستوزر علي بن صدقة وعزله واستوزر أبا نصر أحمد بن نظام الملك ثم عزله وأعاد ابن صدقة وعزله واستوزر علي بن طراد الزينبي الى أخر أيامه • وقضاته علي بن محمد الدامغاني وتوفي فاستقضى علي بن الحسين الزينبي الى أخر أيامه • وحجابه عبدالله بن محمد الدامغاني وأبو غالب محمد بن المعوج وأبو الفتوح حمزة بن طلحة وأبو الفضل هبة الله بن الحسين بن الصاحب •

ذكر خلافة

الراشد بالله

وهو أبو جعفر منصور المسترشد مولده سنة اثنتين وخمسمائة أمه أم

ولد اسمها جلنار • بويع بالخلافة يوم وصل نعي والده وذلك يوم الاثنين سابع ذي القعدة من سنة تسع وعشرين وخمسمائة وكان أبيض مشربا حمـرة جسيما • نقش خاتمه : من آمن بالانتقال عمل للمآل • وكان جميل الطوية للرعية حسن السيرة كارها للفتن محبا للأمن الا أن للمقادير حكمها • ومن كلامه لو تركنا لما اوجفنا الخيل ولا استبطنا الليل انا نكره الفتن اشفاقا عـلى الرعية ونؤثر العـدل والامن في البرية ويأبي المقدور الا تصعب الامـور واختلاط الجمهور فنسأل الله العون على لم شعث الناس باطفاء نائرة الفتن • وله قصيدة أولها •

سأقتضي من زمنـي ديـوني ... ان أخرتنـي ريب المنـون
ولست بالراشـد ان لم أنتخي ... لهاشـم عن حسـبي وديني
واشتشـيرن لمسـترشدكم ... من عصبة قـد مرقوا في الدين

ذكر خلعه ووفاته

لما دخل السلطان مسعود بغداد بعد خروج الراشد الى الموصل وذلك في يوم الاحد خامس عشر ذي القعدة من سنة ثلاثين وخمسمائة •

ونزل دار السلطنة عقد عنده مجلس حضره جماعـة من الرؤساء والشهود فشهد جماعة انه ارتكب أمورا توجب خلعـه طلبا لرضى السلطان مسعود وطلب منهم أن يكتبوا خطوطهم بذلك فكتبوا • فحكم بخلعه القاضيان ابراهيم بن محمد الهيتي ومحمد بن أحمد الكرخي وهما نائبا قاضي القضاة علي بن الحسين الزيني وشهد على حكمهما بذلك جماعة من الشهود وعرض ذلك على الفقهاء فأفتى جماعة منهم بوجوب خلعه بناء على ما ثبت عند القاضيين ووقع الشروع في مبايعة عمه أبي عبدالله محمد بن المستظهر بالله • ولما بلـغ الراشد بالله خلعه أظهر التمسك ببيعة الناس له والمطالبـة بموجبها واستمر مقامه بالموصل الى رجب من سنة احدى وثلاثين وخمسمائة وخرج منها الى كابل وقصد مراغة وزاره أباه المسترشد ثم سار الى اصفهان فأقام بها مـدة

مدينة فمرض ومات ودفن بشهرستانة في سابع رمضان سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وعمره ثلاثون سنة وخلافته من يوم بويع الى أن خلع سنة فلما أن وصل نعيه الى بغداد قعد له في العزاء يوما واحدا وهو أول خليفة تلقى الخلافة من أبيه وأبوه من جده وجده من أبيه وهو الراشد ابن المسترشد ابن المستظهر بن المقتدي ولم يتفق هذا لاحد من قبله •

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزر له محمد بن أحمد بن صدقة وأقر قاضي أبيه علي بن الحسن الزيني على قضاء القضاة واستحجب أبا الفضل هبة الله بن الصاحب •

ذكر خلافة
المقتفي بالله

أبو عبدالله محمد بن أحمد المستظهر بالله مولده في شهر ربيع الاخر من سنة تسع وثمانين وأربعمائة • أمه أم ولد يقال لها نزهة حبشية كان لها ثلاثة بنين المقتفي وأبو الحسن عبدالله وأبو طالب العباس وكانت موصوفة بالكرم والافضال أدركت خلافته • وقد ذكرت في مناقب من أدركت خلافة ولدها • ولما حكم بخلع الراشد كما سبق بويع عمه أبو عبدالله محمد المقتفي لامر الله وذلك في يوم الاربعاء ثاني ذي القعدة من سنة احدى وثلاثين وخمسمائة فحضر بيعته أقاربه والولاة والقضاة والفقهاء وسائر الناس وتولى أخذ البيعة له الوزير علي بن طراد الزينبي وكان عمره لما بويع احدى وأربعين سنة وثمانية أشهر وكان تام الطول عبل الجسم • نقش خاتمه : كن من الله على حذر تسلم • وكانت أيامه نضرة بالعدل تزهو بفعل الخيرات وانتشار العلوم وكان على قدم من العبادة قبل افضاء الامر اليه وبعده ولم ير بعد المعتصم خليفة في شجاعته وصرامته مع لين جانب ورأفة في لطافة • خرج عليه من سلاطين الوقت في أيامه جماعة ففل الله جموعهم ولم يبلغ

أحد منهم غرضا • ولما قصد السلطان محمد شاه بغداد بعساكره عاد خائبـــا وكان النصر للمقتفي وجنوده • وكان على غاية من الحلم ما استقاله أحد عثرته الا أقـــاله •

ذكر وفاته ومدفنه

توفي ليلة الاحد ثاني شهر ربيع الاول من ســـنة خمس وخمسين وخمسمائة عن ست وستين سنة الا أياما وكانت خلافته أربعا وعشرين ســنة وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما ودفن بدار الخلافة ثم نقل الى تربة الرصافة • وكان قد جعل أبا المظفر يوسف ولي عهده •

ذكر أولاده

وهم أبو أحمد عبدالله وكان معروفا بالعقل والصلاح مـع فضل وأدب توفي وقد جاوز سبعين سنة ولم يعقب وأبو جعفر عبدالله ومات بعد أبيه وأبو المظفر يوسف وسيأتي ذكره •

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزر له علي بن طراد الزينبي وعزله واستوزر أبا نصر المظفر بن علي ابن جهير وعـزله • ووزر له أبـو القاسم بن هبيرة وقضاته علي بن الحسين الزينبي وتوفى فقلد بعده أبا الحسن علي بن أحمد الدامغاني وولى أبا الوفاء يحيي بن المرخم أقضى القضاة وحجابه عبدالله بن الصاحب وعزله وولى أبا غالب محمد بن المعوج وتوفي فاستحجب علي بن هبـــة الله بن الصاحب الى أخر أيامه •

ذكـــر خلافـــة
المستنجد بالله

وهو أبو المظفر يوسف بن المقتفي لامر الله مولده في شهر ربيع الاول من سنة ثمان عشرة وخمسمائة • أمه أم ولد تسمى طاووس رومية أدركت

خلافته ولم يل الخلافة من اسمه يوسف سواه ولا شركة في كنيته • بويع بالخلافة يوم توفي والده وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتولى أخذ البيعة له الوزير يحيى بن هبيرة وكان مليح الوجه أبيضه مشربا حمرة أزج الحاجبين في شعره شقرة • نقش خاتمه : من أحب نفسه عمل لها • وكانت أيامه أيام خصب ورخاء وأمن عام ودولته زاهرة وسياسته قاهرة وهيبته رائعة وكان آخر من عمل في أيامه بقواعد الخلفاء الماضين وجلوس وزيره بالديوان لرفع المظالم ولم ينته اليه أمر الا أزاله ولم يذعر رجلا من رعاياه ذاعر ولا طرقه طارق وصفت له أيام خلافته وأظهرت له الارض ما فيها من الذخائر واجتمعت له الاموال كثيرة وقد نقل عنه ما يدل على تواضعه فمن ذلك أنه أبرز الى وزيره يحيى بن هبيرة أبياتا من نظمه يمدحه بها وهي قوله :

صفت خصلتان خصتاك وعمتا — وذكرهما حتى القيامة ينتشر
وجودك والدنيا اليك فقيرة — وجودك والمعروف في الناس منكر
ولم أر من ينوي لك السوء يا أبا ا‍ل — مظفر الا كنت أنت المظفر
فلو رام يا يحيى مكانك جعفر — ويحيي لكفا عنه يحيي وجعفر

وقد نقل عنه ما أنشده وهو قوله :

اذا مرضنا نوينا كل صالحة — وان شفينا فمنا الزيغ والزلل
نرضي الاله اذا خفنا ونسخطه — اذا رضينا فما يزكو لنا عمل

ذكر وفاته ومدفنه

توفي يوم تاسع شهر ربيع الاول سنة ست وستين وخمسمائة ودفن بدار الخلافة عن ثمان وأربعين سنة ثم نقل الى تربة الرصافة وخلافته احدى عشرة سنة وشهر وأيام •

ذكر أولاده

وهم أبو محمد الحسن وقد أفضت اليه الخلافة وسيأتي ذكره وأبو القاسم والعباسة •

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزر له يحيى بن هبيرة الى أن توفي ثم استناب قاضي القضاة أبا البركات جعفر بن الثقفي الى أن استحضر أبا جعفر بن البلدي من واسط واستوزره الى أخر أيامه وقضاته أبو الحسن بن الدامغاني وعزله واستقضى أبا جعفر عبد الواحد بن الثقفي الى أن توفي واستناب أبا طالب روح بن أحمد بن الحديثي ثم ولى أبا عبدالله بن الشهرزوري قاضيا مطلقا وولى أبا البركات بن الثقفي قضاء القضاة • وولي أبا نصر القاسم بن علي الزيني أقضى القضاة وحجابه أبو القاسم بن الصاحب الى أن توفي واستحجب أبا الفضل بن هبة الله الى أخر أيامه •

ذكر خلافة
المستضىء بالله

وهو أبو محمد الحسن بن المستنجد بالله ولم يل الخلافة من اسمه الحسن وكنيته أبو محمد سوى الحسن بن علي عليهما السلام والمستضيء وكان مولده في سادس شعبان من سنة ست وثلاثين وخمسمائة أمه أم ولد اسمها غضة أرمنية لم تدرك خلافته • بويع بالخلافة يوم توفي والده وعمره اذ ذاك ثلاثون سنة تولى أخذ البيعة له استاذ الدار أبو الفرج بن رئيس الرؤساء وفي يوم المبايعة أمر بقتل الوزير بن البلدي وكان أبيض اللون أقني الانف أزج الحاجبين جميل الوجه • نقش خاتمه : من فكر في المال عمل للانتقال • وكان سخيا جوادا حسن السيرة سليم السريرة أظهر يوم

مبايعته من ردّ المظالم والافراج عن المحبوسين واسقاط الضرائب والمكوس ورسوم البيع وسياقات الاعمال ما شاع واشتهر ولم تصل اليه قصة يسأل فيها حاجة الاوردها بقضاء حاجة صاحبها وفي أيامه عمل جسر ومد على دجلة مضافا الى الجسر العتيق ونصب من الدواليب بباب الغربة الى الرقة وذلك سنة سبعين وخمسمائة وبنى فخر الدولة الحسن بن المطلب جامعا بقصر المأمون على دجلة واستؤذن باقامة الجمعة فيه فأذن له •

ذكر وفاته ومدفنه

توفي عشية السبت سادس شوال سنة خمس وسبعين وخمسمائة ودفن بدار الخلافة ثم نقل الى تربة بالجانب الغربي على شاطيء دجلة بقصر المأمون •

ذكر أولاده

وهم ولي عهده أبو العباس أحمد وقد أفضت الخلافة اليه وسيأتي ذكره • وأبو منصور هاشم وتوفي في شعبان سنة ثمان وسبعين محبوسا • والعباسة وماتت صغيرة •

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

وزر له أبو الفتح محمد بن رئيس الرؤساء الى أن عزله واستناب يحيى ابن عبدالله بن جعفر الى أن توفي فاستناب بعده كاتب الانشاء الى أن أعيد أبو الفرج بن رئيس الرؤساء فكان على ذلك الى أن عزم على الحج وخرج متوجها فوصل باب قطفتنا مما يلي الحبشة فعرض له ثلاث نفر من الباطنة في زي الفقراء سألوه أن يتناول منهم رقعة فأذن في ذلك فضربه واحد منهم بسكين وتلاه الآخر فسقط الى الارض وتفرق من كان حوله • وقتل الباطنية وأحرقت جثثهم وحمل الوزير الى دار قريبة من الموضع فمات في

بقيةَ يومه وتولى الأمور بعده نيابة صاحب المخـزن أبو بكـر بن العطار الى أخر أيامه • وقضاته أبو طالب روح بن الحديثي الى أن توفي وقلد أبـا الحسن بن علي الدامغاني فكان على أخر أيامه• وحجابه هبة الله بن الصاحب الى أن نقله الى أستاذ داره واستحجب أبا نصر علي بن الناقد وعـزله وولى أبا سعد بن المعوج الى أن قتل مع الوزير أبي الفـرج بن رئيس الرؤساء فاستحجب بعـده أبا طالب بن طلحة ثم عـزله واستحجب يحيي بن زيادة الى أخر أيامه •

ذكـر خلافـة

الناصر لدين الله

وهو أبو العباس أحمد بن المستضيء بالله مولـده يوم الثلاثاء عاشر رجب من سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة أمه أم ولد تركية اسمها زمـرد خاتون أدركت خلافته وكانت من أرغب النساء في فعل الخير وأكثرهن له فعلا ولها بر وافضال فضلت به أمثالها في الصدقات الجارية وعمارة المساجد والمشاهد والاربطة والمدارس وغير ذلك مما لا خفاء فيه عن نظـر متأمل • بويع بالخلافة في صبيحة يوم الاحد غرة ذي القعدة من سنة خمس وسبعين وخمسمائة •فأول من بايعه أخوه أبو منصور هاشـم ثم الامـراء من بني الاعمام وخواصه ومماليكه ثم القضاة والولاة والفقهاء وكان المتـولي لاخـذ البيعة على الناس استاذ داره أبو الفضـل هبـة الله ابن الصاحب وصندل المقتفوي وعمره اذ ذاك ثلاث وعشرون سنة • وكان أبيض مدور الوجـه مليح العينين صغيرهما • نقش خاتمه • رجائي من الله عفوه • وكان الناس قبل مبايعته في ضيق من الجدب وغلاء الاسعار وقلة الامطار وكثرة الامراض والوباء فدرت الامطار ورخصت الاسعار وتبدل الغلاء بالرخاء وأضحى الناس يهنيء بعضهم بعضا بما عمهم من البركات وفتح عليهم من الخيرات فكان كمـا قال نقيب البصرة أبو جعفر يحيي بن محمد العلوي :

وليت وعـام الناس أغبـــر ماحل فجـدت وجاد الغيث فانقشع المحل
وكم لك من نعماء ليس بمـــدرك لها حاسب الا اذا حسب الرمـــل

ثم حمى حريم الدولة باهتمامه وكثرة جنـوده وله آثار جميلة مـن عمارة المساجد والربط والمشاهد وقــد روي الحـــديث عن النبي صلعـــم بالاجازة عن شيوخ أجازوا له وصنف في ذلك كتابا سماه روح العارفـــين ثم أجاز لجماعة من أهل العلم وأصحاب الحديث وقريء هذا الكتاب بجوامع مدينة السلام وغيرها من البلاد وانتشر وروي فى الآفاق وسمع ثم جـــدد عزيمة في ازالة السلاطين السلجوقية وقطع آثارهم من العراق ثم ملك بـلاد خوزستان بجيش أرسله الى هناك وكذلك دقوقا وقلعة تكريت وقلعة الحديثة ثم ملك همذان وأسقط ما كان بها من الملـوك وقتـل السـلطان طغـــرلبك السلجوقي بتدبير وزيره محمد بن القصاب ولما وصل رأسه الى بغداد تمثـل بقول المكين القمي(١) :

سهم أصاب وراميه بذي سلم من بالعراق لقد أبعدت مرماك

ثم أنشأ دور الضيافات في سائر محال بغداد لفطور الفقراء في شـهر رمضان • ثم عمر دارا لوفد الحاج والغرباء وغيرهم لكل صادر ووارد وأنفق عليهما جزيل أموال • ووقف خزائن كتب محتوية على جميع العلوم النافعة وجعلها وقفا على المسلمين ولم يبلغ أحد ممن قبله ما استجد من الابنية التي يبقى ذكرها ويضوع نشرها وفي أيامـــه انتزع بيت المقدس من أيـدي الافرنج على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب وذلك في سنة ست وثمانـين وخمسمائة • ونقش لوح ونفذ فعلق على بابه وكتب عليه • ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبـادي الصالحون الحمـد لله الذي أنجز وعده ونصر عبده وأقام خليفته القائم بحق الله وسيد عترة رسول الله

---

(١) البيت للشريف الرضي من قصيدته المشهورة : « يا ظبية البان ترعى فى خمائله يهنك اليوم أن القلب مرعاك »

وثمرة شجرته الطيبة المعرقة اليه أبا العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين أسبغ الله ظله على الاسلام والمسلمين وشد عضده بولده وولي عهده أبي نصر محمد عدة الدنيا والدين وأعاد عليه تراثه وأصار اليه ميراثه من البيت المقدس على رغم أنف المشركين وهو المحمود الى أن أجرى هذا الفتح على يدي محيي دولته وسيف نصرته والقائم بطاعته المخلص في عبوديته والمجاهد تحت رايته يوسف بن أيوب معين أمير المؤمنين .

ومما أنشأه رباط الخلاطية بمشرع الكرخ مجاور مشهد عون ومعين وتربة الى جنب هذا الرباط ودفن فيها جهته التي وقف الرباط عليها وهي سلجوقي خاتون بنت السلطان قليج أرسلان مسعود ملك الروم وكذلك رباط الحريم ورباط المرزبانية وهذا الرباط بناه وعزم أن ينقطع فيه ويترك الخلافة زهدا في الدنيا وأنشأ في ذلك كتابا بليغا ليقرأ على الناس وقد وقف المشايخ بالعراق على نسخته . ثم بداله غير ذلك وقد وقف على هذه الاماكن وقوفا متوفرة الحاصل يبقي ذكرها ويحصل له أجرها وله مناقب كثيرة وفضائل جمة قد ذكرها الشيخ العالم تاج الدين علي بن انجب المؤرخ البغدادي المعروف بابن الساعي الشنجار رحمة الله عليه في كتاب يشتمل على خمس مجلدات سماه كتاب الروض الناضر في أخبار الامام الناصر .

ذكر وفاته

توفي ليلة الاحد سلخ شهر رمضان من سنة اثنتين وعشرين وستمائة ودفن بدار الخلافة ثم نقل الى تربة الرصافة فدفن في جانب جده المستنجد بالله وكان قد أعد لنفسه ضريحا ومدفنا الى جانب ضريح محمد الجواد فلم يدفنه الظاهر هناك وكانت خلافته ستا وأربعين سنة وأحد عشر شهرا تامة وعمره تسع وستون سنة وشهران وعشرون يوما ولم يل الخلافة من بني العباس من بلغ مدة خلافته .

ذكر أولاده

وهم أبو منصور محمد وقد كان خطب له أبوه بولاية العهد ثم عزله ورشح أخاه أبا الحسن عليا للخلافة بعده فاخترمته المنية دون بلوغ الامنيــة توفي عن مرض يومين فأعاد الخطبة له وولد له في خلافته بنت من سلجوق الخلاطية وتوفيت فلم تسم •

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

استناب أولا داود بن سليمان بن ساورس ثم عزله واستناب محمــد ابن هبة الله بن النجادي الى أن توفي واستناب أبا الفتــح صدقة ثم عــزله واستناب محمد بن عبد الباقي بن الداريح ثم عزله واستوزر أبا المظفــر عبدالله بن يونس الى أن خرج مع العسكر لقتال طغرل وحصل في أسره فاستناب قاضي القضاة علي بن البخاري ثم عزله واستوزر أبا المعالي سـعد ابن جديرة الى أن عزله واستناب أبا المظفر عبيدالله بن يونس الى أن عــزله واستناب محمد بن علي بن القصاب ثم قلده الوزارة • وخـــرج بالعسكر فأخذ بلاد خوزستان ثم أخذ همــذان واصفهان والري وتوفي هنــاك وكان قــد استناب ولده أبا الفضل أحمــد وعزله واستناب صاحب المخزن الحسن ابن نصر بن الناقد المعروف بابن قنبر الى أن عزله عن النيابة واستناب أبــا الحسن ناصر بن محمد العلوي ثم قلده الوزارة ثم عــزله واستناب صاحب الديوان أبا البدر محمد بن اسينا الواسطي وعزله واستناب أبا الحسن محمد ابن محمد القمي وكان على ذلك الى أخر أيامه •

وأمـــا قضـــاته

فأبو الحسن الدامغاني ثم توفي فقلد أبا طالب علي بن البخاري ثم عزله وقلد أبا الحسن محمد بن جعفر العباسي ثم عزله وأعاد أبا طالب البخاري الى أن توفي واستناب أبا القاسم عبدالله بن الدامغاني وقلد أبا الفضائل القاسم

ابن الشهرزوري ثم استعفى وسأل أن يعزل فعزل وقلد أبا الحسن علي بن سليمان الحلي ثم عزله وقلد أبا القاسم عبدالله بن الدامغاني المذكور الى أن عزله واستناب أبا المناقب محمود بن الرنجاني ثم عزله وقلد أبا عبدالله محمد بن يحيى بن فضلان فكان على ذلك الى أخر أيامه •

وأما حجابه

فأبو طالب يحيى بن زيادة ثم عزله واستحجب أبا الفتح أحمد بن هبيرة وعزله وأعاد ابن زيادة ثم نقله الى أستاذ داره فاستحجب أبا شجاع محمد بن سعيد الظهيري ثم عزله واستحجب أبا القاسم الحسين نصر بن قنبر الى أن نقله الى صدرية المخزن واستحجب عمه أبا جعفر المبارك حسن ابن علي بن أحمد ثم عزله واستحجب أبا جعفر محمد بن محمد بن الناعم ثم عزله واستحجب أبا القاسم قثم بن طلحة الزينبي ثم عزله واستحجب أبا علي طلحة بن عبدالله بن حمزة بن طلحة ثم عزله في جمادى الاولى سنة ست عشرة وستمائة ولم يستحجب أحدا بعده الى أن توفي رحمة الله تعالى عليه •

ذكر خلافة

الظاهر بأمر الله

وهو أبو نصر محمد بن الناصر لدين الله ولم يل الخلافة من كنيته أبو نصر سواه مولده في المحرم سنة احدى وأربعين وخمسمائة • أمه أم ولد تركية اسمها بقجة لم تدرك خلافته وكان أبيض مستدير الوجه عبل الجسم كثير لحم العضدين • نقش خاتمه : راقب العواقب • وكان موصوفا بشدة القوة وفرق أموالا وبر الفقراء وأسقط المكوس وأفاض العدل وقد روى الحديث عن والده الناصر وقرأ عليه وأعتق خمسين جارية صرن اليه عن والده ممن كن يصلحن للتسري تورعا وأعطى لكل واحدة منهن خمسمائة

دينار سوى ما كان لها • وأنشأ جسرا نصبه على دجلة فصار لها جسران وله مناقب كثيرة نمسك عن ذكرها في هذا المجموع المختصر •

ذكر وفاته ومدفنه

توفي يوم الجمعة ثالث عشر رجب من سنة ثلاث وعشرين وستمائة فكانت خلافته تسعة أشهر وأربعة عشر يوما ودفن بدار الخلافة ثم نقل الى تربة الرصافة فدفن الى جانب والده •

ذكر أولاده

وهم عشرة أبو جعفر المنصور وقد أفضت الخلافة اليه وأبو عبدالله العباس وأبو الفضل سليمان وأبو القاسم علي وأبو المظفر الحسن وأبو هاشم يوسف وأبو الفتوح حبيب • وثلاث كرائم وهن خديجة وفاطمة وعائشة •

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

لم يستوزر أحدا بل أقر أبا الحسن محمد بن محمد القمي على نيابته الى أخر أيامه وأقر أبا عبدالله محمد بن فضلان على قضاء القضاة الى أن عزله وقلد أبا صالح نصر بن عبدالقادر ولم يول حاجبا مدة خلافته •

ذكر خلافة
المستنصر بالله

وهو أبو جعفر المنصور بن الظاهر بأمر الله وقد اتفق له ما لم يتفق لغيره منهم لم يتخللهم من لم يل الخلافة وهم أبوه الظاهر بن الناصر بن المستضيء بن المستنجد بن المقتفي بن المستظهر بن المقتدي • مولده يوم الاربعاء ثالث عشر صفر من سنة ثمان وثمانين وخمسمائة أمه أم ولد اسمها اخشو لم تدرك خلافته بويع بالخلافة يوم توفي والده وهو الجمعة ثالث عشر

رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة وأول من بايعه أولاد السادة الامراء أبناء اخوته وأولاد عمه وذويه بصدور منشرحة عارفين بحقه مقرين بفضله وكان المتولي لاخذ البيعة على الناس استاذ لدار أبو نصر المبارك بن الضحاك وبحضور نائب الوزارة القمي وكانا واقفين على درج المنبر الذي نصب تحت قبة المبايعة وكان أبيض اللون مشربا حمرة مستنير البشرة واسع الصدر معتدل الخلق • نقش خاتمه : العفو بك أولى • وكان حسن السيرة جميل السريرة ذا علم وعمل وعفو وحلم يغشى الصالحين ويواصل المنقطعين وأحسن الى المساكين وأفاض الصدقات على ذوي الحاجات • نظيره معدوم وحسن فعاله مشاهد معلوم• مسدد فيأقواله موفق في أفعاله ولقد تفرد بعزيمة وقفت دونها الهمم وانزاحت بها المظالم والظلم وانتظمت بها الامور وانصلح بها الجمهور وما زال الدين في أيامه باهر المطالع عامر المراتع مواظب على الصلوات فرائضا ونفلا ويكثر من الصلاة انعاما وفضلا يعظم أهل الدين وينفق على أربابه ويحب أهل الادب ويقرب منه طلابه ومباره دارة عليهم وصدقاته واصلة اليهم • وتنبهت الهمم في أيامه وازداد المشتغلون بالعلوم رغبة واشتغالا ووسعهم بعطاياه العميمة كرما وافضالا وحنى على الامة حنو الشفيق فجبر كسيرهم وفك أسيرهم وأحسن الى محسنهم وتجاوز عن مسيئهم فأصبح الدين ثابت الاركان رفيع البنيان ولقد شاع من مكارم أخلاقه ما زاد ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر فسبحان الذي جعله سهلا في طلاقة محياه وكرم سجاياه • فأما ما خصه الله تعالى به في نفسه من الميل الى العلوم فانه لم يزل من أول أمره ومبدأعمره متشاغلا بالعلوم الدينية والادبية عاكفا على نقل الكتب حريصا على ذلك مواظبا عليه • حسن الخط صحيح الضبط ومن محبته للعلوم أنشأ خزانة الكتب بشريف حضرته ومقدس سترته جمع فيها من أنواع العلوم على اختلافها وتباينها وائتلافها بالاصول المضبوطة والخطوط المنسوبة ما جاوز حد الكثرة ثم أنشأ مدرسة

على شاطيء دجلة وجعلها وقفا على المذاهب الاربعة ليحصل بها كمال المنفعة • فجاءت محكمة البناء راسخة في الماء فسيحة الفناء وضعها غريب وحسن ترتيبها عجيب شامخة الى عنان السماء • تضحك شرفاتها بالسرور ويظهر في أبنيتها الفرح والحبور • ويلمع العز في جوانبها ويطلع السعد من أساسها وأعاليها • فهي كعبة الانام وقبة الاسلام مجمع سائر الدين ومذاهب المسلمين وعلم الاصول والفروع المتفرق فيها والمجموع وعلم القوافي وأحاديث الرسول ومعرفة الحلال والحرام وقسمة الفرائض والتركات وعلم الحساب والمساحات وعلم الطب ومنافع الحيوان وحفظ قوام الصحة وتقويم الابدان • ولما تكملت أبنيتها كسيت بأفخر الملابس وتجلت كأحسن العرائس ورتب لها البوابين والفراشين والخدم والطباخين وأسكن لكل مذهب اثنين وستين من الفقهاء وجعل لهم مدرسا وأربع معيدين وأجريت لهم بها المشاهرات الوافرة وما يحتاجون اليه من الخبز واللحم والحلوى والفواكه والبزر والصابون وجعل فيها طبيب حاذق ماهر وأثبت عنده عشرة من الطلبة يشتغلون عليه في علم الطب وجعل لهم الاكحال السائلة وبنيت لهم صفة فاخرة مقابلة للمدرسة يجلس فيها الطبيب فيقصده المرضى فيداويهم • وبنى في حائط هذه الصفة دائرة عجيبة وصورتها صورة الفلك وجعل فيها طاقات صغار لها أبواب كلما سقطت بندقة انفتح باب من أبواب الطاقات وهو مذهب نضار مفضفض ومضت ساعة من الزمان والبندقتان من شبه يقعان من فم بازين من ذهب في طاسين من ذهب ويذهبان الى مواضعهما وتطلع شموس من ذهب في سماء زرقاء في ذلك الفلك ومع طلوع الشمس تدور دورانها وتغيب مع غيوبها فاذا غابت الشمس وجاء الليل فهناك أقمار طالعة من خلفها كلما مضت ساعة تكامل الضوء في دائرة القمر ثم تبدو بالدائرة الاخرى الى انقضاء الليل وطلوع الشمس •

يقول مؤلف تاريخ بني العباس الامام تاج الدين علي بن الحسن

المعروف بابن الساعي ان هذه منقبة لم يسم اليها الاولون • ثم جعل فيها خزانة الكتب ونقل اليها من الربعات الشريفة والكتب النفيسة والاصول المضبوطة المحتوية على جميع العلوم مائتين وتسعين حملا سوي ما نقل اليها بعد ذلك وشرط أن يكون في دار الكتب التي هي الخزانة عشرة يشتغلون بعلم الحديث النبوي ويكون لهم شغلان يشغلان الطلبة بعلم الحديث النبوي ورتب عندهم شيخ علي الاسناد يقرأ عليه الحديث • ثم الى جانب هذه المدرسة دار برسم تلقين القرآن المجيد يأوي اليها ثلاثون صبيا أيتاما يتلقنون القرآن من شيخ ملقن ويكن لهم معيدا يحفظهم التلقين وشرط للجميع من الخبز والمشاهرة والوظائف ما تضمنه شرط الواقف رحمه الله • ثم شرط أيضا أن يكون فيها من يشتغل بعلم العربية وكذا من يشتغل بعلم الحساب والفرائض ثم أنشأ قدس الله روحه من المشاهد والمساجد والربط في المفارز والقناطر ووسع الطرقات الى غير ذلك من الصدقات في كل الايام وأعطى الثياب والخلع والجرايات في شهر رمضان والرواتب في سوي ذلك وعموم هذه الاسباب للعلماء والعباسيين والعلويين والضعفاء والمساكين وتزويج الايامي والحنو على اليتامى وذلك أكثر من أن يحصر فنسأل الله تعالى أن يحسن اليه وأن يتغمده برحمته ورضوانه ويسكنه بحبوحة جناته بمحمد وآلـه •

ذكر وفاته

كانت وفاته قدس الله روحه بكرة نهار يوم الجمعة عاشر جمادي الاخرة سنة أربعين وستمائة وكتم موته الى أن بويع ولده الاكبر أبو أحمد عبدالله ثم خطب له على منابر بغداد وهو ميت ثم أشيع موته بعد ذلك ودفن في الدار المثمنة على دجلة ثم نقل تابوته الى تربة الرصافة فدفن تحت قبة كان اتخذها لنفسه مدفنا • ومبلغ عمره اثنان وخمسون سنة وستة أشهر

وسبعة عشر يوما ومدة خلافته ست عشرة سنة وعشرة أشهر وثمانية وعشرون يوما .

ذكر أولاده

وهم أربعة أبو أحمد عبدالله وقد أفضت الخلافة اليه وكان انقراض ملك بني العباس على يديه . وأبو القاسم عبدالعزيز وكريمتان وهما ست الشرف وست العرب .

ذكر وزرائه وقضاته وحجابه

أقر ّ أبا الحسن بن محمد بن محمد بن العلقمي على نيابته الى أن عزله في سابع عشر شوال من سنة تسع وعشرين وستمائة ثم نقل أبا الازهر أحمد بن الناقد من أستاذ الدار الى نيابة الوزارة فكان على ذلك الى آخر أيامه . وأما قضاته فأقر ّ أبا صالح نصر بن عبد الرؤوف بن عبد القادر الحنبلي على قضاء القضاة ثم عزله واستقضى أبا المناقب محمود بن أحمد الزنجاني ثم عزله وقلد أبا المعالي عبدالرحمن بن مقبل الواسطي الشافعي الى أن عزله واستقضى أبا الفضل عبدالرحمن اللمغاني الحنفي الى آخر أيامه . وأما حجابه فانه استحجب أبا الحسن علي بن الثوري وعزله واستحجب أبا الفرج علي بن الدوامي فكان على ذلك الى أخر أيامه .

ذكر خلافة
المستعصم بالله

وهو أبو أحمد عبدالله بن المستنصر بالله مولده في يوم حادي وعشرين شوال سنة تسع وستمائة أمه أم ولد اسمها هاجر أدركت خلافته وكان قد عين له ولاخيه مؤدب فجمع على عقله وسكونه وهو أبو المظفر علي بن محمد النيار فعلمهما الخط وحفظهما القرآن الكريم وفي يوم ختمته وهو يوم

الاربعاء خامس عشر شهر ربيع الاول من سنة اثنتين وثلاثين عملت دعـوة عظيمة أفيضت فيها نعمة جزيلة وخلع جميلة عمت الخدم والنواب والاتبـاع والاصحاب وأحضر الشيخ المؤدب وقدمت له خلعة قميص أطلس وقبـاء مفرى فامتنع من لبسه تورعا فانهيت الحال فتقدم بحمل ذلك التشريف الى داره وخلع عليه ما يحل لبسه في الشرع وأعطي ثلاثون ألف دينار وحمل له فاخر الثياب ما حمله اثنان وأربعون حمالا واشتملت هذه الدعوة عـلى الوف كثيرة من العين .

ذكر بيعته وصفته وطرف من سيرته

بويع بالخلافة ضحوة نهار الجمعة عاشر شهر جمادي الآخرة من سـنة أربعين وستمائة واستدعي من مسكنه بالتاج سرا من باب يفضي الى ظهـر داره وكان المستدعي له والقائم بأمر هذه الانالة شرف الدين اقبال الشرابي المستنصري رحمه الله وأجلسه على سدة الخلافة وخاطبه بأمير المؤمنين ثـم أشعر أستاذالدار محمد بن العلقمي والوزير أحمد بن الناقد بذلك وطلب منهما ستر الحال الى الليل ثم أحضرا ليلا . وبايعاه ولقب المستعصم بالله . واستدعي أحد أعمامه وهو أبو الفتوح حبيب وأوهم أن جماعة اخوته حضروا وبايعوه فلما حضر لم يرهم فبايع وعاد الى داره بالفردوس ثم طلب الباقون للمبايعة فامتنعوا ثم طلب القضاة والامراء والولاة لاجل المبايعة وأشيع ذلك يـوم السبت حادي عشر الشهر المذكور فحضروا جميعا وجلس في قبة المبايعـة على العادة وجلس الوزير في المحفة التي حضر فيها محمولا بمحجرة عـلى أرفع درج المنبر ووقف أستاذ الدار دونه بمرقاة يلقن الناس لفظ المبايعـة .

قال الشيخ العالـم تاج الدين علي بن الحسن المعـروف بابن الساعي شيخنا رحمة الله عليه . شاهدته يعني الخليفة المستعصم وهو أسمر اللـون مسترسل اللحية ربعة ليس بالطويل ظاهر الحيا لين الكلام سهل الاخـلاق سليم الصدر . وأما أعمامه وكذا عم أبيه المتمنعون من الحضور والمبايعة فأشير

باستدامة غلق باب الفردوس الذي يحتوي على دورهم بحيث لا يدخل عليهم طعام ولا غيره فبقوا على ذلك ثلاثة أيام فسألوا المبايعة وأحضروا فبايعوا .

وأما سيرته فكان فيه أوصاف لم تجتمع في غيره ممن مضى من آبائه وأجداده رحمهم الله فانه كان حافظا للقرآن المجيد عاكفا على تلاوته مواظبا على الصلوات فى أوقاتها وصوم الاثنين والخميس من كل شهر وصوم شهر رجب دائما لا يخل بذلك مدة خلافته وقبل خلافته وكان له جاريتان قبل الخلافة له من احداهما ثلاث بنين وبنت ومن الاخرى أربع بنات فلما أفضت الخلافة اليه لم يتغير عليهما ولا أغارهما بل راعاهما حفظا لعهدهما ثم طلبت منه أم البنين أن يعتقها ويتزوجها ففعل ذلك فلما ماتت استجد باخرى وحظيت عنده فلم يعترض بغيرها وجاء منها بولد ذكر وطلبت منه أيضا أن يعتقها ويتزوجها ففعل ذلك هذا فيما يرجع الى حسن العشرة وحفظ العهد ومراعاة الصحبة والوفاء . وكان عفيف الفرج لم ينكشف ذيله على حرام قط ولا شرب مسكرا ولا وقعت عينه عليه ولم يعلم أنه عصى الله تعالى بفرجه ولا فمه غير أنه لم ينزه سمعه عن سماع المحرم فانه كان مغرما بسماع الملاهي محبا للهو واللعب . يبلغه أن مغنية أو صاحب طرب في بلد من البلاد فيراسل سلطان ذلك البلد في طلبه . ثم وكل أموره الكليات الى غير الاكفاء وأهمل ما يجب عليه حفظه والنظر فيه فأنفذ الله فيه قضاءه وقدره وأجرى عليه ما قدره فقتل في ليلة الاربعاء رابع عشر صفر من سنة ست وخمسين وستمائة فكانت مدة خلافته ست عشرة سنة وسبعة أشهر وأربعة أيام وعمره ست وأربعون سنة . فكانت مدة ملك بني العباس منذ انتقلت اليهم الخلافة من بني أمية الى أن انقرض ملكهم خمسمائة وستا وعشرين سنة من السفاح الى المستعصم الذي أزال الله ملكهم على يده فسبحان الذي لا يزول ملكه ولا يتغير حكمه العلي العظيم .

تم الكتاب

فهرست الاسماء

باب البـاء

باب التاء

باب الثاء

باب الجيم

باب الحاء

باب السين

باب الشين

باب الصاد

باب الضاد

باب الطاء

باب الظاء

باب العين

باب الغين

باب الكاف

باب الـلام

باب الميم

باب النون

باب الهاء

باب الواو

باب الياء

فهرست فصول الكتاب

المستدرك

ص	س	الخطأ	الصواب
٢	٢٠	بالشبه تقارب الازواج	بشبه تقارب الزوجين
٣	٤	قد وهنته لك	... وهبته لك
٥	٤	بأربعين حملا ...	وبأربعين حملا من الآلات
٥	١٧	ووزنوا بمثله	ووزنوا بمثليه
٦	١٦،١٧		
٧	١٣	فطم عليهما جميعا التراب	فطم عليهما جميعابالتراب
٧	١٩،٢٠		
٨	١	غطاء الخراسانى	عطاء الخراساني
١٢	٦	ما زوق أحد	ما رزق واحد
١٣	١	قصم الحجاج	اقصم الحجاج
١٣	٩	ليخلفه	ليخلعه
١٣	٢٤	تجلو العماء	العمى
١٤	١٩	وانقضت بهم المدد	وانقضت منهم المدد
١٥	١	وأنه غير مخلد	أنه غير مخلد
١٥	٢١	سهو المغفل	سهو الغافل
١٦			
١٧	٩	منت بالله	آمنت بالله
١٨	٧	أمنت تسألنا	أمنت أن تسألنا
٢٢	١٠	فلما أتاك الله عفوا	فلما أتاك الملك عفوا
٢٢	١٣	فما بين شرق الارض والغرب	فما بين شرق الارض والغرب أن يرى
٢٢	٢٤	على قوقه	على فوقه
٢٣	٢٥	فازداد بها عجبا	فازداد بها اعجابا
٢٥	١٨	قال انظر تقدم : انى ثلاثا	قال : أنظراني ثلاثا
٢٩	١	وعمرو بن حصين العبسى	عمرو بن حصين العبسى

ص	س	الخطأ	الصواب
٣٠	١٨	ولكن النار ليس لها خطر	... ليس مثلها خطر
٣١	٦،٧	فجاءه الخبير يخبران خاقان أرمينية	فجاءه صاحب الخبر بخبر ان خاقان أرمينية
٣١	٢	من الحاشية من قريشى	من قريش
٣٢	٢٥	ويجبك الطرير	ويعجبك الطرير
٣٥	٢٥	مختلفعون	مختلفون
٣٧	١	أمرعت وايا	أمرعت واديا
٣٧	٢	ويلقنى	ويلغى
٣٧	٦	التخين	الثخين
٣٧	٤	من الحاشية الخصرمى	الحضرمي
٣٨	٢٣	فى الغـــد	فى الغدير
٤٠	١٦	وأختـــم	وأختم
٤١	٢٤	بألف درهم	بالف ألف درهم
٤٣	٢	أفقيتهما	أقفيتهما
٤٤	١٠	حمصى حفص بن الوليد	مصر حفص بن الوليد
٤٤	١٣	آخر سنة ست وعشرين	آخر سنة خمس وعشرين
٤٦	١٦	فى ربيع آخر	الآخـــر
٤٧	١٥	وأطـلق	واطـــلاق
٤٩	٢٣،٢٤	ثم دخلت سنة ثلاثين ومائة.. فيها مات الخليل بن أحمد	... مات الخليل سنة ١٧٥ على الصحيح
٥٠	٢،٣	كتب سليمان بن علي الهاشمي	كتب سـليمان بن حبيب المهلبي أمير الاهواز
٥٢	٣	ثم دخلت سنة اثنتين	ثم دخلت سنة احدى
٥٤	١	اثنين وثلاثين	اثنتين وثلاثين
٥٤	١٩	سنة اثنين	اثنتين وثلاثين
٥٥	٦	فلما أسفوه	فلما آسفوه
٥٥	٩	لنكتر لجينا	لنكنز لجينا

ص	س	الخطــأ	الصــواب
٥٨	٢٥	ثم خلت سنة خمس وثلاثين	ثــم دخـلـت سنة خمس وثلاثين
٥٩	٢	الغزل والتثبيت	والتشبيب
٦١	١		ذكر أولاده
٦٢	٢١	فسلمت يسلم عليه مروع	فسلمت عليه سلام مروع
٦٦	١	فاخرجوه	فاخرجوا
٧٠	٢٤	كان أمام	كان الامــام
٧١	١٦	أبى من الاباء االثناو	وأبى اثنان أحدهما أبوك
٧١	٢٢	عليت	علمت
٧٢	١٧	نقض	نقص
٧٢	٢٤	... لى خير المنازل	صف لي خير المنازل
٧٨	٧	على فرشة	على فرشه
٧٨	١١	بركتك	بركنك
٨١	٣،٤	وتطلب القضاء	وتطلب للقضاء
٨١	٧	كنت أملك	كنت آملك
٨٣	٢٢	حبــا	حيــا
٩٣	٧	ولا حــولة	ولا حــول
٩٥	٢٣	لو نفخته الريح	لو نفحته الريح
٩٩	٢١	والله	فقال والله
١٠١	١	بالزنادقه	بالزندقــة
١٠١	١١	صاحب منشور	صاحب منثور
١٠٢	١٤،١٥	ولا تأتنى لى	والا فلا تأتنى . فقال : لي
١٠٣	١	فتقتسمها	فتقسمها
١٠٦	١٦	فقتله	فقتلته
١٠٩	٧	ما لاقتنى البلاد	ما لا قتنى بلاد
١٠٩	١٠	كفاك كيف	كفاك كف
١٠٩	١٤	قلت بنت	بت
١٠٩	٢٦	(صعلم)	(صلعم)

ص	س	الخطـأ	الصـواب
١١٠	١٦	وأكثر ما يعني به	وأكثر ما يعنى به
١١٢	١٦	والسينى الزاهد	والسبتي الزاهد
١١٢	الحاشية	زوجة الامام الجواد محمد بن على الرضا	هى أم الفضل آما أم حبيب فزوجة أبيه الرضا
١١٤	٧	لابد من اجابتنى	لا بد من اجابتي
١١٥	١٣	وكلن واريه للآداب	براوية للآداب
١١٨	٥	ليث الا نحو	فما لبث الا نحو
١١٩	٢٢	متصرف فى طريقه	... فى طريفه
١٢٠	١	فى الصرع	فى الضرع
١٢١	٢٠	أحب أن أذكرك فيها	أحب أن اذاكرك فيها
١٢٢	١٣	ابن لا عبدالله	ابن عبدالله
١٢٢	٢٥	تراجعه الملائكة الكراما	تراجعه الملائكة الكلاما
١٢٥	٤	الرطيب بالسكر	الرطب السكر
١٢٦	٥	عمن يبذل الملوك	عمن يبذل من الملوك
١٢٦	١ الحاشية	: أحيين مولي بني حنظلة	أخيـين مولى بني حنظلة
١٤٢	٨	ببث محاسبه	ببحث أو محاسبة
١٤٢	٢٧	فى الحجة	فى ذي الحجة
١٤٣	٣	أهل الفكر	أهل الكفر
١٤٣	١٧	مقتـــدر	مقتدرا
١٤٣	٢٠	يا ليتنى فيلها جذع	يا ليتني فيها جذع
١٤٣	٢٢	لمطـــر	المطـــر
١٤٥	٧	يا ســـالم	يا ســلم
١٤٥	١ الحاشية	ينبغى ان الواصل	ينبغي أن يكون الواصل
١٤٦	١٦	فاخبرته	فأخبرنه
١٤٧	٢٤	وقطع جثته	وقطع جثته قطعتين
١٤٩	٣	ذا بلوي	ذا بلوى
١٥١	١٦	كمدكها	كمـــدهما

ص	س	الخطأ	الصواب
١٥١	٢ الحاشية	ابن مفر الدولة	ابن معز الدولة
١٥٢	١٢	وشاهد وما فعل	وشاهدتما ما فعل
١٥٤	١٣	وعطـــاه	وعطـــاء
١٥٥	١٠	اجري على الذى أجرى عليك	يجري علي الذى يجـــري عليك
١٥٦	٥	يكذب قبلها	يكذب قيلها
١٥٦	٢١	اسحاق عزيز	اسحق بن عزيز
١٥٨	٧	قال : لا ٠ فلم همزت	قال : لا ، قال فلم همزت
١٦٤	٢٣	عرفت مكانه	قد عرفت مكانه
١٦٦	٧	وجى فما يرى قمر	وجن فما يرى قمر
١٦٦	١٠	بنا أنـــا	بينـــا أنا
١٧٠	١ الحاشية	هى أم حبيب	هى أم الفضل
١٧١	١٨	مـــرو	بمـــرو
١٧٢	٣ الحاشية	من ٣١ من جـ ٧	ص : ٣١ جـ ٧ الاغانى ط ساسى
١٧٤	١٤	أجب	آحب
١٧٥	٨	خزيمة بن حازم	خزيمة بن خازم
١٧٦	٤	اجازة عظيمة	أجازه جائزة عظيمة
١٨٣	١٤	ووضع مسالحة	ووضع مسالحه
٢٠٨	٦	لان عبدالمطلب عم رسول الله	لان المطلب عم جـد رسول الله
٢١١	١٦،١٧،١٨ ...		ان الاسطر ١٦، ١٧، ١٨ متعاظلة الالفاظ غـــير ظاهرة المعنى ولم أهتـد الى صوابها
٢١٢	٢	قال الرزقاء	لعله قال : الرقاء
٢٢٣	٧	شاهد أننى	شاهدا أننى

ص	س	الخطأ	الصواب
٢٣٢	١٠	ازوار	ازورار
٢٦٤	٢١	رسم	نسم
٢٥٣	١٦	وغير مكلكترث	وغير مكترث
٢٥٤	٩١٨	وملك أصحاب دا السلطان	وملك أصحابه‌دار السلطان
٢٥٦	١١،١٠	الى أن ورد بنو بويه الثلاثة	لم يرد بغداد منهم غير معز الدولة
٢٥٧	٩	شعلة	وهو الذى طلب تلقيب أخويه
٢٥٧	٩	شعلة	شغلة أو
٢٦٦	١٨	الزركارية	الرزدكارية
٢٦٩	١	وهو الذى بني	وهو الذى بنى
٢٦٩	١	الحاشية (٢)	(١)
٢٧١	١١	للى	ولي
٢٧٢	٩	الزينى	الزينبي
٢٧٣	٢٤	منصور المسترشد	منصور بن المسترشد
٢٧٤	١١	واشتيشرن	وأستثيرن
٢٧٤	٢٤	الى كامل	لعلها آمل
٢٧٤	٢٤	وزاره أياه	وزار أباه
٢٧٥	٨	الزيني	الزينبي
٢٧٧	١١	ينتشر	ينشر
٢٧٨	٩	وولي	وولى
٢٧٨	٢٠	أفني الانف	أقنى الانف
٢٧٨	٢٠	فى المال	فى المآل
٢٧٩	١٩	قطفتنا	قطفتا
٢٧٩	١٩	ثلاث نفر من الباطنه	ثلاثة نفر من الباطنية
٢٨١	٢	الحاشية يهنك	ليهنك
٢٨٢	٤	الى أن	على أن
٢٨٢	١٥	الشنجار	لعلها : شيخنا

ص	س	الخطـــأ	الصـــواب
٢٨٣	٣	من سلجوق	ســـــلجوقى
٢٨٤	٣	الرنجــاني	الزنجاني
٢٨٦	٣	استاذ لدار	استاذ الدار
٢٨٦	١٢	ويكثر من الصلاة	ويكثر من الصلات
٢٨٧	١٩	من فم بازين	من فمي بازين
٢٨٨	٦	شيخ علي الاسناد	شيخ عالي الاسناد
٢٢٨	٨	ويكن لهم معيدا	ورتب لهم معيدا
٢٨٨	١١	فى المفارز	فى المفاوز